تائية السلوك إلى ملك الملوك

نظم قطب الوجود العارف بالله سيدى
أحمد عرب الشرنوبى

شرحها وحققها
الشيخ عبد المجيد الشرنوبى الأزهرى

طبع بنفقة حفيد المؤلف
محمد الحسينى الشرنوبى بمصر

يطلب من

مكتبة القاهرة
شارع الصنادقية بالأزهر الشريف بمصر

ص . ب ٩٤٦ مصر ت ٤٥٩٠٩

مكتب سامي أمين التجاري
١١ شارع عبد العزيز جاويش - عابدين
تليفون : ٢٤٩٢٢٤

١٩٨٠م ـ ١٤٠٠هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى سلك باحبابه سواء السبيل ، ووفقهم لمرضاته فنالوا الجزاء الجزيل ، والصلاة والسلام على الواسطة العظمى لنا فى كل نعمة ، سيدنا محمد الذى أرسله الله لجميع العالمين رحمة . وعلى آله الظاهرين وأصحابه وجميع التابعين .

(وبعد) : فيقول الفقير إلى مولاه الغنى ، عبد المجيد الشرنوبى الازهرى ، بلغه الله الآمال ، والطف به فى جميع الاحوال : لما كان علم التصوف مما يصفى الفؤاد . ويوصل السالك بالجد إلى بلوغ المراد . وكان من أجمل ما ألف فيه هذه التائية الفريدة . التى هى فى بابها بديعة وحيدة ، نسيجة قطب الوجود وعمدتى فى خطوبى . سيدى وسندى السيد أحمد عرب الشرنوبى . بادرت إلى ارتشاف حميا كأسها الشهى . وطفقت أنظم لؤلؤا فى جيدها البهى . ليكون ذلك شرحا بديع المثال . مفصلا لتلك الدرارى التى نسجت على أحسن منوال . ملتقطا تلك اللآلىء البهية . من بحار السادة الأعلام، ذوى الكؤس الوفية . فانى خادم أعتابهم . وتراب أقدامهم .

(وللأرض من كأس الكرام نصيب)

وأنا أسأل الله وأتوجه اليه . وأتوسل بأكمل الرسل لديه . أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه . ويرشدنا لما يبلغ كل أحد منا مناه . وها أنا أشرع فى المقصود بعون العلى العظيم . فأقول : قال المصنف رضى الله عنه

(بسم الله الرحمن الرحيم) : ابتدأ بها اقتداء بمنزل الكتاب العزيز لما

لما فى الحديث «تخلقوا باخلاق الله» أى بالاخلاق التى يليق للبشر التخلق بها كالحلم والكرم، والبدء بما بدأ به كتابه ونحو ذلك ومعلوم أن كتابه سبحانه مبتدأ بها أعنى بعد ترتيبه وجمعه أو باعتبار مافى اللوح المحفوظ فلا يرد أنها ليست أول ماأنزل قال بعض العارفين: ولما كانت الاسماء الالهية سبب وجود العالم ، كانت البسملة خير ابتداء فكأنه يقول بسم الله الرحمن الرحيم ظهر العالم فهى بيان لافتتاح الايجاد ، والدخول إلى بيت الوجود بحسب الاستعداد اه .. ومعنى الباء الاشارى: بى كان ما كان وبى يكون ما يكون ولذا قال بعض العارفين ما رأيت شيأ الا ورأيت الباء مكتوبة عليه بمعنى بى قام كل شىء وانما بدئت البسملة بالباء إشارة إلى أنه لا يتقدم إلى حضرته تعالى الا أهل الانكسار فان الباء لما بنيت على الكسر وعملت الجر فيما بعدها صار لها الرفعة والتقدم على حد مايؤخذ بالاشارة من قول الامام ابن الفارض :

ولو كنت بى من نقطة الباء خفضة   رفعت إلى مالم تنله بحيلة

وانما طولوا الباء فى بسم الله تعظيما للحرف الذى بدىء كتاب الله به واشارة إلى أن من تواضع لله رفعه وحذفوا ألف اسم من بسم الله وأثبتوها فى نحو اقرأ باسم ربك لكثرة استعمال البسملة وكثرة الاستعمال تقتضى الخفة

ولفظ الجلالة علم على الذات الواجب الوجود . الواسع الكرم والجود . وهو اسم الله الاعظم عند الجمهور . وتخلف الاجابة عند الدعاء لتخلف شروطها التى منها أكل الحلال كما هو مشهور . أو أن الله تعالى ربما أخر الاجابة عند الدعاء به للوقت الذى يريده هو لا للوقت الذى يريده الداعى (وفى الحديث) مامن مسلم يدعو بدعوة ليس فيها اثم ولا قطيعة رحم الا أعطاه الله بها احدى ثلاث أما أن يعجل له دعوته وإما أن يدخرها له فى الآخرة وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها إذا علمت ذلك فلا تقع عند

تأخر الاجابة فى اليأس من القبول . وتدبر ما ترنمت به نسمات القبول

لا نيأسن وان طال الصدود فقد   تجنى أناس وهم فى السر احباب

فاذا دعوت وتوهمت أو سمعت لا ، فلا تمكن من أعرض وسلا ، بل علق رجاءك بمولاك فانه يبلغك مناك ، وتأمل قول من قال ، من أهل الاحوال :

استشعر اليأس فى لائم يطمعنى   إشارة فى أعناق اللام بالالف

هذا وقد قال بعض العارفين بعد قوله صلى الله عليه وسلم ان لله تسعة وتسعين اسما مائة الا واحدا من أحصاها دخل الجنة . أعلم ان المسمى واحد وأسماؤه كثيرة سمى بها نفسه ليتسع مجال الداعين بها فهى الداعين كالابواب والطرق الموصلة للمقصود ولا شك ان بعض أسمائه تعالى أقرب للوصول من بعض لان مسالكها تختلف باختلاف السالكين فرب دعاء ببعض الاسماء يصلح لشخص دون آخر ورب دعاء باسم يكون قريبا جدا لمن جد فى خاصيته دون من فتر عنه اه واعلم أن الذكر والدعاء بالاسماء على وجهين : الاول أن يكون بحرف النداء بأن تقول يا ألله والثانى باسقاطه بأن تقول الله الله : ثم إنه ينبغى للداعى أن يستحضر المدعو بقلبه أن يذكر اسمه على على أحسن كيفية وهو كونه على طهارة كاملة مستقبل القبلة جالسا مثل جلوسه فى الصلاة مائلا نحو القبلة برأسه فاذا قال ألله فينبغى أن يفتح الهمزة ويمد اللام ويسكن الهاء والالم يستفد جميع الخصائص ومن أكثر من ذكر هذا الاسم على هذه الكيفية فى خلوة كان له فى العالم الروحانى والجسمانى تصريف عجيب ، وأمر غريب ، ومن تقيد به سبعة أيام بصيام وأكثر من ذكره فى خلوة صار مجاب الدعوة مطاعا الروحانيين ، فهو كما قال بعض العارفين :

اسم إذا قرع القلوب تمايلت   طربا وتمت بالتقى أسرارها

وإذا حدا الحادي بطيب حديثه ... طابت وفاحت بالرضا أزهارها
ترتاح إن ذكر اسمه ويهزها ... طربا إذا حفت به أوكارها
وإذا ابتدات بذكره في حضرة ... حضر السرور بها وطاب مزارها

{ وما ألطف قول ابن العربي }

غن لي باسم من أحب وخلي ... كل من في الوجود يرمى بسهمه
لا أبالي وان أصاب فؤادي ... إنه لا يضر شيء مع اسمه

(ثم اعلم) أن السر المصون في الدعاء بالاسماء أن تأخذ عدد حروف الاسم بالجمل وعدد صورته الرقمية التي يرسم بها ثم تدعوه بعد ذلك .

(مثال ذلك) اسمه تعالى الله فانه أربعة أحرف وعدده بالجمل ستة وستون فيكون مجموع ذلك سبعين فتستغيث به سبعين مرة ثم تسأل حاجتك ثم تذكره أيضا بعدد اسم الحاجة ويكون ذلك بجمع همة واخلاص فانه يستجاب لك في الحين .

والرحمن الرحيم: صفتان لله مشتقتان من الرحمة والمراد منها هنا الإحسان أو إرادته ، وإنما حذفوا ألف رحمن لكثرة الاستعمال ومعناه المنعم بجلائل النعم أي النعم الجليلة ، وأما رحيم فمعناه المنعم بدقائق النعم أي النعم الدقيقة ، وذكر الرحيم بعد الرحمن إشارة إلى أنه كما يطلب منه الجليل يطلب منه الحقير لما في الحديث القدسي ياموسى سلني في ملح قدرك وشراك نعلك فهو من باب التتميم وليس من باب الترقي حتى يرد أن القياس يقتضي الترقي من الأدنى للأعلى كما لم نحر يردون العكس كما هنا . واعلم أنه سبحانه أرحم بعبده من الوالدة بولدها فلا يصدر عنه تعالى إلا ما هو خير بالنسبة لاستعداد كل شخص لما يليق به . والمحن الدنيوية ، ربما كانت في الحقيقة منحا سنية ، فلا يقال بعد هذا إن مقتضى اسمه رحيم أن لا يكون شيء من

الأمراض والعلل . لأنك قد علمت خيرية ذلك باعتبار بلوغ الامل ، ولذا قال الإمام الجيلي :

تلذ لى الآلام مذ أنت مسقمى ... وإن تمتحنى فهى عندى صنائع

فقد تلذذ بالآلام ، وعدها من الصنائع أى العطايا باعتبار ما يعقبها من بلوغ المرام ، ومن ذلك قول الإمام ابن الفارض :

وكل أذى فى الحب منك إذا بدا ... جعلت له شكرى مكان شكايتى
وما حل بى من محنة فهو منحة ... وقد سلمت من حل عقد عزيمتى

يعنى أن كل ما أتانى من جنابك فهو عين المنح والمنن ، وإن ظهر فى صورة البلايا والمحن . . ثم إن حظ العبد من التخلق باسمه تعالى الرحمن أن يصرف عباده الغافلين عن طريق الغفلة بالوعظ والنصح رحمة بهم ويكون ذلك بطريق اللطف لا بطريق العنف وأن ينظر إلى العصاة بعين الرحمة لا بعين الازدراء وأن تكون كل مصيبة تجرى فى العالم كمصيبة له فى نفسه فلا يألو جهدا فى إزالتها ، وحظه من التخلق باسمه تعالى الرحيم أن لا يدع فاقة لمحتاج إلا سدها بقدر طاقته وأن يبذل جاهه وماله لمن استعان به فان لم يقدر فيعينه بالدعاء والتضرع رأفة به : فانما يرحم الرحمن من رحما . ويرحم الله القائل :

ارحم بنى جميع الخلق كلهم ... وانظر اليهم بعين اللطف والشفقة
وقر كبيرهمو وارحم صغيرهمو ... وراع فى كل خلق حق من خلقه

وقد بدأ المصنف رضى الله عنه منظومته بالبسملة لكونها من الشعر النافع ، وأما الشعر الغير المحتوى على علم أو وعظ فلا يجوز بدؤه بها وفى البسملة فوائد لاتحصى ، وأسرار لاتستقصى ، فقد ورد مرفوعا : إذا وقعت فى ورطة أى شدة فقل بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا

قوة إلا بالله العلي العظيم فان الله تعالى يصرف بهما ما شاء من أنواع البلاء وروى عن النبي ﷺ أنه قال لمن قال « تعس الشيطان » لا تقل ذلك فانه يتعاظم عنده ولكن قل بسم الله الرحمن الرحيم فانه يصغر حتى يصير اقل من الذباب وروى أنها لما نزلت اهتزت لهيبتها الجبال (وقال) سيدى أحمد الدمنهورى فى شفاء الظمآن من قرأ البسملة فى وجه ظالم خمسين مرة أذله الله ومن قرأها عند النوم أحدى وعشرين مرة آمنه الله فى تلك الليلة من الشيطان الرجيم ومن السرقة ومن فجأة الموت ويدفع عنه البلاء (ونقل) العارف الشعرانى فى طبقاته عن سيدى محمد أبى المواهب الشاذلى أنه قال : رأيت رسول الله ﷺ فى المنام فقال لى قل عند النوم أعوذ بالله من الشيطان الرجيم خمسا وبسم الله الرحمن الرحيم خمسا ثم قل اللهم بحق محمد أرنى وجه محمد ﷺ حالا ومالاً فانك اذا قلت ذلك ترانى فى المنام ولا أتخلف عنك والكلام على البسملة كثير ، ويكفى التبرك بهذا النزر اليسير ، ولعل المصنف اكتفى بها عن الحمد لما فيها من الثناء على الله تعالى أو أنه أتى بالحمد والصلاة على النبي ﷺ لفظا وترك ذلك خطا رعاية للاختصار

﴿ مقدمة ﴾ نذكر فيها حد علم التصوف وموضوعه وفائدته ليكون الشارع فيه على بصيرة (فحده) علم يعرف كيفية تصفية الباطن من عيوب النفس وصفاتها المذمومة كالحقد والحسد والغش والغل وطلب العلو وحب الثناء والكبر والرياء والغضب والأنفة والطمع والبخل وتعظيم الأغنياء والاستهانة بالفقراء ونحو ذلك فالتصوف هو التخلى عن الرذائل والتحلى بانواع الفضائل ، ويقال هو حفظ حواسك ، ومراعاة أنفاسك ، ويقال هو الاكباب على العمل ، والاعراض عن الملل ، ويقال هو استعمال الوقت فيما هو أولى به ولذا قالوا الصوفى ابن وقته

وما ألطف قول ابن الفارض :

وكن صارما كالوقت فالمقت فى عسى ... وإياك على فهى أخطر علة

(وقال الجنيد) التصوف أن يميتك الحق عنك ويحييك به يعنى أن يميتك عن نظرك لنفسك ويحييك بذكره ومناجاته وهذا أكمل درجات التصوف والصحيح أنه أنما يدرك بالذوق لقول العارف الشعرانى فى طبقاته : التصوف عبارة عن علم انقدح فى قلوب الأولياء حين استنارت بالعمل بالكتاب والسنة فكل من عمل بهما انقدح له من ذلك علوم وآداب وأسرار وحقائق تعجز الالسن عنها اه ولذا قال بعضهم :

علم التصوف علم ليس يدركه ... الا أخو فطنة بالحق معروف
وكيف يعرفه من ليس يشهده ... وكيف يشهد ضوء الشمس مكفوف

ومبناه على التمسك بآداب الشريعة والتباعد عن الشبهات. وحفظ الحواس وعد الانفاس للتحرز من الغفلات. وموضوعه أفعال القلب والحواس من حيث التزكية والتصفية. وفائدته اصلاح الانسان ظاهرا وباطنا فان الصوفى من تصفى من الكدر وامتلأ من العبر. وانقطع لعبادة ربه عن البشر. واستوى عنده الذهب والمدر. وليس كمن قيل فيه، من بعض واصفيه :

ليست مرقعا صوفا وقلتا ... أنا الصوفى ليس كما زعمتا

والصوفية مقتدون فى الزهد فى الدنيا والانقطاع للعبادة بأهل الصفة رضى الله عنهم، وهى سقيفة اتخذها فقراء الصحابة فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم منسوبون للصفة فأصل صوفى صفى فأبدل أحد حرفى التضعيف ليناً، وقيل نسبة للصوف لكونهم اختاروا لبسه زهدا فى الدنيا

وقيل إن الصوفى مشتق من الصفاء ففيه قلب وعليه قول بعضهم :

ليس التصوف لبس الصوف ترقعه　　ولا بكاؤك ان غنى المغنونا
ولاصياح ولا رقص ولا طرب　　ولااضطراب كأن قدصرت مجنونا
بل التصوف أن تصفو بلا كدر　　وتتبع الحق والقرآن والدينا
وأن ترى خاشعاً لله مكتئبا　　على ذنوبك طول الدهر محزونا

﴿ وقول بعضهم ﴾

ولست أمنح هذا الاسم غير فتى　　صافى فصوفى حتى سمى الصوفى

واعلم أن طريق الصوفية هى طريق الابرار ولم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم طريقة الحق والهداية : وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع الى الله والاعراض عن زخرف الدنيا وزينتها . فلما فشا الاقبال على الدنيا فى القرن الثانى ومابعده وجنح الناس الى مخالطة الدنيا اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية فلما كتبت العلوم ودونت وألف الفقهاء فى الفقه وأصوله والتوحيد والتفسير وغير ذلك كتب رجال من أهل هذه الطائفة فى طريقتهم . فمنهم من كتب فى أحكام الورع ومحاسبة النفس فى الاخذ والترك ومنهم من كتب فى آداب الطريق ومنهم من جمع بين ذلك وهذا العلم هو علم الوراثة المشار اليه بخبر « من عمل بما علم ورثه الله علم مالم يعلم » وقد بنى المصنف رضى الله عنه قصيدته على أصول . تضمن للمريد قرب الوصول . فهى جديرة بتسميتها تائية السلوك . إلى ملك الملوك . فقال :

أُصُولُ طَرِيقِ الْقَوْمِ أَهْلِ الْحَقِيقَةِ
هُدَاةِ الْوَرَى الْمَهْدِينَ مِنْ خَيْرِ مِلَّةِ
طَهَارَةُ أَنْفَاسٍ وَصِدْقُ مَوَدَّةٍ　　وَحِذْقٌ وَآدَابٌ وَتَجْرِيدُ هِمَّةِ

أقول : أصول جمع أصل بمعنى الاساس الذى ينبنى عليه غيره وقد أراد المصنف بالأصول فى هذه المنظومة ما يشمل الاركان واللوازم والشروط والاحوال فان الاصول عندهم ثلاثة عشر . التوبة والخوف والرجاء والحزن والقناعة والزهد والورع والتوكل والصبر والشكر وجهاد النفس والرضا بالقضاء وترك العباد أى ترك الالتفات لأحوالهم ولو مع المخالطة بهم ليحصل التغاير بينه وبين العزلة التى هى ركن من الاركان الاربعة المجموعة فى قول بعضهم :

بيت الولاية قسمت أركانه ساداتنا فيه من الأبدال
ما بين صمت واعتزال دائم والجوع والسهر النزيه الغالى

واللوازم التى لابد منها لمريد السفر لاسيما مريد سفر الآخرة عشرة المقصد وهو الباعث على السفر والدليل وهو الشيخ والزاد وهو التقوى والسلاح وهو الوضوء والسراج وهو الذكر والمطية وهى الهمة القوية والعكاز وهو العجز والحزام وهو الحزم والمنهاج وهو الشريعة والرفقة وهم اخوان الصدق وما عدا ذلك فهو من الشروط والاحوال وسأبين ذلك كله عند كل بيت ان شاء الله تعالى . والشروط عندهم كثيرة وتارة يعبرون عنها بالآداب ، فمنها : دوام المراقبة والموت الاختيارى ومحاسبة النفس وملازمة الشيخ ومداومة الذكر والاوراد وحل مابه الانتفاع من الاكل ونحوه والاقتصاد فيه وترك الافتخار بالعلم والجاه والنسب والغربة اما بالجسم أو بالقلب وحسن الاخلاق والوفاء بالوعد وحفظ القلب من موجبات الجفاء والرفق فى كل الامور والكرم والعفو عمن أساء أوظلم والتأنى فى الامور وكظم الغيظ والحلم والخشوع والصدق والخضوع وتصفية الباطن من الحقد والحسد والغرور والبغضاء وذل النفس لاعن منقصة والرحمة للمخلوقين والادب معهم ومن آكد الشروط اجتناب

الاحداث وأصحاب النفوس، وترك الخلطة بالاناث ، وعدم استبطاء الفتح وعدم الانتصار للنفس ولو بحق ، وترك سماع مدح مادحه ولو بصدق ، وأن لا يحزن على مافات ولا يفرح بما يأتى من أمور الدنيا وعدم اتباع الهوى وترك الجدال والمراء والرضا بالقضاء والحمد لله على كل حال .

ثم ان الطريق يذكر ويؤنث ويجمع على طرق بضمتين وهو مرادف للسبيل قال تعالى : « قل هذه سبيلى أدعو الى الله على بصـــيرة أنا ومن اتبعنى » والقوم هم الذين يقومون بالامر حق القيـام ووصفهم بقوله أهل الحقيقة وهى عند أهل الحق سلب آثار أوصافك عنك بأوصافه عند مشاهدة أنه الفـاعل لا أنت ، ومعلوم أن الحقيقة لا تـكون الا بعد الاغتراف من عين الشريعـة فان الحقيقة نتائج العـلوم . وبها يترجم المتحقق عن الاسرار التى لا تحيط بها الفهوم ، على حـد قول بعض العارفين :

يارب جوهر علم لو أبوح به　　لقيل لى أنت ممن يعبد الوثنا
ولا ستحل رجال مسلمون دمى　　يرون أقبح ما يأتونه حسنا

فان سر الحقيقة تقصر العبارة عن أدائه فـكل عبارة تقربه للذهن من وجه تبعده عنه من وجوه على حد ما قيل :

كلمـا أقبل فـكرى　　فيك شبرا فر ميلا

فالحقيقة هى العلوم الباطنية ، وقد روى أنه صلى الله عليه وسلم أوحى اليه ثلاثة علوم علم أمره الله بافشائه وهو علم الاحكام وعلم خيره الله فيه وهو علم الاسرار وعلم أمره بكتمه الا عن بعض خواصه وهو علم سر القدر الذى قال فيه ابن العربى : إن سر القدر لم يطلع الله عليه نبيا مرسلا ولا ملكا مقربا الا نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم وقد أطلعنى الله عليه بطريق الوراثة

المحمدية وفى الحديث علم الباطن سر من أسرار الله تعالى يقذفه فى قلب من يشاء من عباده ، ولهذا استعمل الصوفية الرموز والإشارات ليصونوا الاسرار عن غير أهلها كما قال بعضهم :

ألا ان الرموز دليل صدق على المعنى المغيب فى الفؤاد
وكل العارفين لها رموز وألغاز تدق على الاعادى

ويقال الشريعة أمر للعبد بالتزام العبودية ، والحقيقة مشاهدة الربوبية . عند التحقق بمقام الاحسان المشار اليه فى خبر «أن تعبد الله كأنك تراه» والطريقة هى سلوك طريق الشريعة مع العمل بالاحوط وعدم تتبع الرخص فالشريعة جاءت بتكليف الخلق ، والحقيقة إنباء عن تصريف الحق ، فالشريعة أن تعبده ، والحقيقة أن تشهده ، فقولك اياك نعبد حفظ للشريعة ، واياك نستعين اقرار بالحقيقة ، فبطون الحقيقة فى الشريعة والطريقة كبطون الزبد فى اللبن لايظهر بدون مخضه والمراد من الثلاثة اقامة العبودية على الوجه المراد من العبد . وانما وقعت التفرقة بين الحقيقة والشريعة بالنظر للغلبة فى حال العابد والعارف فان العابد لما كان يغلب عليه الوقوف مع الأعمال واتقانها واخلاصها سمى صاحب شريعة ولما كان العارف يغلب عليه حال الحق ويرى أن جميع ماهو فيه من فضله سمى صاحب حقيقة . وقد كان سيدى ابراهيم الدسوقى يقول : للعلم كله مجموع فى حرفين أن تعرف العبودية وتعبده فمن فعل ذلك فقد أدرك الشريعة والحقيقة ثم قال : فالشريعة هى الشجرة والحقيقة هى الثمرة اه ، وكان سيدى داود الشاذلى يقول جلت الحقيقة أن تكون البشرية محلا لتلقيها ولكن اذا أراد أن يوصلها اليك ، انبسط شعاع سلطانها عليك ، فمهد فى قلبك محلا لتلقيها فيها وجدتها لابك على حد ما قيل :

أعارته طرفا رآها به فكان البصير بها طرفها

إذا علمت أن الحقيقة ثمرة الشريعة بل هى عينها فى الحقيقة على ما قاله السادة الأخيار ، فشم رائحة للشريعة قبل ادعاء الحقيقة تكن من أهل الاستبصار .

وان كنت مزكوما فليس بلائق حقا لك هذا المسك ليس بفائح

ثم إن المصنف وصف القوم أيضا بقوله هداة الورى جمع هاد من الهداية بمعنى الدلالة اذهم الذين دلوا الورى أى الخلق على مافيه صلاحهم الدنيوى والأخروى بتهذيب النفوس وغير ذلك وانما وصفهم بعد ذلك بقوله المهدين أى الذين هداهم الله لان الهادى إذا لم يكن مهتديا فى نفسه لم يصلح لهداية غيره بل يكون جديرا بدخوله فى تهديد وعيد قوله تعالى «أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون» وحريا بان ينادى عليه بقول القائل :

يا أيها الرجــــل المعلم غيره هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذى السقام وذى الضنا كيما يصح به وأنت ســــقيم
ابدأ بنفسك فانهها عن غيها فاذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يسمع ماتقول ويشتفى بالقول منك وينفع التعليم
لاتنه عن خلق وتاتى مثـــله عار عليك إذا فعلت عظيم

وقد خرج بعض العارفين لمجلسه الذى يعظ الناس فيه فسكت طويلا ثم قال زاجرا لنفسه:

وغير تقى يامر الناس بالتقى طبيب يداوى الناس وهو مريض

وقوله من خير ملة أى الذين هداهم الله واجتباهم من خير ملة وهى ملة الاسلام التى قال الله فى أهلها «كنتم خير أمة أخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله» وقوله طهارة أنفاس وماعطف

عليه خبر المبتدا الذى هو أصول وانما بدأ بطهارة الانفاس لأنها مفتاح الوصول إلى مراتب السعادة . كما أن طهارة الظاهر مفتاح للعبارة . وهى عبارة عن التخلص من الذنوب والغفلات . والتباعد عما لايرضى بارىء الارض والسموات . فلا تستميل من تلبس بهذه الطهارة شهوة عن خدمة مولاه . ولايجره الحقد والحسد إلى اتباع شيطانه وهواه . فتكون انفاسه طاهرة نقية . لصفاء باطنه من الكدورات النفسية . ومتى تنزه الباطن عن ذلك تطهر منه الانفاس . بل تطهر جميع جوارحه من أدناس الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس . ولا تتحقق الطهارة الا بالتوبة النصوح التى هى أصل الاصول ، وباب الابواب الذى يكون منه الوصول ثم ثنى بقوله وصدق مودة يعنى أن من شروط طريق المقربين أن يكون المريد صادقا فى المودة لكل الناس لافرق عنده بين الغريب والبعيد لما فى الحديث ومن نظر الى أخيه نظرة ود غفر له وينبغى أن يكون صادقا فى معاملة مولاه . بوجود سر الاخلاص فيما يحبه ويرضاه . ليدخل فى قوله تعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا وما ألطف قول بعض العارفين :

تحن قلوب العاشقين إلى الود كما حن ظمآن الهجير إلى الورد
وتشتاق أرواح المحبين للقا كشوق كئيب هائم زائد الوجد

﴿ وقال بعضهم ﴾

قف بباب الحبيب ليلا وناده وتشكى من هجره وبعاده
وعلى الباب عفر الخد ذلا ولكن حافظا قديم وداده
ثم قل طالت القطيعة والهجر وجفنى لم يكتحل برقاده
فالحبيب الذى ترجيه أضحى جوده فائضا على قصاده

ومن شروط الطريق أيضا حذق بكسر الحاء المهملة وسكون الذال

المعجمة آخره قاف يقال حذق الرجل فى صنعته من بابى ضرب وتعب حذقا مهر فيها أو عرف غوامضها ودقائقها والمراد أن معرفة الحقائق على الوجه الاتم من شروط الطريق. وكذلك من شروطها أداب بالمدجمع أدب والمراد تأديب نفس المريد ظاهرا وباطنا بامتثال المأمورات. واجتناب المنهيات فان الادب الاخذ بمكارم الاخلاق. الموصلة إلى الكريم الخلاق. وهو منحصر فى خمسة أشياء حفظ المريد الحرمة مع الله. وشكر النعمة التى أنعم بها عليه مولاه. وعلو الهمة بحيث لايكون له تعلق بشىء من النقائص، وحسن الخدمة بلزوم الاتباع. وترك الابتداع. ونفوذ العزيمة بحيث لا يتراخى فى محل التشمير. ولا يركن لموطن التقصير وهو مبنى على خالص التوحيد فالادب اسم جامع لحقائق الخيرات. وأنواع المبرات، ويختلف باختلاف همم المتأدبين فهو بالنسبة للمريدين رياضة النفوس بنور المتابعات، وتاديب الجوارح بحفظ الحدود وترك الشبهات، وبالنسبة لاهل الحقاق العارفين، ممن ترقت همتهم عن العالمين. اشتغالهم بطهارة القلوب ومراعاة السرائر، حتى يكاشفوا عما أكنته الضمائر

﴿ وقيل ﴾ للحسن البصرى قد أكثر الناس فى علم الآداب فما أنفعها عاجلا وأوصلها آجلا فقال التفقة فى الدين والزهد فى الدنيا والمعرفة بمالله تعالى عليك (وكان) بعض العارفين يقول من لم يعرف مالله عز وجل وما للخالق عليه فى نفسه من الحقوق التى لزمته ولم يتادب مع الله ومع خلقه بامره ونهيه كان من الادب فى عزلة (وقال بعضهم) نحن الى قليل من الادب أحوج منا الى كثير من العلم ومراده أن الادب القليل مع الحق تعالى وعموم الخلق أنفع من العلم الكثير المجرد عن الادب المذكور (وكان) أبو نصر الطوسى يقول: الناس فى الادب على ثلاث طبقات أما أهل الدنيا فاكثر آدابهم فى الفصاحة والبلاغة وحفظ العلوم وأسمار الملوك وأشعار

العرب وأما أهل الدين فأكثر آدابهم في رياضة النفوس وتأديب الجوارح وحفظ الحدود وترك الشهوات وأما أهل الخصوصية فأكثر آدابهم في طهارة القلوب ومراعاة الأسرار والوفاء بالعهود وحفظ الوقت وقلة الالتفات إلى الخواطر (وقال بعض العارفين) قد أكثر الناس الكلام في الأدب ونحن نقول هو معرفة النفس بعجزها وافتقارها إلى ربها فان من عرف نفسه بالعجز والافتقاره فقد عرف ربه بالغنى والاقتدر ، ومن عرف نفسه وربه بما ذكر تأدب في طاعته (ويقال) ثلاث خصال ليس معهن غربة حسن الأدب وطيب الأخلاق واجتناب كل أمر فيه ريبة وجمعها بعضهم في قوله .

يزين الغريب إذا ما أغترب ثلاث فمنهن حسن الأدب
وثانيـة طيب أخـلاقه ويختمهن اجتنـاب الريب

لا سيما إذا انضم إلى ذلك حسن مداراة الناس ﴿ لما في الحديث ﴾ أمرت بالمـداراة

﴿ ومن الحكم النوابغ ﴾

ودارهم ما دمت في دارهم وأرضهم ما دمت في أرضهم

﴿ وما ألطف قول بعضهم ﴾

ما دمت حيا فدار الناس كلهم فانمـا أنت في دار المداراة
من يدر داری ومن لم يدر سوف يرى عمـا قليـل نديمـا للنـدامات

(واعلم أن حسن أدب الظاهر عنوان حسن أدب الباطن كما في الحديث لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه فاذا تعمر قلب العبد بالمراقبة لله تعالى وتأدب بالآداب الشرعية تبعته الجوارح (وقال السهروردي) في عوارفه

المعارف، بالأدب يفهم العلم وبالعلم يصح العمل وبالعمل تنال الحكمة . (وقال أبو يزيد البسطامى) مددت ليلة رجلى فى محرابى فهتف بى هاتف من يجالس الملوك ينبغى له أن يجالسهم بحسن الأدب قال فما مددت رجلى بعد ذلك (وقال السيد الشريف) يريدون بالأدب أدب الشريعة ووقتا أدب الخدمة ، ووقتا أدب الحق . فأدب الشريعة الوقوف عند رسومها ، وأدب الخدمة الفناء عن رؤيتها مع المبالغة فيها ، وأدب الحق أن تعرف مالك وماله اهـ (ومن جوامع الآداب) ما كتبه بعض العارفين إلى عمر بن عبد العزيز أما بعد : فخف مما خوفك الله واحذر مما حذرك الله وخذ مما فى يديك لما بين يديك فعند الموت يأتيك الخبر اليقين والسلام . (وكتب اليه أيضا) أما بعد : فان الهول أعظم والأمور المفظعات أمامك ولا بد لك من مشاهدة ذلك إما بالنجاة وإما بالعطب واعلم أن من حاسب نفسه ربح ومن غفل عنها خسر ومن نظر فى العواقب نجا ومن أطاع هواه ضل ومن حلم غنم ومن خاف أمن ومن أمن اعتبر ومن اعتبر أبصر ومن أبصر فهم ومن فهم علم فاذا زللت فارجع وإذا ندمت فأقلع وإذا جهلت فاسأل وإذا غضبت فأمسك ،فتمسك بهذه الآداب . إن أردت أن تكون من جملة الأحباب . ومن اللوازم تجريد همة يعنى أن تكون همة المريد وهى الاهتمام بالشىء مجردة لما يقربه لمولاه . فلا يهتم إلا بما يحبه سيده ويرضاه . (قال السيد الشريف) الهمة توجه القلب وقصده بجميع قواه الروحانية إلى جانب الحق لحصول الكمال أو لغيره (وسئل) سيدى عبد القادر الجيلى عن الهمة فقال هى أن يتعرى العبد بنفسه عن حب الدنيا وبروحه عن التعلق بالعقبى وبقلبه عن إرادته مع إرادة المولى ويتجرد بسره عن أن يلمح الكون أو يخطر على سره ، ثم قال المصنف رضى الله عنه عاطفا على ماتقدم بتقدير حرف العطف :

حَيَاءٌ وَإِخْلَاصٌ ذَكَاءٌ وَفِطْنَةٌ
كَذَا الوَرَعُ المَحْمُودُ فِى كُلِّ شِرْعَةِ

أى ومن شروط الطريق حياء بالمد وهو خلق يبعث على ترك القبيح ، وفعل المليح . ويقال هو مايمنعك عما يضرك (وفى الحديث) الحياء خير كله لا يأتى إلا بخير .

(وروى) عن ابن مسعود رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم لأصحابه استحيوا من الله حق الحياء . فقالوا إنا نستحي يارسول الله والحمد لله قال ليس ذاك ولكن من استحيا من الله حق الحياء فليحفظ الرأس وما وعى والبطن وما حوى وليذكر الموت والبلى ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا اهـ . (واعلم) أن الحياء قسمان إيمانى وهو ماعلمته وطبيعى وهو مايعترى الإنسان حتى يمنعه من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ومن سؤاله عن مهمات المسائل فى الدين إذا أشكلت . (ولذا ورد) عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت نعم النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يسألن عن أمر دينهن (قال الإمام الشعرانى) وليحذر الإنسان من الحياء الطبيعى فانه معدود من جملة الكبر عند القوم وهو أن يستحى الشخص أن يذكر الله تعالى برفع الصوت بحضرة الناس وأكثر من يفعل ذلك أصحاب الأنفس كالقضاة والمباشرين ومشايخ العرب فمثل هؤلاء يجب عليهم الذكر برفع الصوت حتى يخرجوا عن الكبر اهـ . (وقد قيل) لأبى سفيان ما أول الحياء فقال أن تستحى منه أن يراك حيث نهاك قيل فما غايته قال أن تستحى منه أن يعلم أنك تريد بقلبك سواه . (وقالت عائشة) رضى الله عنها مكارم الأخلاق عشرة صدق الحديث وصدق البأس وأداء الأمانة وإكرام الجار وصلة الرحم والمكافأة

بالصنيع وبذل المعروف وحفظ الذمام للصاحب وقرى الضيف ورأسهن الحياء (وقال على) كرم الله وجهه من جعل الحياء ثوبه لم ير الناس عيبه (وقال) بعض السلف لابنه يا بنى إذا دعتك نفسك إلى معصية فارم ببصرك إلى السماء واستح ممن فيها فان لم تفعل فارم ببصرك إلى الأرض، واستح ممن فيها فان لم تفعل فعد نفسك من البهائم (وقال السرى السقطى) إن الحياء والأنس يطرقان القلب فان وجدا فيه الزهد والورع حطا وإلا رحلا، وبيان ذلك أن الحياء ثمرة دوام المراقبة والأنس ثمرة دوام العبادة بالإخلاص فلا يحلان إلا فى محل خال عن الشاغل عن الله تعالى، ولعزة أهل هذا المقام قال الإمام القشيرى فى رسالته تعامل القرن الأول بالدين حتى رق الدين ثم تعامل القرن الثانى بالوفاء حتى ذهب الوفاء ثم تعامل القرن الثالث بالمروءة حتى ذهبت المروءة ثم تعامل القرن الرابع بالحياء حتى ذهب الحياء ثم صار الناس يتعاملون بالرغبة والرهبة اهـ؛ ولله در القائل:

إذا لم تخش عاقبة الليالى ولم تستحى فاصنع ماتشاء
فلا والله مافى العيش خير ولا الدنيا إذا ذهب الحياء

(وكان) الفضيل بن عياض يقول خمس من علامات الشقاء قسوة القلب وجمود العين وقلة الحياء والرغبة فى الدنيا وطول الأمل. فتجنبها أيها المشفق على نفسك وحى على خير العمل.

(وفى الحديث القدسى) ياعبدى إنك ما استحييت منى أنسيت الناس عيوبك وأنسيت بقاع الأرض ذنوبك ومحوت من أم الكتاب زلاتك ولا أناقشك الحساب يوم القيامة ومن الشروط إخلاص فى العمل بأن لا يعمل العبد ليراه الناس. فان مراعاة الناس تحبط الأعمال وتوجب الإفلاس. لأن الرياء هو الشرك الخفى وقد قال تعالى لئن أشركت ليحبطن

عملك . فالمراد أن يخلص المريد قلبه من شائبة النظر للأغيار . ويوجهه إلى محض التقرب إلى العزيز الغفار . فان الإخلاص سر من أسرار الله تعالى ، وثمرته نسيان رؤية الخلق ، بدوام النظر إلى الملك الحق ، وناهيك قوله تعالى: وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) (وفى الحديث القدسى) أنا أغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل لى عملا أشرك فيه غيرى فأنا منه برىء (وقال) صلى الله عليه وسلم من أحسن الصلاة حيث يراه الناس وأساء الصلاة حيث يخلو فتلك استهانة استهان بها ربه تعالى . فاحرص يا أخى على مداومة الإخلاص ، وتوق من ملاحظة الأشخاص ، والله يتولى هداك ومن الشروط ذكاء بفتح الذال المعجمة والمد وهو قوة الذهن بحيث تقدر النفس معها على تصور مايرد عليها من المعانى الدقيقة ، ومن الشروط فطنة وهى التنبه للشىء الذى يراد منه فيكون ذا بصيرة بعواقب الأمور فيهدم دنياه ليبنى بها أخراه ولا يهدم أخراه ليبنى بها دنياه فان هذا الاخير إنما ينشأ من الغفلة التى هى ضد الفطنة .

(وما ألطف قول المتنبى)

لا يدرك المجد إلاسيد فطن لما يشق على السادات فعال

وكذا من الأصول الورع بفتح الواو والراء المحمود فى كل شرعة بكسر الشين المعجمة وسكون الراء وهى والشريعة والشرع ألفاظ مترادفة على معنى واحد أى دين (واعلم) أن الورع هو ترك الشبهات . خوف الوقوع فى المحرمات ، وهذا ورع العامة ، وأما ورع الخاصة فهو صحة اليقين . وكمال التعلق برب العالمين . ووجود السكون اليه . وعكوف الهمم عليه (وقال بعضهم) الورع الخروج عن كل شبهة ومحاسبة النفس كل طرفة عين (ومن كلام بعض العارفين) ملاك الدين الورع ، وفساده الطمع (وقال) أبو بكر الوراق لوقيل للطمع من أبوك لقال الشك فى المقدور

ولو قيل له ما حرفتك لقال اكتساب الذل ولو قيل له ما غايتك لقال الحرمان (وكان) بعض العارفين يقول اتقوا الله وموتوا نفوسكم بالورع وقوة الثقة والاستغناء بالله عن طلب الحوائج إلى ذى سلطان فان من خضع لصاحب سلطان أو لمن يخالف دينه طلبا لما فى يديه من دنياه مقته الله ووكله اليه . فان تحصل على شيء من دنياه نزعت البركة منه ولم يؤجر عليه . وما ألطف قول بعضهم :

تورع عن سؤال الخلق طرا　　وسل ربا كريما ذا هبات
ودع زهرات دنياك اللواتى　　تراها لا محالة ذاهبات

(وقال بعض العارفين) الورع فى المنطق أكمل منه فى الذهب والفضة كما أن الزهد فى الرياسة أكمل منه فى الذهب والفضة وبهذا يتضح قصور قول بعضهم :

إنى وجدت ولا أقول بغيره　　أن التورع ضد هذا الدرهم
فاذا قدرت عليه ثم تركته　　فاعلم بأن تقاك تقوى مسلم

(وأوحى) الله إلى موسى عليه السلام لم يتقرب إلى المتقربون بمثل الورع والزهد (ومن المواعظ اللطيفة) ما حكى أن رجلا كتب رقعة وهو فى بيت بالكراء فأراد أن يتربها من جدار البيت فخطر بباله أنه بالكراء ثم خطر بباله أنه لا خطر لهذا القدر وتربها فسمع هاتفا يقول سيعلم المستخف بالتراب . ماسيلقاه غدا من طول الحساب . ثم قال المصنف رضى الله عنه :

وَذَوْقٌ وَشَوْقٌ وَالْحُضُورُ بِقَلْبِهِ
وَقَطْمِ مُرَادِ النَّفْسِ عَنْ كُلِّ شَهْوَةِ

الذوق والشوق من الأحوال التى تنشأ عن نحو فطم مراد النفس عن كل شهوة والأذواق التى يشير اليها القوم عبارة عن نورعرفانى يقذفه الحق بتجليه فى قلوب أوليائه به تحل الرموز ، وتفتح الكنوز ، وتدرك المعارف التى أفاضها عليهم الكريم الوهاب ، من غير أن ينقلوا ذلك من كتاب ، ولذا قيل لبعضهم ماحقيقة الذوق ، فقال هو فوق الفوق ، وقد حده لسانى ، بما شهده جنانى :

الذوق لطف مع الأرواح يبرزه نطق اللسان بما فى القلب من حكم

وأما الشوق فهو انجذاب القلب إلى مشاهدة المحبوب ، ويقال هو نار الله أشعلها فى قلوب أوليائه حتى يحرق بها ما فى قلوبهم من الخواطر والإرادات ، والعوارض والحاجات ، وهو ناشىء عن المحبة فاذا بلغه العبد استبطأ الموت شوقا إلى ربه ، وأخذ فى التواجد والتطاير إلى حظيرة قربه :

فقل للذى ينهى عن الوجد أهله إذا لم تذق معناشراب الهوى دعنا
إذا اهتزت الارواح شوقا إلى اللقا ترقصت الأشباح يا جاهل المعنى
فياحادى العشاق قم واحد قائما وزمزم لنا باسم الحبيب وروحنا

وقد قالوا كشف النقاب . أشهى للمشتاق من لبس الثياب :

فبح باسم من أهوى ودعنى من الكنى فلا خير فى اللذات من دونها ستر

ويقال إن شوق أهل القرب أتم من شوق غيرهم . لقول قائلهم :

وأبرح مايكون الشوق يوما إذا دنت الخيام من الخيام

فتأمل أيها المتجافى عن درك المرام ، وأقبل على مولاك الكريم الذى أوحى إلى داود عليه السلام ، لو يعلم المدبرون عنى كيف انتظارى لهم ورفقى بهم وشوقى إلى ترك معاصيهم لماتوا شوقا إلى وتقطعت أوصالهم

من محبتى ياداود هذه إرادتى للمدبرين عنى فكيف إرادتى المقبلين على ومن الشروط الخاصة بالذكر ومجالسة الحق الحضور أى حضور المريد مع الله بقلبه بأن لا يكون غافلا ولا ذاهلا عن الله تعالى عند ذكره فان القلوب . أوعية أسرار الغيوب . فرب ذاكر الله لحظة بقلب حاضر خير ممن ذكره ألف سنة بلاحضور قلب ، وثمرة حضور العبد مع الله شهوده له تعالى فى كل شىء بحيث يعلم أنه ناظراليه . ومطلع عليه . وعند ذلك يتحقق بقوله تعالى فى كتابه المجيد . وهو أقرب اليه من حبل الوريد ، ومن الشروط فطم مراد النفس عن كل شهوة أى منعها عن كل شهوة مرادة لها ، وقمعها عن الاسترسال فيما يمنعها عن الترقى لأوج كمالاتها . على حـــد قول الإمام البوصيرى :

والنفس كالطفل إن تهمله شب على ... حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم
فاصرف هواها وحاذر أن توليه ... إن الهوى ما تولى يصم أو يصم
وراعها وهى فى الأعمال سائمة ... وإن هى استحلت المرعى فلا تسم
كم حسنت لذة للمرء قاتلة ... من حيث لم يدر أن السم فى الدسم

ومن الحكم النوابغ قول بعضهم :

إذا مادعتك النفس يوما لشهوة ... وكان عليها للخلاف طريق
فخالف هواها ما استطعت فانما ... هواها عدو والخلاف صديق

(وقال عكرمة) فى قوله تعالى ولكنكم فتنتم أنفسكم يعنى بالشهوات وتربصتم يعنى بالتوبة وارتبتم يعنى فى أمر الله وغرتكم الأمانى يعنى بالتسويف حتى جاء أمر الله يعنى الموت وغركم بالله الغرور يعنى الشيطان (وقال بعضهم) من استولت عليه النفس صار أسيرا فى حكم الشهوات . محصورا فى سجن الهوى والمخالفات . قد حرم الله على

الفوائد أن تسكن فؤاده . ومنعه حلاوة فهم كلامه وإن أكثر ترداده ، فيكون داخلا فى شديد وعيد سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق ، وهذا عذاب أصحاب الأنفس فى الدنيا ولعذاب الآخرة أشق ، وما ألطف قول بعضهم :

اذا المرء أعطى نفسه كل ما اشتهت ولم ينهها تاقت الى كل باطل
وساقت لليه الإثم والعار بالذى دعته إليه من حلاوة عاجل

(وقال محمد بن جعفر البغدادى) رأيت فى منامى حوراء ما رأيت أحسن منها فقلت زوجينى من نفسك فقالت اخطبنى من سيدى فقلت وما مهرك قالت حبس النفس عن مألوفاتها (وقال موسى) عليه السلام فى مناجاته يارب متى تكون لى فقال اذا لم تكن لنفسك قال ومتى لا أكون لنفسى قال اذا نسيتها (واعلم) أن العلم قائد للنفس الى طرق الخيرات . والخوف سائق لها وهى بين ذلك جموح تميل الى المخالفات ، فراعها بسياسة العلم وسقها بسوط الخوف يتم لك ما تريد ثم قال المصنف رضى الله عنه

وَزُهْدٌ وَقَنْعٌ بِالْكَفَافِ وَرَهْبَةٌ مِنَ اللهِ فِى حَالَىْ رَخَاءٍ وَشِدَّةٍ

أى ومن الأصول زهد فى الدنيا (ولما فى الحديث) ازهد فى الدنيا يحبك الله وازهد فيما فى أيدى الناس يحبك الناس ولله در القائل :

كن زاهدا فيما حوته يد الورى تضحى إلى كل الانام حبيبا
أو ما ترى الخطاف حرم زادهم فغدا مقيما فى البيوت ربيبا

(قال الامام أحمد بن حنبل) الزهد على ثلاثة أوجه ترك الحرام وهو زهد العوام وترك الفضول من المال وهو زهد الخواص وترك ما يشغل العبد عن الله تعالى وهو زهد العارفين (وقال بعض الفضلاء) من استوى

عنده المدح والذم فهو زاهد وذلك لان الزهد يكون أولا فى المال ثم فى الطعام ثم فى اللباس ثم فى الاستئناس بالناس ولا يزهد فى الحمد مع عدم المبالاة بالذم إلا من كمل زهده فى الرياسة وهو أعلى المراتب ولذا قيل آخر مايخرج من قلوب الصديقين حب الرياسة (وقال بعض العارفين) علامة الزهد فى شيء من الدنيا سرور القلب بفقده (وقال بعضهم) الزهد هو أن لاتطلب المفقود حتى تفقد الموجود (وقال الفضيل بن عياض) الزهد حرفان فى كتاب الله تعالى لا تأسوا على مافاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم (وقال إبراهيم بن أدهم) على القلب ثلاثة أغطية الفرح والحزن والسرور فاذا فرحت بالموجود فأنت حريص والحريص محروم وإذا حزنت على المفقود فأنت ساخط والساخط معذب وإذا سررت بالمدح فأنت معجب والمعجب محبط عمله اه . فالعاقل من تدبر عاقبة أمره ومصيره ، ونظر ليتخلص من دنياه بعين البصيرة ، واغتر بظلها الزائل ، واتعظ بقول القائل :

تأمل سطور الكائنات فانها ... من الملأ الأعلى اليك رسائل
لقد خط فيها لو تأملت سطرها ... ألا كل شيء ماخلا الله باطل

وقد شبهوا حال الدنيا وأهلها والزاهدين فيها بحال طعام صنعه صانعه من السكر وعجنه بالسم بحضور بعض الناس دون بعض ثم وضعه بين يدى من أبصره فى حال صنعه ومن لم يبصره فان من أبصره وعلم ما فيه من الآفات لايقرب منه ، ومن غاب عنه ذلك اغتر بما فيه من الحلاوة وحرص عليه ولا يصبر عنه :

لحلاوة الدنيا لجاهلها ... ومرارة الدنيا لمن عقلا

ووصفها بعضهم بقوله :

إذا أدبرت كانت على القلب حسرة ... وإن أقبلت كانت كثيرا همومها

وقال أبو نواس :

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت له عن عدو فى ثياب صديق

وقال الصلاح الصفدى :

ما هذه الدنيا وإن أقبلت عليك أو ولت بدار المقام
فسام لما سام فيها البقا دار به صرف المنايا وحام

وما ألطف قول بعضهم :

من ملك الدنيا ودانت له فالجهل كل الجهل أن يحسدا
تعطيه كالمشفق لكنها تبطش فى الأخذ كبطش العدا
مبتدأ حلو لمن ذاقه ولكن انظر خبر المبتدا

ولله در من قال :

وزهرة الدنيا وإن أينعت فانها تسقى بماء الزوال

وقال الإمام الشافعى رضى الله عنه :

كم ضاحك والمنايا فوق هامته لو كان يعلم غيبا مات من كمد
من كان لم يؤت علما فى بقاء غد ماذا تفكره فى رزق بعد غد

وقال ابن الوردى :

قصر الآمال فى الدنيا تفز فدليل العقل تقصير الأمل
إن من يطلبه الموت على غرة منه جدير بالوجل

وما ألطف قول أبى الفتح البستى :

زيادة المرء فى دنياه نقصان وربحه غير محض الخير خسران
وكل وجدان حظ لاثبات له فان معناه فى التحقيق فقدان

ومن أصول الطريق قنع بضم القاف وسكون النون أى رضا بالكفاف أى بما يكفى الإنسان ويكفه عن ذل السؤال على حد ما قيل :

أيها المرء ان دنياك بحر موجه طافح فلا تأمنها

وسبيل النجاة فيها منير | وهو أخذ الكفاف والقوت منها

(وفى الحديث) ما من يوم طلعت فيه شمسه إلا وملكان يناديان يسمعهما خلق الله إلا الثقلين أيها الناس هلموا إلى ربكم إن ما قل وكفى خير مما كثر وألهى (ومن النصائح):

إذا أظمأتك أكف اللئام | كفتك القناعة شبعا وريا
فكن رجلا رجله فى الثرى | وهامة همته فى الثريا
أبيا بنفسك عن باخل | تراه بما فى يديه أبيا
فان إراقة ماء الحيا | ة دون إراقة ماء المحيا

ولبعضهم مع حسن الجناس:

إذا ما نازعتك النفس حرصاً | فأمسكها عن الشهوات أمسك
ولا تحرص ليوم أنت فيه | وعد فرزق يومك رزق أمسك

ومما قيل فيمن ألهاه الغنى مع حسن التورية:

وصاحب لما أتاه الغنى | تاه ونفس المرء طماحة
وقيل هل أبصرت منه يدا | تشكرها قلت ولا راحة

(وقال بعض العارفين) صاحب القناعة ومالك الدنيا غير متساويين بل صاحب القناعة أقل حزنا وأطيب نفسا وأقر عينا كما قال الصفى الحلى فى هذا المعنى:

قناعة المرء بما عنده | مملكة ما مثلها مملكة
فارضوا بما قد جاء عفوا ولا | تلقوا بأيديكم إلى التهلكة

وقال بعضهم:

هى القناعة فالزمها تعش ملكا | لو لم يكن منك إلا راحة البدن
وانظر لمن ملك الدنيا بأجمعها | هل راح منها بغير القطن والكفن

وقال الإمام النووى :

وجدت القناعة أصل الغنى فصرت بأذيالها ممتسك
فلا ذا يرانى على بابه ولا ذا يرانى به منهمك
وعشت غنيا بلا درهم أمر على الناس شبه الملك

وقال بعضهم :

غنى المرء ما يكفيه من سد خلة فان زاد شيئا عاد ذاك الغنى فقرا

ولله در من قال :

ومن سره أن لا يرى ما يسوءه فلا يتخذ شيئا يخاف له فقدا

فالراحة كلها فى الرضا بالمقسوم . والتعب كله فى تتبع الهموم . ولذا قيل :

يقول الزمان ولم تستمع لمن طلب الرزق أو أمله
أنا حرب من جد فى كسبه ومن يتقنع تعصبت له

(وسئل) النبى ﷺ عن القناعة فقال هى الإياس مما فى أيدى الناس وإياكم والطمع فانه الفقر الحاضر (وقال ﷺ) عز من قنع وذل من طمع (وقال) ﷺ القناعة كنز لا يفنى (قال بعضهم) وإنما كانت القناعة كنزا لا يفنى لأن حقيقتها الرضا باليسير وذلك يتضمن ترك استيفاء الحظوظ التى لاضرورة فى تناولها وفى الترك توسع عظيم يكاد أن لا ينحصر فكلما طلبت النفس حظا زائدا على ماهى محتاجة إليه وأرضيت بترك ذلك الزائد فقد أنفق عليها من كنز الترك الذى لا ينفد ولله در من قال :

إذا رمت أن تستقرض المال منفقا على شهوات النفس فى زمن العسر
فسل نفسك الإنفاق من كنز صبرها عليك وإرفاقا إلى زمن اليسر
فان رضيت كنت الغنى وان أبت فكل منوع بعدها واسع القدر

وما ألطف قول ابن الفارض :

وأنفقت من يسر القناعة راضيا من العيش فى الدنيا بأيسر بلغة

وهذبت نفسى بالرياضة ذاهبا　　الى كشف ماحجب العوائد غطت

(وقال الامام على) كرم الله وجهه طلبت الغنى فوجدته فى القناعة ،

(ولأبى العتاهية) :

تسربلت أخلاق قنوعا وعفة　　فعندى بأخلاقى كنوز من الذهب
فلم أر خصبا كالقنوع لأهله　　وأن يجمل الإنسان ماعاش فى الطلب

وما ألطف قول بعضهم :

ذرينى ونفسى فى العفاف فاننى　　جعلت عفافى فى حياتى ديدنى
وأعظم من قطع اليدين على الفتى　　صنيعة بر نالها من يدى دنى

ولله در من قال :

اذا المرء عوفى فى جسمه　　وأعطاه مولاه قلبا قنوعا
وأعرض عن كل مالا يليق　　فذاك المليك ولومات جوعا

وقال الإمام الشافعى رضى الله عنه :

ورزقك لايفوتك بالتوانى　　وليس يزيد فى الرزق العناء
اذا ماكنت ذا قلب قنوع　　فأنت ومالك الدنيا سواء

وقال أيضا رضى الله عنه :

أمت مطامعى فأرحت نفسى　　فان النفس ماطمعت تهون
وأحييت القنوع وكان ميتا　　ففى احيائه عرضى مصون
إذا طمع يحل بقلب عبد　　علته مهانة وعلاه هون

وقال السراج الوراق :

مالى أذل وللقناعة عزة　　أنجو بها من ذلة وهوان
وأصون وجهى أن يذل لأوجه　　منحوتة من عالم الصوان
والقوم كالاصنام والإسلام نز　　هنى عن الأصنام والأوثان

وقال الامام القسطلانى :

قنعت بالقوت من زمانى　　وصنت نفسى عن الهوان

لا ينبغى أن أرى بعينى ... مكان من لا يرى مكانى
لى قيل أن أموت رزق ... لو جهد الخلق ما عدانى
فاستغن بالله عن فلان ... وعن فلان وعن فلان

وما ألطف ما قيل :

إذا شئت أن تحيا غنيا فلا تكن ... على حالة إلا رضيت بدونها

ويرحم الله القائل :

لا تخضعن لمخلوق على طمع ... فان ذلك وهن منك فى الدين
واسترزق الله مما فى خزائنه ... فان ذلك بين الكاف والنون
واستغن بالله عن دنيا الملوك كما استغنى الملوك بدنياهم عن الدين

وقيل لابراهيم بن أدهم كيف أنت فقال :

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا ... فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع
فطوبى لعبد آثر الله ربه ... وجاد بدنياه لما يتوقع

وما ألطف قول بعضهم :

هب الدنيا تساق اليك عفوا ... أليس مصير ذاك إلى الزوال
وما دنياك الامثل ظل ... أظلك ثم آذن بانتقال

ومن النصائح :

ياراقد الليل مسرورا بأوله ... إن الحوادث قد يطرقن أسحارا
أفنى القرون التى كانت منعمة ... كر الجديدين إقبالا وإدبارا
كم قد أبادت صروف الدهر من ملك ... قد كان فى الدهر نفاعا وضرارا
يامن يعانق دنيا لا بقاء لها ... يمسى ويصبح فى دنياه سفارا
هلا تركت من الدنيا معانقة ... كيما تعانق فى الفردس أبكارا

وقال أبو العتاهية :

هى الدار دار الأذى والقذى ... ودار الفناء ودار العبر

فلو نلتها بحـــذا فيره‌ا لمت ولم تقض منها الوطر
أيا من يؤمل طول الخلود وطول الخلود عليه ضرر
إذا ما كبرت وبان الشباب فلا خير فى العيش بعد الكبر

وأجاد القائل :

النفس تأبى أن تكون فقيرة والفقر خـــير من غنى يطغيها
فغنى النفوس هو الكفاف فان أبت فجميع ما فى الأرض لا يكفيها

وقال آخر :

تمتع بما يكفيك واستعمل الرضا فانك لا تدرى أتصبح أم تمسى
فليس الغنى عن كثرة المال إنما يكون الغنى والفقر من قبل النفس

وما ألطف قول بعضهم :

خـذ من العيش ما كفى فهو إن زاد أتلفـــا
كسراج منـــور إن طفـا دهنـه انطفـا

فالكفاف حالة متوسطة بين الفقر والغنى وخير الأمور أوسطها

ولذا قال ﷺ اللهم اجعل رزق آل محمد كفافا (وقال ﷺ) ثلاثة يدخلون الجنة بغير حساب رجل أراد أن يغسل ثوبه فلم يجد له خلقة يلبسها ورجل لم ينصب على مستوقده قدرين ورجل طلب شرابه فلم يقل له أيهما تريد (وروى) عن أبى الدرداء رضى الله عنه أنه قال لأن أقع من فوق قصر فاتحطم أحب إلى من مجالسة الغنى لانى سمعت رسول الله ﷺ يقول إياكم ومجالسة الموتى قيل يارسول الله ومن الموتى قال الأغنياء والنهى عن ذلك لأن مجالستهم لا يسمع فيها غالبا إلا مدح الدنيا والتمكن من الجاه والمال والنفس مائلة الى كل لذيذ فينغرس فى القلب محبتها والمراد أنهم موتى القلوب بمحبة الدنيا حتى اشتغلت عن أعمال الآخرة و(ما ألطف) قول ابن عطاء الله فى حكمه أن أردت ورود المواهب عليك . صحح الفقر والفاقة لديك

إنما الصدقات للفقراء (وقد كان) عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى غاية من الزهد والتقلل من الدنيا حتى أن قميصه كان فيه أربع رقاع بين كتفيه وأبطأ يوما عن الخروج لصلاة الجمعة وهو خليفة ثم خرج فاعتذر للناس وقال إنما حبسنى عنكم ثوبى هذا كان يغسل وليس عندى غيره وكان يبرد فى الشتاء حتى ترعد مفاصله فيقال له ألا تأخذ لك من بيت مال المسلمين كساء فانه واسع فيقول لا أنقص المسلمين من بيت مالهم شيألى وكان لا يجمع فى سماطه بين إدامين حتى أن ان بنته حفصة قدمت له مرقا باردا وصبت عليه زيتا فقال أدمان فى أناء واحد لا آكله حتى ألقى الله عز وجل ومع ذلك كان يقول وددت أن أخرج من الدنيا كما دخلت لا أجر لى ولا وزر على ولما مات رآه العباس رضى الله عنه فى المنام فقال له كيف وجدت الأمر يا أمير المؤمنين فقال كاد عرشى يهوى بى لولا أنى وجدت ربا رحيما (وكان) الإمام على كرم الله وجهه يرقع قميصه ويقول إن لبس المرقع يخشع القلب ومما ينسب له رضى الله عنه .

حقيق بالتواضع من يموت ويكفى المرء من دنياه قوت
فما للمرء يصبح ذا هموم وحرص ليس تدركه النعوت
فيا هذا سترحل عن قريب إلى قوم كلامهم السكوت

(ولما) تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة وضع ماله ومال زوجته فاطمة بنت عبد الملك فى بيت مال المسلمين وصارا كآحاد الناس حتى انه صار لا يملك إلا قميصا واحدا وهى كذلك فاذا أراد غسله مكث فى البيت حتى يجف على حد ما قيل :

قوم إذا غسلوا الثياب رأيتهم لبسوا البيوت وزرروا الابوابا

ومع ما كان عليه من الورع والزهد والعدل الذى ضرب به المثل كان

له سرب ينزل فيه كل ليلة ويضع الغل فى عنقه فلا يزال يبكى ويتضرع إلى الصباح وقيل له فى مرض الموت تركت أولادك وهم ثلاثة عشر ليس لهم درهم ولا دينار فقال لم أمنعهم حقالهم ولم أعطهم حقا لغيرهم وإنما ولدى أحد رجلين إما مطيع لله فالله تعالى كافيه وهو يتولى الصالحين وإما عاص لله فما أبالى بما وقع له .

(ومن النصائح النبوية) قوله ﷺ أيها الناس أذكروا هازم اللذات فانكم إن ذكرتموه فى ضيق وسعه عليكم وإن ذكرتموه فى غنى بغضه اليكم إن المنايا قاطعات الآمال والليالى مدنيات الآجال وان العبد بين يومين يوم قد مضى أحصى فيه عمله فختم عليه ويوم قد بقى لا يدرى لعله لا يصل إليه وإن العبد عند خروج نفسه وحلول رمسه يرى جزاء ما أسلف وقلة غناء ما خلف أيها الناس إن فى القناعة لغنى وإن فى الاقتصاد لبلغة وان فى الزهد لراحة وإن لكل عمل جزاء وكل آت قريب (وقال بعض الحكماء) الدنيا إنما تراد لثلاثة العز والغنى والراحة فمن زهد فيها عز ومن ترك الانهماك فيها استراح (ولما) اجتمع هرون الرشيد بالبهلول قال له عظنى فقال بم أعظك هذه قصورهم . وهذه قبورهم . ثم قال كيف بك يا أمير المؤمنين إذا أقامك الحق تعالى بين يديه وسألك عن النقير والقتيل والقطمير وأنت عطشان جيعان عريان وأهل الموقف ينظرون اليك ويضحكون فخنقته العبرة وأمر له بصلة فقال ردها على من أخذتها منهم قبل أن لا تجد لهم شيأ ترضيهم به ثم أنشد

دع الحرص على الدنيا ... وفى العيش فلا تطمع
ولا تجمع من المال ... فما تدرى لمن تجمع
فان الرزق مقسوم ... وسوء الظن لا ينفع
فقير كل ذى حرص ... غنى كل من يقنع

ولله در ابن زريق حيث قال من قصيدته المشهورة .

وما بجاهـــدة الإنسان واصلة رزقا ولا دعة الإنسان تقطعه
قد وزع الله بين الخلق رزقهمو لم يخلق الله من خلق يضيعه
لكنهم كلفوا حرصا فلست ترى مسترزقا وسوى الغايات يقنعه
والحرص فى الرزق والارزاق قد قسمت بغى ألا أن بغى المرء يصرعه

وما ألطف ما قيل :

عزيز النفس من لزم القناعة ولم يكشف لمخلوق قناعه
أفادتنا القناعة كل عز وهل عز أعز من القناعة
فصيرها لنفسك رأس مال وصير بعدها التقوى بضاعة
لتغنى فى حياتك عن لئيم وتسعد فى الجنان بصبر ساعة

(قال ابن عباس) رضى الله عنهما ما اتعظت بعد رسوله ﷺ بمثل كتاب كتبه إلى على بن أبى طالب كرم الله وجهه أما بعد فان الإنسان ليسره درك مالم يكن ليفوته ويسوءه فوت مالم يكن ليدركه فلا تكن بما نلت من دنياك فرحا ولا لما فاتك منها ترحا . ولا تكن ممن يرجو الآخرة بغير عمل ويؤخر التوبة لطول الأمل . فكأن قد والسلام ومما ينسب له كرم الله وجهه

النفس تبكى على الدنيا وقد علمت أن السلامة فيها ترك مافيها
لادار للمرء بعد الموت يسكنها الا التى كان قبل الموت بانيها

(وحكى) أن رجلا خطر بباله وهو فى الطواف طلب الدنيا فلما نام سمع هاتفا يقول :

أقسمت بالبيت العتيق وركنه والطائفين ومنزل الفرقان
ما العيش فى المال الكثير وجمعه بل فى الكفاف وصحة الأبدان

ومن الأصول رهبة وهى أعلى مراتب الخوف الذى هو أصل من أصول طريق القوم يقال رهب رهبا من باب تعب خاف والاسم الرهبة (قال بعض العارفين) فى وصيته لمن قال له أوصنى كن كرجل احتوشته السباع فهو

خائف مذعور يخاف أن يسهو فتفترسه أو يلهو فتنهشه فليله ليل مخافة إذا أمن فيه المغترون . ونهاره نهار حزن اذا فرح فيه البطالون . ثم قال الطالب عند الاستزادة أن الظمآن يقنع بيسير الماء (واعلم) أن من خاف من الله تعالى أخاف الله منه كل شيء ومن خاف غير الله سلطه الله عليه لان الجزاء من جنس العمل (قال بعضهم) خرجنا ليلة فررنا بأجمة مسبعة واذا رجل نائم وفرسه عند رأسه ترعى فحركناه وقلنا له أتنام فى هذا الموضع المخوف المسبع فرفع رأسه وقال أنا أستحى منه تعالى أن أخاف غيره ووضع رأسه ونام (وروى) أن ابن عمر رضى الله عنهما كان فى بعض الأسفار فلقى جماعة واقفين على الطريق خوفا من السبع فتقدم هو إلى السبع وطرده من طريقهم ثم قال إنما يسلط على ابن آدم ما يخافه ولو أنه لم يخف غير الله لما سلط عليه شيء (وقد جرى) مثل هذا لابراهيم بن أدهم فانه لما كان فى قافلة وتعرض السبع لها تقدم اليه وقال له يا أبا الحارث إن كنت أمرت فينا بشيء وإلا فتنح عن طريقنا فهمهم وتنحى عن الطريق فتعجبوا من ذلك فقال لهم إبراهيم ما على أحدكم أن يقول إذا أصبح وإذا أمسى اللهم أحرسنا بعينك التى لا تنام . واحفظنا بركنك الذى لا يرام . وارحمنا بقدرتك علينا فلا نهلك وأنت الرجاء وقوله بعينك أى ذاتك التى لا تنام أى لا يجوز عليها النوم لقوله تعالى لا تأخذه سنة ولا نوم لأن ذلك من صفات الحوادث وقوله لا يرام أى لا يقصد بالمعارضة وإنما عمم المصنف الخوف من الله حيث قال فى حالى رخاء وشدة لأن من لاحظ الخوف فى الحالين فقد شرب بالكأسين . وحال الرخاء هو حال التقلب فى مقام الإحسان والمكاشفات . وحال الشدة هو حال المكابدة والمجاهدات ، ثم قال المصنف رضى الله عنه :

وَتَفْوِيضُ أَمْرٍ ثُمَّ حُسْنُ تَوَكُّلٍ
خُضُوعٌ خُشُوعٌ وَالْبُكَاءُ بِذِلَّةٍ

(اعلم) أن التفويض ثمرة التسليم الذى هو ثمرة التوكل وإنما صدر به لكونه أعلى مراتب التوكل الذى هو حال العارفين . ثم ثنى بالتوكل الذى هو حال المبتدئين . والتفويض رد كل أمر الى الفاعل المختار . فانه الذى يفعل ما يشاء ويختار . وإن أردت أن تكون من الأكابر السادات . فكن متذكرا قول بعض أهل الإشارات :

تذكر جميلى عند كونك نطفة ولا تنس تصويرى لشخصك فى الحشا
وسلم لى التدبير واعلم بأننى أنفذ أحكامى وأفعل ما أشا

(وقد مر) بعض الصوفية برجل قد صلبه الحجاج فقال يارب إن حلمك على الظالمين . قد أضر بالمظلومين . فرأى فى منامه أن القيامة قد قامت وكأنه قد دخل الجنة فرأى المصلوب فى أعلى عليين وإذا مناد ينادى حلمى على الظالمين . قد جعل المظلومين فى أعلى عليين . (ومن الطائف) أن بعضهم رأى امرأة جميلة مع رجل قبيح المنظر فقال لها أترضين أن تكونى معه فقالت قد أسأت ياهذا حيث لم تترك التدبير . إلى العليم الخبير . لعل زوجى أحسن فيما بينه وبين الله تعالى لجعلنى ثوابه ولعلى أسأت فيما بينى وبينه لجعله عقوبتى أفلا أرضى به الحكيم العليم (وحكى) أن رجلا من الصالحين كان يقول فيما يصيبه الخيرة فيما اختاره الله وكان فى بادية ومعه أهله وليس له إلا حمار يحمل عليه متاعه وكلب يحرسهم وديك يوقظهم فجاء الثعلب وأخذ الديك فقال خيرة ثم جاء ذئب فقتل الحمار فقال خيرة ثم أصيب الكلب فمات فقال خيرة فتعجب أهله من ذلك حتى أصبحوا وقد سبى من حولهم واسترقت أولادهم وكان قد عرف مكان بعضهم بصوت الديكة ومكان البعض الآخر بنهيق الحمير ونبح الكلاب فقال قد رأيتم أن الخيرة فيما اختاره الله فلو لم يهلكهم لهلكنا وأخذت أولادنا وما ألطف ما قيل :

كن عن همومك معرضا وكل الأمور إلى القضا

وابشر بخير عاجل تنسى به ما قد مضى
فلرب أمر مسخط لك فى عواقبه رضا
ولربما اتسع المضيق وربما ضاق الفضا
الله يفعل مايشاء فلا تكن متعرضا
الله عودك الجميل فقس على ماقد مضى

(ومن لطائف التدبير) الذى يعجز عنه غير العليم الخبير . ماحكى أنه بعض الأنبياء كان يتعبد فى جبل وبالقرب منه عين ماء فجاء فارس فشرب منها ونسى صرة فيها دنانير ثم جاء آخر فأخذها وانصرف ثم بعدذلك جاء رجل فقير وعلى رأسه حزمة حطب فشرب من الماء واستلقى يستريح فرجع الفارس فى طلب الصرة فلم يرها فاخذ الفقير وقتله فقال النبى إلهى إن هذا الفقير لم يأخذ الصرة فكيف سلطت هذا الظالم على هذا الفقير حتى قتله وأنجيت من أخذها فأوحى الله إليه إن هذا الفقير كان قتل أبا الفارس فمكنته من القصاص وإن أبا الفارس كان قد أخذ ألف دينار من مال من أخذ الصرة فرددته اليه من تركته ولله در من قال :

تبارك من أجرى الأمور بحكمة كما شاء لا ظلما أراد ولا هضما
فما كان شىء غير ما الله شاءه فان شئت طب نفسا وإن شئت مت كظما

ثم من الأصول حسن توكل وهو الثقة بما عند الله فمن توكل عليه كفاه ومن انقطع إليه آواه (وفى الحديث) من أحب أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله وناهيك قوله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه وقوله سبحانه وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين فالتوكل من لوازم كمال الإيمان لأنه الاعتماد على الخالق . دون رؤية الخلائق . ولا يمنع الأخذ بالاسباب شهود الملك الوهاب (وقال بعض العارفين) فى شرح التوكل هو طرح البدن فى العبودية . وتعلق القلب بالربوبية ، والطمأنينة الى الكفاية فان أعطى

شكر . وإن منع صبر . ويقال علامة المتوكل أن لا يسأل ولا يرد ولا يحبس وأكمل أحوال المتوكل أن يكون بين يدى الله تعالى كالميت بين يدى الغاسل يقلبه كيف أراد لا يكون له حركة ولا تدبير كما قال بعضهم :

حقيقة العبد عندى فى توكله سكون إحساسه عن كل مطلوب
وأن تراه لكل الخلق مطرحا يصون أسراره عن كل محبوب

(وقال أبو على الدقاق) للتوكل ثلاث درجات التوكل ثم التسليم ثم التفويض فالمتوكل يسكن إلى وعده وصاحب التسليم يكتفى بعلمه وصاحب التفويض يرضى بحكمه اهـ

ومعلوم أن كل درجة أرقى مما قبلها فان المتوكل يسكن إلى وعده فى قوله سبحانه وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها ومع ذلك يسأله وأما صاحب التسليم فيكتفى بعلمه تعالى بحاله ولا يسأله وصاحب التفويض يرضى بحكمه تعالى سواء وافق غرضه أو خالفه (لطيفة) قال رجل لحاتم الاصم من أين تأكل فقال ولله خزائن السموات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون (فائدة) قال الدميرى من دخل على من يخاف شره فليقرأ الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم فان الله تعالى ينجيه من شره (ومن الحكم الجامعة) هذه الوصية التى وجدت فى جيب جالينوس بعد موته وهى أحمق الحمق من يملأ بطنه من كل ما يجد وما أكلته فلجسمك وما تصدقت به فلروحك وما خلفته فلغيرك والمحسن حى وإن نقل الى دار البلى والمسىء ميت وان بقى فى الدنيا والقناعة تستر الخلة وبالصبر تدرك الأمور وبالتدبير يكثر القليل ولم أر لابن آدم شيأ أنفع من التوكل على الله تعالى اهـ (ومن جوامع الحكم) ما نقل أن بعض الأبدال مر على طبيب يصف العلاج للمرضى فتقدم إليه وقال له عالج

مرضى فتفكر ساعة ثم قال له خذ عروق الفقر وورق الصبر مع إهليلج التواضع واجمع الكل فى اناء اليقين وصب عليه ماء الخشية وأوقد تحته نار الحزن ثم صفه بمصفاة المراقبة فى جام الرضا وامزجه بشراب التوكل وتناوله بكف الصدق واشربه بكأس الاستغفار وتمضمض بعده بماء الورع واختم عن الحرص والطمع فان الله تعالى يشفيك (وفى الحديث) عنه ﷺ قال لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا وفى هذا الحديث إثبات الأخذ بالأسباب مع التوكل فانه نسب لها الغدو أى الذهاب فى أول النها خماصا بكسر الخاء المعجمة أى جياعا والروح آخره بطانا بكسر الموحدة أى ممتلئة البطون (وفى الحديث) إن الله جعل رزقى تحت ظل رمحى وقد كانت الصحابة رضوان الله عليهم يتجرون فى البر والبحر ويعملون فى نخيلهم أخذا بالأسباب . فلا يصح لأحد أن يخرج عن ذلك مع التوكل على العزيز الوهاب . ولذا قال بعضهم طلب الكسب الحلال لازم كطلب العلم (وقال بعضهم) من اكتسب وأجمل فى الطلب كان من المؤمنين . (وفى الحديث) عنه ﷺ قال لأن يأخذ أحدكم حبلا فيحتطب على ظهره فيأكل ويتصدق خير له من أن يأتى رجلا فيسأله أعطاه أو منعه فان اليد العليا خير اليد السفلى .

ومن ألطف قول بعضهم :

توكل على الرحمن فى الأمر كله ولا ترغبن فى العجز يوما عن الطلب
ألم تر أن الله قال لمريم وهزى إليك الجزع يساقط الرطب
ولو شاء أدنى الجزع من غير هزه إليها ولكن كل شىء له سبب

ومن الشروط خضوع أى استكانة وتواضع (وفى الحديث) من تواضع لله رفعه ومن تكبر وضعه .

(واعلم) أنه ليس المتواضع الذى إذا تواضع رأى أنه فوق ماصنع

ولكن المتواضع هو الذي إذا تواضع رأى أنه دون ما صنع (ومن وصايا الإمام النووي) إياك أن تحتقر أحداً من إخوانك فان العاقبة مجهولة والعبد لا يدري بما يختم له فاذا رأيت عاصيا فلا تعجب بنفسك عليه فربما كان في علم الله أعلى منك مقاما ويصير يشفع فيك يوم القيامة وإذا رأيت صغيرا فاحكم بأنه خير منك باعتبار أنه أقل منك ذنوبا وإذا رأيت كبيرا فاحكم بأنه خير منك لتقدمه في الإسلام اه

ومما ينبه المغترين قول بعض العارفين .

أرى أبناء آدم أبطرتهم حظوظهمو من الدنيا الدنية
فلم بطروا وأولهم مني وآخرهم منية

وقول الناصح الأمين لبعض المختالين :

تتيه وجسمك من نطفة وأنت وعاء لما تعلم

ومن الشروط خشوع وهو هيئة في النفس يظهر منها في الجوارح سكون ويقال هو قيام القلب بين يدي الحق ويقال هو الخوف الدائم في القلب (قيل) أوحى الله الى بعض أنبيائه هب لي من قلبك الخشوع . ومن عينك الدموع . وسلني أستجب لك فاني قريب مجيب (واعلم) أن الخشوع ثمرة الإيمان ونتيجة اليقين الحاصل بجلال الله عز وجل ومن رزق ذلك فانه يكون خاشعا في الصلاة وغيرها فان موجب الخشوع معرفة اطلاع الله تعالى على العبد ومراقبة جلاله

فكن خاشعا لله في كل حالة تكن مؤمنا تزهو بنور يقين

ومن الأحوال المترتبة على شدة الخوف البكاء بذلة بكسر الذال المعجمة أي يتذلل بين يدي الله تعالى فان الخوف الناشىء من خشية الله تدمع منه العين قهرا ويمنع صاحبه من مفارقة السيئات . ويحثه على ملازمة الطاعات (وقد ورد) ما من عبد مؤمن يخرج من عينيه من الدموع مثل رأس الذباب

من خشية الله تعالى إلا حرم الله عليه النار وليس من ذلك بكاء الذين إذا سمعوا ما يقتضى الخوف لم يزيدوا على أن يبكوا ويقولوا يارب سلم وهم مع ذلك مصرون على اتباع الشيطان والأهواء . فان هذا البكاء لاينفع مع مخالفة عالم السر والنجوى ، بل حال هؤلا كحال من قصده سبع ضار وهو الى جانب حصن مفتوح فلم يدخل فيه وإنما اقتصر على قوله رب سلم حتى جاء السبع فأكله فرحم الله عبداً بكت عينه من خشية الله وقام بما يحبه سيده ويرضاه (ومن غرر الحكم) التى توجب البكاء على النفس وشدة الندم ، ما نظمه الشيخ اسميل بن المقرى فى قوله

إلى كم تماد فى غرور وغفلة ... وكم هكذا نوم إلى غير يقظة
لقد ضاع عمر ساعة منه تشترى ... بملء السما والأرض أية ضيعة
أتنفق هذا فى هوى هذه التى ... أبى الله أن تسوى جناح بعوضة
أترضى من العيش الرغيد تعيشه ... مع الملأ الأعلى بعيش البهيمة
فيادرة بين المزابل ألقيت ... وجوهرة بيعت بأبخس قيمة
أفان بباق تشتريه سفاهة ... وسخطا برضوان ونارا بجنة
أأنت صديق أم عدو لنفسه ... فانك ترميها بكل مصيبة
ولو فعل الأعدا بنفسك بعض ما ... فعلت لمستهم لها بعض رحمة
لقد بعتها هونا عليك رخيصة ... وكانت بهذا منك غير حقيقة
فويك استفق لا تفضحنها بمشهد ... من الخلق إن كنت ابن أم كريمة
فبين يديها موقف وصحيفة ... يعد عليها كل مثقال ذرة
كلفت بها دنيا كثيرا غرورها ... تقابلنا فى نصحها بالخديعة
إذا أقبلت ولت وإن هى أحسنت ... أساءت وإن صافت أتت بالكدورة
ولو نلت منها مال قارون لم تنل ... سوى لقمة فى فيك منها وخرقة
فدعها وأهليها بقسم وخذ كذا ... بنفسك عنها فهى كل الغنيمة

ولا تغتبط منها بفرحة ساعة … تعود بأحزان عليك طويلة
فعيشك فيها ألف عام وينقضى … كعيشك فيها بعض يوم وليلة
عليك بما تجزى عليه من التقى … فانك فى لهو عظيم وغفلة
تصلى بلا قلب صلاة بمثلها … يصير الفتى مستوجبا للعقوبة
تصلى وقد أتممتها غير عالم … تزيد احتياطا ركعة بعد ركعة
فويلك تدرى من تناجيه معرضا … وبين يدى من تنحنى غير مخبة
تخاطبه إياك نعبد مقبلا … على غيره فيها لغير ضرورة
ولو رد من ناجاك للغير طرفه … تميزت من غيظ عليه وغيرة
أما تستحى من مالك الملك أن يرى … صدودك عنه يا قليل المروءة
صلاة أقيمت يعلم الله أنها … بفعلك هذا طاعة كالخطيئة
ذنوبك فى الطاعات وهى كثيرة … إذا عددت تكفيك عن كل زلة
سبيلك أن تستغفر الله بعدها … وأن تتلافى الذنب منها بتوبة
فيا عاملا للنار جسمك لين … فجربه تمرينا بحر الظهيرة
وجربه فى لسع الزنابير تجترى … على نهش حيات هناك عظيمة
فان كنت لا تقوى فويلك ما الذى … دعاك إلى إسخاط رب البرية
تبارزه بالمنكرات عشية … وتصبح فى أثواب نسك وعفة
فأنت عليه منك أجرى على الورى … بما فيك من جهل وخبث طوية
تقول مع العصيان ربى غافر … صدقت ولكن غافر بالمشيئة
وربك رزاق كما هو غافر … فلم لم تصدق فيهما بالسوية
فانك ترجو العفو من غير توبة … ولست ترجى الرزق إلا بحيلة
على أنه بالرزق كفل نفسه … ولم يتكفل للأنام بجنة
فلم ترض إلا السعى فيما كفيته … وإهمال ما كلفته من وظيفة
تسىء به ظنا وتحسن تارة … على حسب ما يقضى الهوى فى القضية

وكلها غرر . فيافوز من اعتبر . ثم قال المصنف رضى الله عنه :

وَتَقْوَى إِلٰهِ الْعَرْشِ سِرًّا وَجَهْرَةً
وَحُسْنُ مَسِيرٍ فى عُلُومِ الشَّرِيعَةِ

أى ومن اللوازم لمريد سفر الآخرة تقوى إله العرش فانها الزاد لقوله تعالى وتزودوا فان خير الزاد التقوى وهى كلمة جامعة لكل خير لأن معناها امتثال المأمورات . واجتناب المنهيات . وبذلك يصير العبد فى وقاية من النار . ودرجة عالية مع المتقين بدار القرار . والتحقيق أن التقوى ثلاث مراتب : الأولى التوقى من العذاب المخلد صاحبه وذلك بالتبرى من الكفر وعليه قوله تعالى وألزمهم كلمة التقوى فان المراد بها لا إله إلا الله محمد رسول الله . والثانية التجنب عن كل مافيه لوم . حتى الصغائر عند قوم . وهذا المعنى هو المعنى بقوله تعالى ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيآتهم ولأدخلناهم جنات النعيم . والثالثة أن يتنزه العبد عن كل مايشغل سره عن الحق وهو المعنى المراد بقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته (وقال بعض الأكابر) لايبلغ العبد حقيقة التقوى حتى يكون بحيث لو جعل مافى قلبه فى طبق نظيف فى السوق لم يستح عن نظر اليه (وقال بعض العارفين) إن خيرات الدنيا والآخرة جمعت تحت كلمة واحدة وهى التقوى وإن شئت فانظر إلى ما فى القرآن الكريم من ذكرها فكم علق عليها من خير ووعد عليها من ثواب وأضاف اليها من سعادة دنيوية وكرامة أخروية . ولنذكر لك من خصالها وآثارها الواردة فيها ثلاث عشرة خصلة . الأولى المدحة والثناء قال تعالى وإن تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الأمور . الثانية الحفظ والوقاية قال تعالى وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا . الثالثة التأييد والنصر قال تعالى إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون . الرابعة والخامسة النجاة من الشدائد

والرزق الحلال قال تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لايحتسب كما قيل فى ذلك :

ومن يتق الله يجعل له كما قال من أمره مخرجا
ويرزقه من غير حسبانه وإن ضاق أمر به فرجا

السادسة والسابعة إصلاح العمل وغفران الذنوب قال تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم الثامنة محبة الله تعالى قال تعالى ان الله يحب المتقين . التاسعة الإكرام والإعزاز قال تعالى إن أكرمكم عند الله أتقاكم . العاشرة التيسير فى الأمور قال تعالى ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا . الحادية عشرة البشارة بكل خير فى الدنيا والآخرة . قال تعالى الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة . الثانية عشرة النجاة من النار قال تعالى ثم ننجى الذين اتقوا . الثالثة عشرة الخلود فى الجنة قال تعالى أعدت للمتقين . فقد ظهر لك أن سعادة الدارين منطوية فيها فطوبى لمن وفقه الله وناهيك قول الله تعالى ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله . فان الله أعلم بصلاح عبيده من كل أحد ولو كان فى الدنيا خصلة هى أصلح للعبد وأجمع للخير من هذه الخصلة لوصى بها .

ولله در ابن الوردى حيث قال :

واتق الله فتقوى الله ما جاورت قلب امرىء إلا وصل
ليس من يقطع طرقا بطلا إنما من يتق الله البطل

(ومن اللطائف) أن رجلا كتب إلى صالح بن عبد القدوس :

الموت باب وكل الناس داخله فليت شعرى بعد الباب ما الدار

فأجابه بقوله :

الدار جنات عدن إن عملت بما يرضى الإله وإن خالفت فالنار
هما محلان ما للناس غيرهما فانظر لنفسك ماذا أنت مختار

(وقد سئل) جعفر الصادق عن حقيقة العبودية فقال أن لا يرى العبد لنفسه فيما خوله الله تعالى ملكا ولا يرى لنفسه تدبيراً وأن يجعل اشتغاله بما أمره الله به فاذا أكرم الله العبد بهذه الثلاث هانت عليه الدنيا وكان من المتقين لقوله تعالى تلك الدار الآخرة الا نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين (ويلزم) أن لا تنظر فى عبادتك الى غناء عنها فانه تعالى لو نظر إلى ذلك لم يطلبها منك بل نظر الى حاجتك اليها وكمالك بها فانظر الى ما نظره لك وإلا أفسدت النظام . واستوجبت الملام (وقال بعض العارفين) من أخرجه الله من ذل المعصية إلى عز التقوى أغناه بلا مال وأعزه بلا عشيرة وآنسه بلا أنيس ومن رضى من الله باليسير من الرزق رضى منه باليسير من العمل ومن زهد فى الدنيا أثبت له الحكمة فى قلبه وأنطق بها لسانه وبصره بعيوب الدنيا وأخرجه منها سالما إلى دار السلام . وما ألطف ماقيل :

ولا عيش إلا مع رجال قلوبهم تحن إلى التقوى وترتاح للذكر

(وروى) أن عابدا يقال له همام جاء إلى الإمام على كرم الله وجهه وقال له صف لى المتقين حتى كأنى أنظر اليهم فقال هم الذين منطقهم الصواب وملبسهم الاقتصاد ومشيهم التواضع غضوا أبصارهم عما حرم الله عليهم ووقفوا أسماعهم على العلم النافع لهم نزلت أنفسهم فى البلاء كالتى نزلت فى الرخاء لولا الأجل الذى كتب الله لهم لم تستقر أرواحهم فى أجسادهم طرفة عين شوقا إلى ربهم عظم الخالق فى أنفسهم فصغر مادونه فى أعينهم قلوبهم محزونة وشرورهم مأمونة وأجسادهم نحيفة وحاجاتهم خفيفة وأنفسهم عفيفة صبروا أياما قصيرة أعقبتهم راحة طويلة تجارة رابحة

سيرها لهم ربهم أرادتهم الدنيا فلم يريدوها وأسرتهم ففدوا أنفسهم منها أما الليل فصافون أقدامهم يرتلون لأجزاء القرآن ترتيلا فإذا مروا بآية فيها تشويق ركنوا اليها طمعاً وتطلعت نفوسهم اليها تشوقا وإذا مروا بآية فيها تخويف صغوا اليها بمسامع قلوبهم وظنوا أن زفير جهنم وشهيقها فى أصول آذانهم فهم جاثون على ركبهم يطلبون من الله فكاك رقابهم ، وأما النهار فحلماء علماء أبرار أتقياء قد براهم الخوف برى القداح ينظر اليهم الناظر فيحسبهم مرضى وما بالقوم من مرض لا يرضون من أعمالهم بالقليل ولا يستكثرون الكثير فهم لأنفسهم متهمون ومن أعمالهم مشفقون إذا زكى أحدهم خاف مما يقال له فيقول أنا أعلم بنفسى من غيرى وربى أعلم بنفسى منى اللهم لا تؤاخذنى بما يقولون واجعلنى أفضل مما يظنون واغفر لى مالا يعلمون فمن علامة أحدهم أنك ترى له قوة فى الدين وحزما فى لين وإيماناً فى يقين وحرصاً فى علم وعملا فى حلم وقصدا فى غنى وخشوعا فى عبادة وتجملا فى فاقة وصبرا فى شدة وطلبا فى حلال ونشاطاً فى هدى وتحرجا عن طمع يعمل الأعمال الصالحة وهو على وجل يمسى وهمه الشكر ويصبح وهمه الذكر يبيت حذرا ويصبح فرحا حذرا من الغفلة وفرحا بما أصاب من الفضل والرحمة إذا استصعبت عليه نفسه فيما يكره لم يعطها سؤلها فيما تحب قرة عينه فيما لا يزال وزهادته فيما لا يبقى يمزج الحلم بالعلم والقول بالعمل تراه قريبا أمله قليلا زلله خاشعا قلبه قانعة نفسه سهلاأمره حريزا دينه ميتة شهوته كظوما غيظه الخير منه مأمول والشر منه مأمون إن كان فى الغافلين كتب فى الذاكرين يعفو عمن ظلمه ويعطى من حرمه ويصل من قطعه بعيدا فحشه لينا قوله غائبا منكره حاضرا معروفه فى الزلازل وقور وفى المكاره صبور وفى الرخاء شكور لا يحيف على من يبغض ولا يأثم فيمن يحب يعترف بالحق قبل أن يشهد عليه لا يضيع

ما استحفظ ولا ينابز بالألقاب ولا يضر بالجار ولا يشمت بالمصائب إن بغى عليه صبر حتى يكون الله هو الذى ينتقم له نفسه منه فى عناء والناس منه فى راحة أتعب نفسه لآخرته وأراح الناس من نفسه بعده عمن تباعد عنه زهد ونزاهة ودنوه ممن دنا منه لين ورحمة ليس تباعده بكبر وعظمة ولا دنوه بمكر وخديعة . فصعق همام صعقة كانت فيها نفسه فقال على كرم الله وجهه أما والله كنت أخافها عليه . ثم قال هكذا والله تصنع المواعظ البليغة بأهلها (ثم) إن المصنف أضاف العرش الى الله تعالى لأنه أعظم المخلوقات ولا يضاف الى المعظم الا المعظم وهو جسم عظيم نورانى علوى محيط بجميع الأجسام (وفى الحديث) ما السموات السبع والأرضون السبع فى الكرسى الا كحلقة ملقاة فى فلاة من الأرض وما الجميع فى العرش إلا مثل ذلك وقد خلق الله العرش إظهارا لقدرته لامكانا لذاته تعالى الله عن ذلك وأما قوله تعالى الرحمن على العرش استوى فمعناه استولى عليه بالحكم على حد قول الشاعر :

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق

فان المراد استولى عليه بالحكم أو أن الاستواء على العرش كناية عن الانفراد بالتدبير كما يقال فى ملوكنا جلس فلان على سرير الملك بمعنى أنه انفرد بالتدبير والحكم وقد لا يكون هناك سرير فضلا عن الجلوس عليه (وقال سيدى محى الدين بن العربى) اعلم يا أخى أن الحق تعالى لما كان هو الملك الأعظم ولا بد للملك من حضرة معينة يقصده عباده فيها لحوائجه مع أن ذاته لا تقبل المكان أصلا اقتضت المرتبة له تعالى أن يخلق عرشا ثم ذكر لعباده أنه استوى عليه فمن سأله أجابه نظير قوله صلى الله عليه وسلم ينزل ربنا الى سماء الدنيا كل ليلة فيقول هل من سائل فأعطيه الى آخر الحديث مع أنه تعالى يسمع دعاء عبده فى كل وقت من ليل أو نهار ولكن

الشرع يجرى على العرف فى كثير من الأحكام تنزلا لعقول العباد ولله المثل الأعلى ولولا تنزله لعقولهم لبقى أحدهم حائرا لايدرى أين يتوجـــه إلى سؤال ربه فان الله تعالى خلق العبد ذا جهة من أصله فلا يقبل إلا ما كان فى جهة مادام عقله حاكما عليه فاذا من الله تعالى عليه بالكمال واندرج نور عقله فى نور إيمانه تكافأت عنده الجهات فى جناب الحق تعالى وتحقق أنه لايقبل الجهة ولا التحيز فانه كان ولا مكان وهو الآن على ماعليه كان اهـ. وفى قوله صلى الله عليه وسلم أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد. ارشاد وتنبيه للعباد على أن لايقيدوا الحق بجهة دون جهة فان نسبة الفوقية اليه كنسبة التحتية لعدم دخوله فى حصر السكون تعالى الله عن ذلك وإنما استحب رفع الأكف إلى السماء وقت الدعاء نظراً لكونها محل تنزلات الرحمات ولأنها قبلة الدعاء كما أن الكعبة قبلة الصلاة (وفى الحديث) إن الله تعالى احتجب عن العقول كما احتجب عن الابصار وأن الملأ الأعلى يطلبونه كما تطلبونه أنتم. وإنما قال المصنف سرا وجهرة لأن المتقى لواقتصر على احد الحالين لم تصح تقواه. فانه حينئذ يكون سره مخالفا لنجواه. ثم صرح بما لاتصح التقوى إلا به فقال وحسن مسير فى علوم الشريعة وهذا من اللوازم العشرة المعبر عنه بالمنهاج يعنى أنه يلزم المريد النظر فى علوم الشريعة كالفقه والحديث والتفسير فان ذلك يوصل الى رضا العليم الخبير (وفى الحديث) من تفقه فى دين الله عز وجل كفاه الله تعالى ما أهمه ورزقه من حيث لا يحتسب (وقال صلى الله عليه وسلم) فضل العالم على العابد كفضلى على أدنى رجل من أصحابى (وقال صلى الله عليه وسلم) ماعبد الله بشى أفضل من فقه فى الدين ولفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد ولكل شىء عماد وعماد هذا الدين الفقه (وقال صلى الله عليه وسلم)

من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين وإنما أنا قاسم والله يعطى ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لايضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله ، وقد أشبعنا الكلام على هذا الحديث فى شرح مختصر ابن أبى جمرة فانظره ان شئت . وما ألطف ما قيل فى فضل العلم :

الناس من جهة التمثيل أكفاء ... أبوهمو آدم والأم حواء
فان يكن لهمو من أصلهم نسب ... يفاخرون به فالطين والماء
ما الفخر الا لأهل العلم إنهموا ... على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقدر كل امرىء ما كان يحسنه ... والجاهلون لأهل العلم أعداء
ففز بعلم تعش حيا به أبدا ... الناس موتى وأهل العلم أحياء

وقال بعضهم :

العلم مغرس كل فضل فاجتهد ... أن لا يفوتك فضل ذاك المغرس
واعلم بأن العلم ليس يناله ... من همه فى مطعم أو ملبس
واحرص لتبلغ فيه حظا وافرا ... واهجر له طيب المنام وغلس
لتعز حتى إن حضرت بمجلس ... كرمت فيه وصرت صدر المجلس
ان الحلى من العلوم مقامة ... عند النعال له صوت الأخرس

وقال آخر :

وفى الجهل قبل الموت موت لأهله ... فأجسامهم قبل القبور قبور
وإن أمرء لم يحى بالعلم ميت ... فليس له حتى النشور نشور

وينبغى لمن أراد تحصيل العلم أن يلاحظ قول الإمام الشافعى رضى الله عنه :

أخى لن تنال العلم الا بستة ... سأنبيك عن تفصيلها ببيان
ذكاء وحرص واجتهاد وبلغة ... وصحبة أستاذ وطول زمان

مع ملاحظة مافى هذين البيتين من الإرشاد . فانه يبلغ بمجموع ذلك المراد :

شكوت إلى وكيع سوء حفظى فأرشدنى إلى ترك المعاصى
وأخبرنى بأن العلم نور ونور الله لا يهدى لعاصى

وما ألطف قول ابن الوردى :

اطلب العلم ولا تكسل فما أبعد الخير على أهل الكسل
واحتفل للفقه فى الدين ولا تشتغل عنه بمال وخول
واهجر النوم وحصله فمن يعرف المطلوب يحقر ما بذل
لا تقل قد ذهبت أربابه كل من سار على الدرب وصل
فى ازدياد العلم إرغام العدا وجمال العلم إصلاح العمل

(وقد كان) بشر الحافى يقول يا طالب العلم إنما أنت متلذذ متفكه بالعلم تسمع وتحكى لا غير ولو عملت بما علمت لتجرعت مرارة العلم ويحك إنما يراد بالعلم العمل فاسمع ياأخى وتعلم ثم اعمل واهرب ألا ترى إلى سفيان الثورى رضى الله عنه كيف طلب العلم وتعلم وهرب فان طلب العلم إنما يدل على الهرب من الدنيا لا على حبها (وكان يقول) كان العلماء رضى الله عنهم موصوفين بثلاثة أشياء صدق اللسان وطيب المطعم وكثرة الزهد فى الدنيا وأنا اليوم لا أعرف فى هؤلاء أحدا فيه واحدة من هذه الخصال ثم يقول ويحكم ياعداء السوء أنتم ورثة الأنبياء وإنما ورثوكم العلم لحملتموه وزغتم عن العلم به وجعلتم عملكم حرفة تكسبون بها معاشكم (وكان) إبراهيم البلخى يقول إذا كان العالم طامعا وللمال جامعا فبمن يقتدى الجاهل (وكان) إبراهيم بن أدهم يقول قد غلب على العباد والنساك والعلماء فى هذا الزمان التهاون بالذنوب حتى غرقوا فى شهوة بطونهم وفروجهم وحجبوا عن شهود عيونهم فهلكوا وهم لا يشعرون أقبلوا على

أكل الحرام وتركوا طلب الحلال ورضوا من العمل بالعلم يستحى أحدهم أن يقول فيما لا يعلم لا أعلم هم عبيد الدنيا لا علماء الشريعة إذ لو علموا بالشريعة لمنعتهم عن القبائح إن سألوا ألحوا وإن سئلوا شحوا لبسوا الثياب على قلوب الذئاب اتخذوا مساجد الله التى يذكر فيها اسمه لرفع أصواتهم باللغو والجدال والقيل والقال واتخذوا العلم شبكة يصطادون بها الدنيا فاياكم ومجالستهم اه فتخلص يا أخى من هذه الأوحال وتأمل قول من قال

العلم نور فلا تهمل مجالسه ❊ واعمل جميلا ترى فالفضل فى العمل

وقول بعض أهل الإشارات

تعلم ما استطعت لقصد وجهى ❊ فان العلم من سفن النجاة
وليس العلم فى الدنيا بفخر ❊ إذا ما حل فى غير الثقات
ومن طلب العلوم لغير وجهى ❊ بعيد أن تراه من الهداة

والله تعالى يرزقنا التوفيق لأقوم طريق ثم قال المصنف رضى الله عنه

وَعَزْفٌ عَنِ الأَكْدَارِ وَالغَيْرِ وَالسِّوَى
وَبَذْلٌ وتَهْذِيبٌ وَإِخْلَاصُ نِيَّةِ

أى ومن الشروط عزف بفتح العين المهملة وسكون الزاى آخره فاء أى صرف للنفس عن الأكدار المنغصة التى تحول بين العبد وربه يقال عزف عن الشىء عزفا من بابى ضرب وقتل وعزيفا انصرف عنه ومنه قول بعض العارفين عزفت نفسى عن الدنيا فاستوى عندى ذهبها ومدرها والمراد بالغير والسوى كل ما يشغل عن عبادة الله تعالى فيجب عند القوم صرف النفس عن كل شاغل عن الله على حد قول بعضهم .

وحسب السوى فرض على القوم رفضه ❊ وكل كمال فى اتباع الفريضة

ومن الشروط بذل بفتح الموحدة وسكون المعجمة أى إعطاء عن طيب

نفس لقوله ﷺ السخى قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار والجاهل السخى أحب إلى الله تعالى من العالم البخيل .

(واعلم) أن السخاء أول مراتب البذل وأعلى منه الجود لأنه يشعر بزيادة البذل والسرعة إليه وأعلى منهما الإيثار فمن أعطى البعض وأبقى البعض فهو صاحب سخاء ومن بذل الأكثر وأبقى لنفسه شيئا فهو صاحب جود ومن قاسى الشدائد وقدم غيره عليه فهو صاحب إيثار كذا أفاده القشيرى مدح الله أصحاب هذا المقام الأخير بقوله ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة أى فقر واحتياج لما فى أيديهم ومن كلامهم أقبح من كل قبيح . صوفى شحيح فاضرع إلى الله فى الخروج عن هذا الملام وقدم ما يقربك لديه زلفى بدار السلام :

وكن باذلا للمال إن رمت قربه والروح تحظى عنده بوصال

وما ألطف قول بعضهم :

مالك من مالك إلا الذى قدمت فابذل طائعا مالكا
تقول أعمالى ولو فتشوا رأيت أعمالك اعمى لك

ومن الشروط تهذيب أى تنقية عيوب النفس حتى تصير على أكمل الحالات . وهذا إنما يحصل بالتخلق بمحاسن الأخلاق والتجمل بأحاسن الرياضات ، فإن عيوب النفس جلية وخفية والنظر فى الجلية سهل على كل إنسان . وأما النظر فى الخفية فلا يصل اليه إلا أهل العرفان . فمنها الاعتماد على العمل وإرادة غير ما أقيم فيه العبد وحب التدبير مع الله تعالى والاستعجال فى الدعاء والاعتراض عند فوات المراد فقد الاخلاص وحب الشهرة وايثار الخلطة وانطباع الأكوان فى مرآة القلب واسترسال القلب فى أودية الغفلة وقلة المبالاة بالهفوة وإحالة العمل على الفراغ والاحتجاب عن الحق برؤية

الخلق والوقوف عند ما يبدو من كشف وغير ذلك فمن غفل عن تهذيب نفسه كان من الهالكين المتبعين للاهوا . وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنه هى المأوى . فتأمل يا أخى قوله تعالى ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه . وانته بقوله سبحانه ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله :

وهذب هداك الله نفسك كى ترى جميل الرضى والأنس فى جنة المأوى

وقوله وإخلاص نية تكرار مع قوله فيما تقدم حياء وإخلاص ولعله كرره لشدة الاعتناء به فان الإخلاص روح الاعمال . وعليه مدار حسن الأحوال وناهيك قوله سبحانه فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا (وقيل) لرسول الله ﷺ فيم النجاة يارسول الله فقال أن لا يعمل العبد بطاعة الله يريد بها الناس (وفى الحديث القدسى) الإخلاص سر من سرى استودعته قلب من أحببته من عبادى (وقال ذو النون المصرى) ثلاث من علامات الإخلاص استواء المدح والذم من العامة ونسيان رؤية الأعمال ونسيان اقتضاء ثواب العمل فى الآخرة (وقال الفضيل بن عياض) ترك العمل من أجل الناس رياء والعمل لأجل الناس شرك والإخلاص أن يعافيك الله منهما (وفى الحديث) العالمون هلكى الا العاملون والعاملون هلكى الا العاملون والعاملون هلكى الا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم (وفى هذا المعنى) .

خليلى قطاع الفيافى إلى العلا كثير وان الواصلين قليل
وجوه عليها للقبول علامة وليس على كل الوجوه قبول

ثم قال المصنف رضى الله عنه :

وَصَمْتٌ وَتَسْهِيدٌ وَمَوْتٌ بِحُبِّهِ
وَتَحْسِينُ أَوْصَافٍ وَتَجْوِيعُ مَعْدَةٍ

أى ومن أركان الطريق صمت أى سكوت إلا عن ذكر الله لما فى الحديث من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت (وروى) عبد الله ابن سفيان عن أبيه قال قلت يارسول الله أخبرنى عن الإسلام بأمر لا أسأل عنه أحدا بعدك قال قل آمنت بالله ثم استقم قال قلت فما أتقى فأومأ بيده إلى لسانه (وقال عقبة بن عامر) قلت يارسول الله ما النجاة قال أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك (وقال ﷺ) من يتكفل لى بما بين لحييه ورجليه أتكفل له بالجنة (وقال ﷺ) التؤدة والرفق والاقتصاد والصمت جزء من ستة وعشرين جزأ من أجزاء النبوة (وقال بعض العارفين) قد جمعت مكارم الخصال فى أربع وبها صارت الأبدال أبدالا قلة الكلام وقلة الطعام وقلة المنام والاعتزال عن الأنام (وفى الحديث) كل كلام ابن آدم عليه لا له إلا ثلاثة أمر بمعروف أو نهى عن منكر أو ذكر الله تعالى وناهيك قوله سبحانه لا خير فى كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس (وقد سئل) أبو يزيد البسطامى بأى شىء يصل العبد إلى أعلى الدرجات فقال بالخرس والعمى والصمم (ومن كلامه) من عرف الله فليس له مع الخلق لذة ومن عرف الدنيا فليس له فى معيشته لذة ومن انفتحت عين بصيرته بهت ولم يتفرغ للكلام (وسئل) بعض الحكماء عن قلة كلامه فقال لأن الحق سبحانه إنما خلق لنا أذنين ولسانا لنسمع ضعف ضعف ما نقول لا لنقول أكثر مما نسمع (وللصفى الحلى).

اسمع مخاطبة الجليس ولا تكن عجلا بنطقك قبل ما تتفهم
لم تعط مع أذنيك نطقا واحدا إلا لتسمع ضعف ما تتكلم

وما ألطف قول بعضهم إن كان الكلام يهديك. فالسكوت يقيك. يعنى أن الكلام وإن كان نافعا فى بعض الأوقات. فالسكوت يقى صاحبه من الوقوع فى المهلكات. ودرء المفاسد مقدم على جلب المصالح ومن هنا

المعنى قول الإمام الشافعى رضى الله عنه .

قالوا سكت وقد خوصمت قلت لهم إن الكلام لباب الشر مفتاح
فى الصمت عن أحمق أو جاهل شرف وفيه أيضا لصون العرض إصلاح

وقال بعضهم :

منع اللسان من الكلام لأنه كهف البلاء وجالب الآفات
فاذا نطقت فكن لربك ذاكرا لا تنسه واحمده فى الحالات

(وكان) سيدى ماجد الكردى يقول الصمت عبادة من غير عناء وزينة من غير حلى وهيبة من غير سلطان وحصن من غير سور وراحة الكاتبين وغنية عن الاعتذار (وكان) جعفر الصادق يقول عزت السلامة حتى لقد خفى مطلبها فان تكن فى شىء فيوشك أن تكون فى الخمول فان لم يكن فيوشك أن تكون فى التخلى فان لم يكن فيوشك أن تكون فى الصمت فان لم يكن فيوشك أن تكون فى كلام الشرف الصالح والسعيد من وجد فى نفسه خلوة والله الموفق وما ألطف قول أبى العتاهية .

إن كان يعجبك السكوت فانه قد كان يعجب قبلك الأخيارا
ولئن ندمت على سكوتك مرة فلتندمن على الكلام مرارا
إن السكوت سلامة ولربما زرع الكلام عداوة وضرارا

ومن الأركان تسهيد وهو والسهد والسهاد نقيض الرقاد ، يعنى أن يكون المريد من الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا أى تتباعد جنوبهم عن مواضع الاضطجاع للنوم قياما بحقه تعالى من العبادة ليحوز مواهب فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون (وقد ورد) أن المتهجد يشفع فى أهل بيته (وورد) ركعتان فى جوف الليل يركعهما ابن آدم خير له من الدنيا وما فيها (وقال صلى الله عليه وسلم) أتانى جبريل فقال يا محمد عش ما شئت فانك ميت وأحبب

من شئ فانك مفارقه واعمل ماشئت فانك مجزى به ، واعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل وعزه استغناؤه عن الناس (وقال صلى الله عليه وسلم) رحم الله امرأ قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته فصلت فان أبت نضح فى وجها الماء ، ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها فصلى فان أبى نضحت فى وجهه الماء (وورد) أن من صلى بالليل حسن وجهه بالنهار (وروى) عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : قلت يارسول الله أخبرنى بعمل يدخلنى الجنة ويباعدنى عن النار . قال : لقد سألت عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله تعالى عليه تعبد الله لا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ، ثم قال : ألا أدلك على أبواب الخير قلت بلى يارسول الله . قال الصوم جنة والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار وصلاة الرجل فى جوف الليل ثم تلا تتجافى جنوبهم عن المضاجع حتى بلغ يعملون . ثم قال ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه قلت بلى يارسول الله قال رأس الأمر الإســـلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد ثم قال ألا أخبرك بملاك ذلك كله قلت بلى يا رسول الله فأخذ بلسانه وقال كف عليك هذا قلت يا نبى الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به فقال ثكلتك أمك وهل يكب الناس فى النار على وجوههم أو قال على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم اه . وقد أشبعنا الكلام على هذا الحديث فى شرح الأربعين النووية فانظره إن شئت (وورد) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا ذهب ثلثا الليل قام فقال أيها الناس اذكروا الله اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه جاء الموت بما فيه (وروى) أنه صلى الله عليه وسلم قام الليل حتى تورمت قدماه ولما قيل له هون على نفسك يارسول الله ألم يغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا .

(وقيل) أوحى الله إلى داود عليه السلام ياداود كذب من ادعى محبتى وإذا جن عليه الليل نام عنى أليس كل حبيب يحب الخلوة بحبيبه (وقد كانت) رابعة العدوية تصلى فى اليوم والليلة ألف ركعة وتقول والله ماأريد بها ثوابا ولكن ليسر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول الأنبياء عليهم الصلاة والسلام انظروا إلى امرأة من أمتى هذا عملها فى اليوم والليلة (ولما مات) الجنيد رآه بعض أصحابه فى المنام فقال له مافعل الله بك فقال طارت تلك الإشارات وطاحت تلك العبارات وغابت تلك العلوم واندرست تلك الرسوم وما نفعنا إلا ركيعات كنا نركعها فى السحر . (وقال الإمام الشعرانى) عن شيخه الخواص قيام الليل عند العارفين كالفرض فى الاعتناء به فمن ادعى مقام العرفان ونام الليل فى الأسحار فهو غير صادق (وكان) سيدى ابراهيم الدسوقى يقول : من قام بالأسحار . ولزم فيها الاستغفار . كشف الله له عن الأنوار . وأطلع فى قلبه شموس المعانى والأقمار . فياولد قلبي اعمل بما قلته لك تكن من المفلحين . (وقال ذو النون المصرى) رأيت ببعض سواحل الشام امرأة فقلت من أين أقبلت قالت من عند أقوام تتجافى جنوبهم عن المضاجع فقلت وأين تريدين قالت أريد رجالا لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله فقلت صفيهم لى فقالت :

قوم همومهمو بالله قد علقت فما لهم همم تسمو إلى أحد
فمطلب القوم مولاهم وسيدهم ياحسن مطلبهم للواحد الصمد

ومما قيل فى الأبرار . الذين لازموا القيام بالأسحار :

إذا ما الليل أظلم كابدوه فيسفر عنهمو وهمو ركوع
أطار الخوف نومهمو فقاموا وأهل الأمن فى الدنيا هجوع

ولبعضهم:

طوبى لمن سهرت فى الليل عيناه وبات ذا قلق فى حب مولاه
وناح يوما على تفريطه وبكى خوفا لما قد جناه من خطاياه
وقام يرعى نجوم الليل منفردا خوف الوعيد وعين الله ترعاه

فيا إخوان الصفاء، وأرباب الوفاء:

أطيعوا وجدوا ولا تكسلوا فأنتم إلى ربكم ترجعون
ولا تهجعوا فالأكابر كانوا قليلا من الليل ما يهجعون

(وفى الحديث الشريف) إن فى الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها أعدها الله لمن ألان الكلام وأطعم الطعام وتابع الصيام وصلى بالليل والناس نيام (وقد ذكر بعض المفسرين) عند قوله تعالى وينجى الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء أن العمل الصالح يقول لصاحبه يوم القيامة عند مشاهدة الأهوال اركب فطالما ركبتك فى الدنيا فيركبه ويتخطى به شدائد القيامة (فائدة) روى أن من قال عند نومه اللهم لا تؤمنا مكرك ولا تنسنا ذكرك ولا تكشف عنا سترك ولا تجعلنا من الغافلين اللهم ابعثنا فى أحب الساعات اليك حتى نذكرك فتذكرنا ونسألك فتعطينا وندعوك فتستجيب لنا ونستغفرك فتغفر لنا بعث الله اليه ملكا فى أحب الساعات اليه فيوقظه فان قام ودعا استجاب له (ومن اللطائف) أن أبا يزيد البسطامى كان صغيرا فى المكتب فلما وصل إلى سورة المزمل قال لأبيه من هذا الذى أمره الله بقيام الليل فقال هذا نبينا محمد ﷺ وقال فلم لم تفعل كما فعل محمد ﷺ قال ذاك أمر شرفه الله به فلما قرأ وطائفة من الذين معك قال له من هؤلاء يا أبت قال أصحاب محمد قال فلم لم تفعل كما فعلوا قال هؤلاء قواهم الله على قيام الليل فقال ياأبت لا خير فيمن لا يقتدى بمحمد ﷺ وأصحابه فصار أبوه يصلى بالليل فقال يا أبت علمنى صلاة الليل فمنعه

وقال له إنك صغير فقال إذا جمع الله الخلائق يوم القيامة وأمر بأهل الجنة إلى الجنة أقول يارب أردت الصلاة بالليل فمنعنى أبى فقال يا بنى قم فصل اهـ فاجتهد يا أخى فى الوصول الى مقام الرجال وتأمل بفكرك الثاقب نصيحة من قال .

يغوص البحر من طلب اللآلى ومن رام العلا سهر الليالى
تروم الوصل ثم تنام ليلا لقد أطمعت نفسك فى المحال

ومن الشروط موت بحبه وهو الموت الاختيارى بحيث يفنى السالك عن شهوته النفسية . ويخرج عن حظوظه بالكلية . وهو المشار له بقوله ﷺ موتوا قبل أن تموتوا وهو المرتبة الثالثة من قوله ﷺ كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وعد نفسك مع الموتى (واعلم) أن الصوفية أوصافا يعبرون عنها بالموت الأبيض والموت الأصفر والموت الأسود والموت الأحمر فأما الموت الأبيض فيعنون به الجوع لتنور الباطن به فاذا كان السالك ممن لا يعرف الشبع بل لا يزال جائعا فقد مات الابيض وحينئذ يحيى فطنته فان البطنة تميت الفطنة وأما الموت الأصفر فهو لبس المرقعات بأن يقتصر على ما يستر العورة مما لا قيمة له فمن أقتصر فى لباسه على هذا القدر فقد مات الموت الاصفر لاصفرار عيشه بالقناعة وبعضهم يعبر عن هذا بالموت الأخضر وحينئذ يحيى بجماله الذاتى المستغنى عن التجمل العرضى وأما الموت الأسود فهو احتمال أذى الخلق والكف عنه باليد واللسان فاذا تحقق السالك بالمقام الذى يصير فيه بحيث لايجد فى نفسه حرجا مما يناله من أذى الناس وسبهم وشتمهم فقد مات الموت الاسود وحينئذ يحيى بالامداد من حضرة الجواد لانه يصير ممن شاهد أن الكل منه واليه فتحقق باشارة .

وحيث الكل منى لا قبيح وقبح القبح من حيث جميل

وأما الموت الاحمر فهو مخالفة النفس والهوى وهذا هو الجهاد الاكبر

المشار له بقوله ﷺ لما رجع من قتال الكفار رجعنا من الجهاد الاصغر إلى الجهاد الأكبر فانهم قالوا وما الجهاد الأكبر يارسول الله قال جهاد النفس (وورد) المجاهد من جاهد نفسه وناهيك قول الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فانه يشمل هذا (ثم أعلم) أن القيامة الصغرى هى حالة الموت الحقيقى الذى هو إزهاق الروح واليها الاشاره بقوله ﷺ من مات فقد قامت قيامته فهى أنموذج القيامة الكبرى لأن الإنسان أرضى مخلوق من التراب فان انهدمت بالموت أركان بدنه فقد زلزلت الارض زلزالها وبيان ذلك أن عظامه جبال أرضه ورأسه سماء أرضه وقلبه شمس أرضه وسمعه وبصره وسائر حواسه نجوم سمائه ومفيض العرق من بدنه بحر أرضه وقس على ذلك فاذا انفجر من هول الموت عرق جبينه فقد فجرت البحار تفجيراً واذا فارقت الروح قلبه عند الموت فقد كورت الشمس تكويراً واذا بطل سمعه وبصره وسائر حواسه فقد انكدرت النجوم واذا التفت الساق بالساق وهما مطيتاه فقد عطلت العشار تعطيلا واذا فارقت الروح الجسد فقد ألقت الأرض ما فيها وتخلت واذا صار العظم رميما فقد نسفت الجبال نسفا واذا انشق دماغه فقد انشقت السماء شقا ومعلوم أن أهوال القيامة الكبرى تكون أعظم من أهوال الصغرى بكثير . فيافوز من استعد لها واجتهد فى مرضاة العليم الخبير . ولما قال الرشيد لابن السماك عظنى قال له احذر ان تقدم على جنة عرضها السموات والأرض وليس لك فيها موضع قدم (ثم) اشار المصنف الى التخلق بالاخلاق المرضية بقوله وتحسين أوصاف يعنى ان من آداب المريد ان يحسن اوصافه فيكون متحليا بمكارم الاخلاق . التى توصله الى رضا الكريم الخلاق .

(وفى الحديث) ينال الرجل بحسن خلقه درجة الصائم القائم (ﷺ) إن أحبكم الى وأقربكم منى مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا (وقال ﷺ) إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم باخلاقكم (قال بعض

العارفين) علامة حسن الخلق عشر خصال قلة الخلاف وحسن الانصاف وترك طلب العثرات وتحسين مايبدو من السيآت والتماس المعذرة واحتمال الأذى والرجوع بالملامة على النفس والتفرد بمعرفة عيوب النفس دون عيوب الغير وطلاقة الوجه للصغير والكبير ولطف الكلام مع كل أحد (وقد) عرفوا علم الأخلاق بأنه علم بأصول يعرف بها أنواع الفضائل وكيفية اكتسابها وأنواع الرذائل وكيفية اجتنابها . وفائدته تخلق الإنسان بالأخلاص المحمودة وتجنبه للاخلاق المذمومة وما ألطف ماقيل

بمكارم الاخلاق كن متخلقا ليفوح مسك ثنائك العطر الشذى
وانفع صديقك ان أردت صداقة وادفع عدوك بالتي فاذا الذي

(وروى) أن لقمان اختار من حكمه أربعا أوصى بها ولده فقال له تذكر أثنتين وانس اثنيتين فاما الثنان أوصا بتذكرهما فالذنب والموت وأما الثنان أوصاه بنسيانهما فاحسانه للناس واساءتهم عليه وقد نظم ذلك العلامة الاجهوري فقال

إذا شئت أن تحيي ودينك سالم وعقلك موفور يزيد ويكمل
فكن معرضا عن كل بر صنعته مع الناس والسوء الذى بك يعمل
وكن ذاكرا للذنب والموت تعملن بما اختار لقمان الحكيم المفضل

وكان الإمام على كرم الله وجهه يترنم بهذه الأبيات :

إن المكارم أخلاق مطهرة فالعقل أولها والدين ثانيها
والعلم ثالثها والحلم رابعها والجود خامسها والعرف سادسها
والبر سابعها والصبر ثامنها والشكر تاسعها واللين عاشرها
والنفس تعلم أنى لا أصدقها ولست أرشد إلا حين أعصيها
والعين تعلم من عيني محدثها إن كان من حزبها أو من أعاديها

(وفى الحديث الشريف) عنه ﷺ قال : أدبنى ربى فأحسن تأديبي ثم

أمرنى بمكارم الأخلاق فقال « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » ولله در القائل

خذ العفو وأمر بعرف كما أمرت وأعرض الجاهلين
ولن فى الكلام لجمع الأنام فمستحسن من ذوى الجاهلين

ولنا فى هذا المعنى :

خذ العفو عن جاهل قد بغى عليك تفز بالمقام الأمين
وبالعرف فأمر وكن محسنا وواصل وأعرض عن الجاهلين

وقال بعض البلغاء : من وصل رحمه ، وصل الله رحمه ومن أجار جاره أعانه الله وأجاره

وحسبي من ذل وسوء صنيعة معاداة ذى القربى وإن قيل قاطع
ولكن أواسيه وأنسى ذنوبه لترجعه يوما إلى الرواجع
ولا يستوى فى الحكم عبدان واصل وعبد لأرحام القرابة قاطع

ومن لطائف الاستعطاف ، قول بعض أهل الإنصاف .

فلا تحتقر نفسى وأنت خليلها فكل امرىء يصبوا إلى من يشاكل

ومن أركان الطريق تجويع معدة اختيارا لما فى الحديث إذا جاع الرجل ملأ الله قلبه نورا فالجوع هو الأصل فى سلوك طريق المقربين . فعليك بملازمته تكن من المفلحين ، فانه يميت الهوى و يصفى للفؤاد . ويورث فهم دقائق العلوم التى بها يبلغ العبد المراد (وقد ورد) لاينظر الله إلى جوف ملىء من طعام . ولذا كان النبى ﷺ وأصحابه لا يأكلون إلا عن فاقة .

(فى الحديث) عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال جاءت فاطمة رضى الله عنها بكسرة خبز إلى رسول الله ﷺ فقال ماهذه الكسرة يافاطمة قالت قرص خبزته فلم تطب نفسى حتى أتيتك بهذه الكسرة فقال أما إنه أول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاثة أيام اه فتدبر ما تضمنه هذا الخبر من

حال تقليل السيد الكامل ، وما تحمله لنيل زيادة الفضائل مع مامنحه الله من الكمالات ومعالى المقامات ، فان السر فى كمال الإنسان والواسطة العظمى فى سابق علم الرحمن لتتحقق ما أنت عليه من التقصير وذلك منك على خطر خطير . فعسى أن تتأثر نفسك الخبيثة . وتنزجر عن عاداتها الخسيسة . فتتأسى بسيد الكائنات لتندرج مع أهل السعادات وما ألطف ما قيل :

فلو كانت الدنيا جزاء لمحسن إذا لم يكن فيها معاش لظالم
لقدجاع فيها الأنبياء كرامة وقد شبعت فيها بطون البهائم

(وقال بعض العارفين) إن هذه النفس فى غاية الخساسة والدناءة ونهاية الجهل والغباوة ينبهك إلى ذلك أنها إذاهمت بمعصية أو انبعثت الشهوة فلو تشفعت اليها بالله سبحانه ثم برسله وجميع أوليائه وعرضت عليها الموت والقبر والقيامة لا تكاد تعطى القياد ، ولا تترك الشهوة والعناد ، ثم ان منعتها رغيفا سكنت وزلت بعد الصعوبة والجماح ، رلانت وانقادت الى طريق الفلاح ، فعليك بهذا العلاج ، فانه أعظم منهاج ولله در القائل

ومن البلاء وللبلاء علامة أن لا يرى لك عن هواك نزوع
العبد عبدالنفس فى شهواتها والحر يشبع تارة ويجوع

(وفى الحديث الشريف) عنه ﷺ قال لاتميتوا القلب بالطعام والشراب فان القلب كالزرع يموت إذا كثر عليه الماء وأخذ بعضهم هذا المعنى فقال

يميت الطعام القلب ان ادكثرة كزرع إذا بالماء قد زاد سقيه
وان لبيبا يرضى نقص عقله باكل لقيمات لقد ضل سيعه

وقد انتهى الحال بالإمام البخارى الى أن صار يأكل كل يوم تمرة أو لوزتين ورعا وحياء من الله تعالى فى تردده الى الخلاء (وقيل) لما خلق الله الخلق جعل العلم والحكمة فى الجوع وجعل الجهل والمعصية فى الشبع (وفى

الحديث) إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع وذلك لأن الجوع ينقص دم القلب ويبيضه وفى بياضه نوره ويذيب شحم الفؤاد وفى ذوبانه رقته ورقته مفتاح المكاشفة كما أن قساوته سبب الحجاب ومهما نقص دم القلب ضاق مسلك العدو فان مجاريه العروق الممتلئة بالشهوات وما ألطف قول الإمام النووى :

دواء قلبك خمس عند قسوته　　فدم عليها تفز بالخير والظفر
إخلاء بطن وقرآن تدبره　　كذا تضرع باك ساعة السحر
كذا قيامك جنح الليل أوسطه　　وأن تجالس أهل الخير والخبر

(وقال سيدي ابراهيم الدسوقي) قوات لمريد الصادق الجوع . وشرابه الدموع ، وأما من شبع ونام . ولغى فى الكلام ، وترخص وقال ما على ذلك ملام . فانه لا يجيء منه شيء فى الطريق والسلام . ثم قال المصنف رضى الله عنه :

وَإِثْبَاتُ إِيثَارٍ وَبَسْطُ كَرَامَةٍ
بِمَا حُزْتَ مِنْ مَالٍ وَرُوحٍ لِمِنْحَةٍ

أى ومن شروط الطريق إثبات أى تحقيق إيثار أى تقديم للغير على النفس ليكون المريد من الذين قال الله فيهم ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومحل تقديم الغير على النفس إذا كان من الذين عندهم صبر وإلا قدم نفسه لما فى الحديث ابدأ بنفسك ثم بمن تعول وقوله وبسط كرامة أى بذل كرم للغير مع التوسعة عليه فان الكريم قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار والبخيل بضد ذلك كما تقدم وقوله بما حزت من مال معناه أنك تؤثر الغير على نفسك وتكرمه بما حزت أي جمعت من مال حلال فانه ورد نعم المال الصالح للرجل الصالح

(وورد) نعمت الدنيا مطية المؤمن بها يصل إلى الآخرة فليست الدنيا مذمومة إلا بالنسبة لمن يجمعها من غير حل أو يصرفها فى وجوه البر كما قال محمود الوراق .

من شرف الدنيا ومن فضلها   أن بها تستدرك الآخرة

وقوله وروح بضم الراء مابه الحياة أى أنك تكرم الغير بروحك أيضا بمعنى أنك تفديه بها وقداتهم جماعة من الصوفية بأنهم زنادقة فلما قدموهم ليضربوا أعناقهم سارع أحدهم فى التقدم إلى السيف فقيل له فى ذلك فقال لأوثر أصحابى بالحياة بعدى مقدار ضرب عنق فلما تحققوا كالهم وبراءتهم خلوا سبيلهم فأنت تراه آثر أصحابه بروحه .

وما ألطف قول ابن الفارض

إذا جاد أقوام بمال رأيتهم   يجودون بالأرواح منهم بلا بخل

وقوله لمنحة بكسر الميم وسكون النون وفتح الحاء المهملة أى عطية أى لتكون بفعلك هذا صاحب عطية وأصل المنحة الشاة أو الناقة يعطيها صاحبها لمن يشرب لبنها ثم يردها إذا انقطع اللبن ثم أطلقت على كل عطاء يقال منحته منحا من بابى ضرب ونفع أعطيته ثم قال المصنف رضى الله عنه

وَرِفْقٌ وَتَصْدِيقٌ وَعِشْقٌ مَحَبَّةٌ

وَسَحْقٌ وَمَحْقٌ والفَنَا بَعْدَ مَسْكَرَةِ

أى ومن الشروط رفق أى سهولة ولين جانب وهو نتيجة حسن الخلق وضده العنف (وفى الحديث) ما كان الرفق فى شىء إلا زانه

(ولنا فى هذا المعنى)

عليك بالرفق لتحظى بما   ترجو وتجنى من ثمار النجاح

وجانب العنف تزد بهجة فالرفق بين الناس زين الملاح

ومن الشروط تصديق أى أن يكون عند المريد تصديق بأحوال القوم ومشاربهم وإلا رجع عن طريقهم أو تصديق لمن يخبره بأمر من الأمور فيه صلاحه إن ظهرت عليه دلائل الصدق من قولهم صدقت فلانا أى نسبته الصدق وأما قوله وعشق بالتنوين وقوله محبة بحذف حرف العطف فهما من الأحوال كالذوق والشوق وقدفسروا العشق بأنه ألفة رحانية أوجبها كرم الله تعالى على كل ذى روح لتحصل بها اللذة العظمى وهى موجودة فى كل إنسان بحسب استعداده ومرتبته وأعظم الناس درجة فيه من عشق شيئا لم يره وإنما سمع به ولذا قال أشرف المراتب فى الدنيا مراتب الذين زهدوا فيها مع كونها مرئية لهم وعشقوا الآخرة مع كونها غير مرئية لهم فهو من خصال الكمال وحلل الجمال

وما الناس إلا العاشقون ذوو الهوى ولا خير فيمن لا يحب ويعشق

(واعلم) أن النظر يولد فى القلب المحبة وهى الميل ثم يقوى ذلك فيصير صبابة ينصب إليه القلب بكليته ثم يقوى فيصير غراما يلزم القلب كلزوم الغريم ثم يقوى فيصير عشقا ثم يقوى فيصير شغفا أى يصل إلى شغاف القلب وداخله ثم يقوى فيصير تتيما أى تعبدا من قولهم تيمه الحب إذا عبده وصيره عبدا للمحبوب ، فيكون المحب متيما مأمورا ، ومغرما مأسورا ، لا يقر له قرار ، ولا يفرق بين النافع والضار ، يكابد من فرط العشق كل أمر مهول . حتى يرثى له كل رقيب وعذول .

وقال بعضهم : الجنون فنون والعشق فن من فنونه واحتج بقول القائل:

قالوا جننت بمن تهوى فقلت لهم العشق أعظم مما بالمجانين
العشق لا يستفيق الدهر صاحبه وإنما يصرع المجنون فى الحين

(وفى الحديث الشريف) من عشق فعف فكتم فمات مات شهيدا : ولبعضهم

حسب المحبين فى الدنيا عذابهموا   تالله ما عذبتهم بعدها سقر
بل جنة الخلد مأواهم مزخرفة   ينعمون بها حقا بما صبروا
وكيف لا وهموحبوا وقدكتموا   مع العفاف بهذا يشهد الخبر

وهذا إذا كان التعلق ببعض المخلوقين . فما بالك إذا كان التعلق برب العالمين ، لعمرك إنهم يصيرون من المحبوبين لديه . المقربين إليه . كما قال تعالى يحبهم ويحبونه (وفى الحديث) لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما (ومن دعائه ﷺ) اللهم ارزقنى حبك وحب من أحبك وحب ما يقربنى إلى حبك (وجاء أعرابى) فقال يارسول الله متى الساعة فقال ما أعددت لها قال ما أعددت لها كثير صلاة ولا صيام إلا أنى أحب الله ورسوله فقال له ﷺ المرء مع من أحب قال أنس فما رأيت المسلمين فرحوا بشىء بعد الإسلام فرحهم بذلك (واعلم) أن المحبين على ثلاثه أقسام عوام وخواص وخواص الخواص فأما العوام فمحبتهم له تعالى خالصة عن الشوائب وأما خواص الخواص فمحبتهم عبارة عن التعشق الذى به ينمحى العاشق عند تجلى نور معشوقه ولا تحصل هذه المحبة إلا بعد اليقين وأكمل الخلق فى المحبة سيد الاولين والآخرين . (وفى الحديث القدسى) يا محمد إن كنت اتخذت إبراهيم خليلا وموسى كليما ونجيا فلقد اتخذتك حبيباً وعزتى وجلالى ما خلقت الدنيا وأهلها والجنة إلا لاعرفهم كرامتك ومنزلتك عندى ولولاك ما خلقت الافلاك (ثم اعلم) أن المحبة دين أهل الله المقربين . كما قال ابن الفارض سلطان العاشقين .

وعن مذهبى فى الحب مالى مذهب   وإن ملت يوما عنه فارقت ملتى

وإذا أفرط المحب فى المحبة تأججت فى قلبه نار الأشواق وطلبت الروح المواصلة والتلاق . وازداد تحيرا وغراما . وطلب الزيادة من ذلك طربا وغراما ، كما قال :

زدنى بفرط الحب فيك تحيرا   وارحم حشا بلظى هواك تسعرا

والمراد بمحبة الله لعباده حصول الخيرات البهية . والأحوال الباهرة العلية . فمتى حصل للعبد عواطف المحبة من الحنان . دخل حضرة الامتنان بالأمان . وأما محبة العبد لله فهى حالة يجدها فى قلبه تحمله على الانهماك فى طاعته . وإيثار رضاه والتحرز عن معصيته . كما قال بعض العارفين :

تعصى الإله وأنت تظهر حبه   هذا لعمرى فى القياس بديع
لو كان حبك صادقا لأطعته   إن المحب لمن يحب مطيع

وكانت رابعة العدوية . تقول فى مقام المشاهدة القلبية :

أحبك حبين حب الهوى   وحبا لأنك أهل لذاكا
فأما الذى هو حب الهوى   فشغلى بذكرك عمن سواكا
وأما الذى أنت أهل له   فكشفك الحجب حتى أراكا
فلا الحمد فى ذا ولا ذاك لى   ولكن لك الحمد فى ذا وذاكا

ثم إن المحب من لا يضيره عذل العاذل ، بل يزيده ذلك حبا على حد قول القائل :

وقف الهوى بى حيث أنت فليس لى   متأخر عنه ولا متقدم
أجد الملامة فى هواك لذيذة   طربا لذكرك فليلمنى اللوم

وقال سلطان العاشقين :

أدر ذكر من أهوى ولو بملام   فان أحاديث الحبيب مدامى
ليشهد سمعى من أحب وإن نأى   بطيف ملام لا بطيف منام

وإذا أردت أن ترقى فى مقام المحبة أعلى الدرجات : فتحقق بقول بعض أهل الإشارات :

حروف المحبة مرموزها   يبشرنا ببلوغ المنى

فيم الممات وحاء الحياة وباء البلاء وماء المنا
فلا تطمعن بطيب اللقاء وطول البقاء بدون الفنا
حمينا الوصال بحد النصال فان تلق سمر القنا تلقنا
فلا تجزعن لمر النكال وحر الوبال ففيه الهنا
ومت مثل ما مات أهل الهوى وذابوا اشتياقا فنالوا المنى

وما ألطف قول سلطان العاشقين :

ونفس ترى فى الحب أن لا ترى عنا متى ما تصدت للصبابة صدت
وما ظفرت بالحب روح مراحة ولا بالولا نفس صفا العيش ودت
وأين الصفا هيهات من عيش عاشق وجنة عدن بالمكاره حفت

وما أحسن قوله رضى الله عنه من قصيدة :

فان شئت أن تحيى سعيدا فمت به شهيدا وإلا فالغرام له أهل

(وقال أبو بكر الكتانى) جرت مسئلة فى المحبة أيام الموسم فتكلم الشيوخ فيها وكان الجنيد أصغرهم سنا فقالوا له : هات ما عندك يا عراقى . فأطرق ساعة ودمعت عيناه ثم قال : المحب عبد ذاهب عن نفسه متصل بذكر ربه قائم بأداء حقوقه ناظر إليه بقلبه أحرق قلبه أنوار هويته وصفى شربه من كأس وده وكشف له الجبار عن أستار غيبه فاذا تكلم فبالله وإن نطق فمن الله وإن تحرك فبأمر الله وإن سكت فمع الله فهو بالله ومن الله ولله ومع الله . فبكى الشيوخ وقالوا ما على هذا مزيد ، وقوله وسحق ومحق بفتح أولهما حالان من أحوال السالكين . ثانيهما أعلى من أولهما عند العارفين كما أن المحو والطمس حالان فمن شغله الله بذكره عن نفسه وبقيت فيه بقية يتنعم بها فهو فى حال السحق ، ومن غاب عن نفسه بالكلية فهو فى حال المحق . فالمحق أتم من السحق لأنه فناء وجود العبد فى ذات الحق وأما المحو فهو فناء أفعاله فى أفعال الحق والطمس فناء صفاته فى صفات الحق كما أفادم

السيد الشريف فمن كان فى مقام السحق والمحق لا يرى وجودا إلا للحق ، ومن كان فى مقام المحو لايرى أفعالا إلا للحق ومن كان فى مقـام الطمس لايرى صفة إلاللحق ، والفناء بفتح الفاء والمد وإنما قصره فى البيت لضرورة الوزن يطلق على معنيين أحدهما سقوط الأوصاف المذمومة كما أن البقاء وجود الأوصاف المحمودة ، والثانى الاستغراق فى المشاهدة القلبية . حتى لا يشعر بغير الله ويغيب عن نفسه بالكلية ، وهو انتهاء السير اليه تعالى فيكون فانيا فى الله باقيا به على حد قول بعضهم :

و بعد الفنا فى الله كن كيف ماتشا فعلمك لا جهل وفعلك لا وزر

(قالوا) والفناء على ثلاثة أوجه فناء فى الأفعال لافاعل إلا الله وفناء فى الصفات لاحى ولا عالم ولا قادر ولا مريد ولاسميع ولا بصير ولا متكلم على الحقيقة إلا الله وفناء فى الذات لاموجود بالوجود الذاتى إلا الله ، وأنشدوا فى ذلك :

فيفنى ثم يفنى ثم يفنى فكان فناؤه عين البقاء

فيفنى أولا فى الأفعال بذوق والله خلقكم وما تعملون ثم يفنى ثانيا فى الصفات بذوق وما رميت إذ رميت ولـكن الله رمى ثم يفنى ثالثا فى الذات بذوق كان الله ولا شىء معه ويبقى الله ولا شىء معه ، وعند ذلك يبقى بربه سبحانه وتعالى وهذه المراتب إنما تحصل بالمقـامات التى يقطعها السالك كالتوبة والمحاسبة والمراقبة والمجاهدة والورع والإخلاص والصـدق والزهد والحضور مع الله بالقلب والتسليم والتوكل وشدة التقرب اليه تعالى بالنوافل كما فى الحديث لا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها الخ وهذا لمن اختاره لمقام الاصطفاء ،

وسقاه حيا الاجتباء . كما قال بعض العارفين : إذا أرادك لخصوصية الاصطفائية . سقاك بكأس محبته شربة روية . فتزداد بتلك الشربة ظمأ وبالذوق شوقا . وبالقرب طلبا ، وبالسكون قلقا . على حد ما قيل :

يزيد ظما مهما تزايد شربه ... من الحب فاعجب من ظما زاد بالشرب
وأعجب من ذا قربه لحبيبه ... ويزداد بالقرب اشتياقا إلى القرب
فلا الشرب يرويه ولا القرب يشتفى ... به القلب بل يزداد كربا على كرب
وليس شفاء القلب إلا فناءه ... بأحبابه فاسلك به مسلك الحب

فاذا تمكن منك هذا السكر أدهشك . فاذا أدهشك حيرك . فأنت ههنا مريد فاذا دام تحيرك أخذك منك ، وسلبك عنك . فتبقى ثم مسلوبا مجذوبا فأنت حينئذ مراد فاذا فنيت ذاتك ، وذهبت صفاتك . قام بصفاته عن صفاتك ، وببقائه عن فنائك ، وخلع عليك خلعة في يسمع وبي يبصر فيكون هو متوليك ومواليك فان تكلمت فبأذكاره . وإن نظرت فبأنواره ، وإن تحركت فبأقداره ، وإن بطشت فباقتداره . فاذا رسخ قدمك وتمكن سرك حال سكرك قلت هو وإن غلبك وجدك ، وتجاوز بك سكرك . قلت أنا ومن هنا أشكل على الأفهام . حل رموز هذا الكلام . فقائل يقول زنديق فيقتل . وقائل يقول صديق فيحمل . وقائل يقول مغلوب عليه فيهمل . فهو من حيث تحقيق حاله محق في علمه ، والذى حكم بقتله مصيب فى حكمه . إذ الشريعة لها حدود . فمن تعداها أقيمت عليه الحدود ، والحقيقة لها شهود . خارج عن طوق هذا الوجود .

(واعلم) أن المشار اليه بأنا عند المحققين من أهل الله هو الوجود الكلى السارى فى كل شىء وهو وجود الحق عز وجل لا الوجود الجزئى فليس هناك حلول ولا اتحاد تعالى الله عن ذلك ، وإذا وقع لفظ الاتحاد

فى كلام الصوفية فانما يريدون به هذا المعنى كما قال السيد الشريف الاتحاد هو شهود الوجود الحق الواحد المطلق الذى الكل موجود به فيتحد به الكل من حيث كون كل شىء موجوداً به معدوما بنفسه لا من حيث إن له وجودا خاصا اتحد به فانه محال اه أو يريدون به معنى الفناء الذى هو محو النفس وإثبات الأمر كله لله كما قال بعض أهل الإشارات :

وعلمك أن كل الأمر أمرى　　هو المعنى المسمى باتحاد

(قيل) لما حكم على الحلاج بالقتل حين وصل إلى هذا المقام وقال ما فى الجبة إلا الله امتثل الامر حفظا لسور الشريعة فلما قطعت يده اليمنى ثم اليسرى أنشأ يقول :

لم أسلم النفس للأسقام تتلفها　　إلا لعلمى بأن الوصل يحييها
نفس المحب على الآلام صابرة　　لعل مسقمها يوما يداويها

ولما قدموه للجذع ليصلب أنشأ يقول :

لبيك يا عالما سرى ونجوايا　　لبيك لبيك ياقصدى ومعنايا
أدعوك بل أنت تدعونى اليك فهل　　ناجيت إياك أم ناجيت إيايا
حبى لمولاى أضنانى وأسقمنى　　فكيف أشكو الى مولاى مولايا
ياويح روحى من روحى ويا أسفى　　على منى فانى أصل بلوايا

وما ألطف قول السيد الشريف ذو العقل هو الذى يرى الخلق ظاهرا ويرى الحق باطنا فيكون الحق عنده مرآة الخلق لاحتجاب المرآة بالصور الظاهرة وذو العين هو الذى يرى الحق ظاهرا والخلق باطنا فيكون الخلق عنده مرآة الحق لظهور الحق عنده واختفاء الخلق فيه اختفاء المرآة بالصور وذو العقل والعين هو الذى يرى الحق فى الخلق وهذا قرب

النوافل ويرى الخلق فى الحق وهـــذا قرب الفرائض ولا يحتجب بأحدهما عن الآخر بل يرى الوجود الواحد بعينه حقا من وجه وخلقا من وجه فلا يحتجب بالكثرة عن شهود الوجه الواحد الأحد كما لايحتجب بكثرة المرائى عن شهود الوجه الواحد الرائى ثم قال والى المراتب الثلاثة أشار ابن العربى بقوله :

وفى الخلق عين الحق إن كنت ذاعين وفى الحق عين الخلق إن كنت ذاعقل
وإن كنت ذاعين وعقل فما ترى سوى عين شىء واحد فيه بالشكل

وإنما قال المصنف بعد سكره لأنك قد علمت أن الفناء إنما يكون بعد شرب كأس المحبة . لمن أراد الله اصطفاءه وقربه . كما قال بعض العارفين . الواصلين إلى رب العالمين :

أديرت علينا بالمعارف قهوة يطوف بها من جوهر العقل خمار
فلما شربناها بأفواه فهمنا أضاءت لنا منه شموس وأقمار
وكاشفنا حتى رأيناه جهرة بأبصار صدق لاتواريه أستار
فغبنا به عنا فنلنا مرادنا فلم يبق منا عند ذلك آثار

وقال آخر :

نحن فى عيشة الوصال الهنية نجتلى الراح فى الكؤس السنية
قد لبسنا هياكل النور لما فارقتنا الهيا كل البشرية

(وقد قالوا) خمرة الذوق تكسب اللطافة . وتمحق الكثافة . كؤسها المعانى . وحاناتها حضرة التدانى . ودنها العارف . وندمانها المعارف . وراووقها الصافى . ومرافقها الموافى . بها تقلب الاعيان . فيمشى المقعد ويبصر الاعمى وينطق الأخرس ويرتوى الظمآن . على حد ماقيل .

ومقعد قوم قد مشى من شرابنا وأعمى سقيناه سلافا فأبصرا

وأخرس لم ينطق ثمانين حجة أدرنا عليه الراح يوما فأخبرا

فياهذا عليك بشراب القوم . فانه الخالى عن اللوم . إذلا يستوى من اتبع هواه ومن هو من أهل الله فان هذا بطاعته بان ، وذاك بمعصيته بار والله تعالى لايخيب من أمله . فيا أم له . فابذل روحك فى الوصول لما وصل له القوم وإلا فلا يسام بغير ذلك السوم . كما قال بعض أهل الإشارات

اسمح بنفسك ان أردت لقانا واحلف بنا أن لاتحب سوانا

فاذا قضيت حقوقنا يامدعى عاينتنا بين الانام عيانا

وما ألطف قول بعضهم :

وليس جناب القدس الالأهله وما كل انسان بواديه يسرح

ثم قال المصنف رضى الله عنه :

وَحَمْدٌ وشُكْرٌ وَالوَفا بأَوامِرٍ وَلاَ تَعْدُ عَنْ حُكْمَىْ كِتابٍ وَسُنَّةٍ

أى ومن الشروط حمد الله تعالى أى ثناء عليه بما أنعم . وشكر له على ما تفضل وتكرم . (وفى الحديث) أول من يدعى إلى الجنة الحامدون لله على كل حال أى على حالة الضراء والسراء كما قال بعضهم :

أحمد ربى حالة الضراء حمدى له فى حالة السراء

لا حمد من يعبد ربه على حرف فان وان كما قد أنزلا

يشير إلى قوله تعالى ومن الناس من يعبد الله على حرف فان أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة (وورد) لو أن الدنيا بحذافيرها فى يد رجل من أمتى ثم قال الحمد لله كانت الحمد لله أفضل من ذلك قال الترمذى وذلك لأن الدنيا فانية وهذه الكلمة من الباقيات الصالحات (وورد) أن من لبس ثوبا جديدا فقال الحمد لله الذى كسانى هذا ورزقنيه من غير حول منى ولا قوة غفرله ما تقدم من ذنبه (وروى) أن آدم لما أهبط إلى الأرض قال يارب علمنى كلمة تجمع لى فيها المحامد فأوحى

الله اليه أن قل ثلاثا عند كل صباح ومساء الحمد لله رب العالمين حمداً يوافى نعمه ويكافىء مزيده فهى أفضل المحامد (وأعلم) أن شكر النعمة إذا شكرت قرت وإذا كفرت فرت فشكر العينين إن تستر عيب أخيك المسلم وأن لا تنظر إلى مالا يحل وشكر الاذنين أن لا تسمع مالا يحل وهكذا يقال فى باقى الاركان كل جارحة بحسبها فان الشكر كما يكون بالقلب واللسان يكون بجميع الاركان (قال الجنيد) كنت بين يدى السرى السقطى وأنا ابن سبع سنين وبين يديه جماعة يتكلمون فى الشكر فقال لى ياغلام ماالشكر فقلت ان لا يعصى الله بنعمه ومما قيل فى الحض على الشكر :

ومن الرزية أن شكرى صامت عما فعلت وأن برك ناطق
أأرى الصنيعة منك ثم أسرها إنى إذا ليد الكريم لسارق

وقال الصفى الحلى :

سأشكر نعماك التى لو جحدتها أقربها حالى ونم بها سرى
وفى حسن حال المرء أعدل شاهد يقربما أسدت اليه يد القطر

(وفى الحديث) من لم يشكر على القليل لم يشكر على الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله (وفى الحديث القدسى) عبدى لم تشكرنى إذا لم تشكر من أجريت النعمة على يديه ولما دخل سفيان الثورى على جعفر الصادق وقال له علمنى يا ابن رسول الله مما علمك الله قال له إذا تظاهرت الذنوب فعليك بالاستغفار وإذا تظاهرت النعم فعليك بالشكر وإذا تظاهرت الغموم فقل لاحول ولا قوة إلا بالله فخرج سفيان وهو يقول ثلاث وأى ثلاث (وفى الحديث) من أعطى فشكروا بتلى فصبر وظلم فغفر وظلم فاستغفر أولئك لهم الامن وهم مهتدون (وروى) أن داود عليه السلام قال إلهى كيف أشكرك وشكرى لك نعمة من عندك فأوحى الله اليه الآن شكرتنى وما ألطف قول بعضهم :

إذا كان شكري نعمة الله نعمة على له في مثلها يجب الشكر
فكيف بلوغ الشكر إلا بفضله وإن طالت الايام واتصل العمر
إذا مس بالسراء عم سرورها وان مس بالضراء يعقبها الأجر
فما منهما إلا له فيه نعمة تضيق بها الأوهام والسر والجهر

(وقال بعض العارفين) من أعطى أربعا لم يمنع من أربع من أعطى الشكر لم يمنع المزيد لقوله تعالى لئن شكرتم لأزيدنكم ومن أعطى التوبة لم يمنع القبول لقوله تعالى وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ومن أعطى الاستخارة لم يمنع الخيرة ومن أعطى المشورة لم يمنع الصواب لقوله ﷺ لا خاب من استخار ولا ندم من استشار .

وما ألطف قول بعضهم :

لئن شكرتم لأزيدنكم مقالة الله التي قالها
فالكفر بالنعمة يدعو إلى زوالها والشكر أبقى لها

وقوله والوفا بأوامر شرط من الشروط أي بما أمر الله به فإن ذلك من جملة أمور الدين الأربعة التي هي صحة العقد وصدق القصد والوفاء بالعهد وحفظ الحد ومعنى صحة العقد أن يكون الاعتقاد في ذات الله وصفاته وأنبيائه وجميع ما جاؤا به صحيحا ومعنى صدق القصد الاخلاص لله في العبادة فلا يقصد بعبادته سواه ومعنى الوفاء بالعهد امتثال الاوامر لقوله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه ومعنى حفظ الحد اجتناب النواهي لقوله تعالى وما نهاكم عنه فانتهوا (وفي الحديث) ان الله فرض فرائض فلا تضيعوها وحد حدودا فلا تعتدوها وحرم أشياء فلا تنتهكوها (وعن عقبة بن عامر) رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ إذا رأيت الله تعالى يعطي العباد ما يشاؤن وهم مصرون على المعاصي فاعلم أن ذلك استدراج منه لهم ثم تلا فلما نسوا ماذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون فتخلص يا أخي من شرك المعاصي . قبل الأخذ

بالنواصى . وقم بأوامر الكبير المتعال ، وتدبر قول من قال :

العمر ينقص والذنوب تزيد ۞ وتقال عثرات الفتى فيعود
هل يستطيع جحود ذنب واحد ۞ رجل جوارحه عليه شهود

ودخل بعض وزراء المأمون عليه فوجد فى يده رقعة فيها هذه الموعظة

إنك فى دار لها مدة ۞ يقبل فيها عمل العامل
أما ترى الموت محيطا بها ۞ يقطع فيها أمل الآمل
تعجل بالذنب لما تشتهى ۞ وتأمل التوبة من قابل
والموت يأتى بعد ذا بغتة ۞ ماذاك فعل الحازم العاقل

فتأمل يا أخى وشمر عن ساعد جدك . وإن كنت من أهل البطالة فقل مخاطبا لخدك :

يا خد إنك ان توسد لينا ۞ وسدت بعد الموت صم الجندل
فامهد لنفسك صالحا تسعد به ۞ فلتندمن غدا إذا لم تفعل

ولله در القائل :

مضى أمسك الأدنى شهيداً معدلا ۞ ويومك هذا بالفعال شهيد
فان تك بالأمس اقترفت إساءة ۞ فثن باحسان وأنت حميد
ولا ترج فعل الخير منك إلى غد ۞ لعل غدا يأتى وأنت فقيد

(واعلم) أن الانسان لايفى بالأوامر إلا بعد مخالفه النفس والشيطان ومجانبة الأهواء الموجبة للخذلان . ولذا قال بعضهم فى شرح أحوال الصوفية الذين قاموا لله على قدم العبودية . تنسموا روح مادعاهم اليه فاسرعوا إلى محو العلائق الشاغلة ، وتجرعوا مرارة المكابدة وصدقوا الله فى المعاملة ، وأحسنوا الأدب فيما توجهوا اليه وعرفوا قدر مطلوبهم فجعلوا توكلهم عليه فحيوا حياة الأبد بالحى الذى لم يزل ولا يزال ، وإن أردت ان تكون على مذهبهم فاعمل بقول من قال :

بالذوق والشوق نالوا عزة الشرف ... لا بالدلوق ولا بالعجب والصلف
ومذهب القوم أخلاق مطهرة ... بها تخلفت الأجساد فى النطف
صبر وشكر وإيثار ومخمصة ... وأنفس تقطع الأنفاس باللهف
والزهد فى كل فان لا بقاء له ... كما مضت سنه الأخيار والسلف
قوم لتصفية الارواح قد عملوا ... وسلوا عارض الأشباح للتلف
لا بالتخلف فى المعروف تعرفهم ... ولا التكلف فى شىء من الكلف
ماضرهم رث أطمار ولا خلق ... كالدر ماضره مخلولق الصدق
واشقوتى أن تولت أمة سلفت ... حتى تخلفت فى خلف من الخلف
ينمقون تزاوير الغرور لنا ... بالزور فى القول والبهتان والحلف
ليس التصوف عكازا وسبحة ... كلا ولا الفقر رؤيا دلقك الترف
وأن تروح وتغدو فى مرقعة ... وتحتها موبقات الكبر والسرف
وتظهر الزهد فى الدنيا وأنت على ... عكوفها كعكوف الكلب فى الجيف
الفقر سر وعنك النفس تحجبه ... فارفع حجابك تجلو ظلمة السدف
وفارق الجنس وافن النفس فى نفس ... وغب عن الحس واجلب دمعة الاسف
واخضع له وتذلل إن دعيت له ... واعرف محلك من اياك واعترف
وقف على عرفات الذل منكسرا ... وحول كعبة عرفان الصفا فطف
وادخل إلى خلوة الافكار مبتكرا ... وعد إلى حانة التذكار بالصحف
واتل المثانى ووحد إن عزمت على ... ذكر الحبيب وصف ماشئت واتصف
وان سقاك مدير الراح من يده ... كأس التجلى فخذ بالطاس واغترف
واشرب وأسق ولا تبخل على ظما ... فان رجعت بلا رى فيا أسفى

وقال الإمام المقسى مبتدئا بمن تزيا بزيهم، ولم يسر بسيرهم :

ذهب الرجال وحال دون مجالهم ... زمر من الأوباش والأنذال
زعموا بأنهمو على آثارهم ... ساروا ولكن سيره البطال

لبسوا الدلوق مرقعا وتقشفوا كتقشف الأبطال والأبدال
قطعوا طريق السالكين وأظلموا سبل الهدى بجهالة وضلال
عمروا ظواهرهم بأثواب التقى وحشوا بواطنهم من الأدغال
إن قلت قال الله قال رسوله همزوك همز المنكر المتغالى
ويقول قلبى قال لى عن خاطرى عن سر سرى عن صفا أحوالى
عن حضرتى عن فكرتى عن خلوتى عن جلوتى عن شاهدى عن حالى
عن صفو وقتى عن حقيقة حكمتى عن ذات ذاتى عن صفات فعالى
دعواه إن حققتها ألفيتها ألقاب زور لفقت بمحال
تركوا الشرائع والحقائق واقتدوا بطرائق الجهال والضلال
جعلوا المرا فتحا وألفاظ الخطا شطحا وصالوا صولة الأدلال
وترصدوا أكل الحرام تخادعا كتخادع المتناصص المحتال
فاحذر همو واحفظ مودة سادة قاموا بذكر الله فى الآصال
القانتين المخبتين لربهم الناطقين بأصدق الأقوال
التاركين حظوظهم ونفوسهم المؤثرين بخالص الأموال
ما شأنهم فى شأنهم كذب ولا عمل لقصدريا ولا لجدال
عملوا بما علموا وجادوا بالذى وجدوا وما بخلوا بفضل نوال
وإذا بدليل سمعت أنينهم وحنينهم بتضرع وسؤال
وعيونهم تجرى بفيض دموعهم مثل انهمال الوابل الهطال
متفاوتين بقربهم وبحبهم كتفاوت العمال فى الأعمال
فى الليل رهبان لخدمة ربهم وتخالهم فى الجود كالأبطال
تاهوا على كل الملوك وإنهم لهم الملوك بعزة الإقبال
ولرب أشعث حقرته دلوقه ولدى المليك هو العزيز الغالى
خمص البطون لما بهم من فاقة شعث الرؤوس لروعة الأهوال
لم تخل أرض منهمو قد حكموا ذات اليمين بها وذات شمال

سوى لهم بين الثريا والثرى | والفرش والعرش الرفيع العالى
لا ينظرون الى سوى محبوبهم | شغلا به عن سائر الأشغال
فهمو إليك وسيلتى يا سيدى | إلا وصلت حبالهم بحبالى

ثم إن المصنف حث المريد على عدم تجاوز الكتاب والسنة فى الأوامر والنواهى بقوله ولا تعد عن حكمى كتاب وسنة أى لا تتجاوز ما حكم به الكتاب العزيز الذى هو القرآن ، ولا ما حكمت به سنة سيد ولد عدنان وهى أقواله ﷺ وأفعاله وتقريراته ويلحق بالكتاب والسنة ما استنبط منهما لما ورد عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ وما استنبطه الأئمة المجتهدون من الكتاب والسنة حكمه يعطى لهما لأن الفرع تابع لأصله (قال الإمام الغزالى) من حصل العلم ثم تصوف أفلح ومن تصوف قبل العلم خاطر بنفسه

(وقال الجنيد) من لم يسمع الحديث ويجالس الفقهاء ويأخذ أدبه عن المتأدبين أفسد من اتبعه وكان يقول علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة قال ابن العربى يريد أنه نتيجة العمل بهما وهما الشاهدان العدلان (وقال الإمام الشعرانى) فى طبقاته نقلا عن سيدى أبى الحسن الشاذلى إذا عارض كشفك الكتاب والسنة فتمسك بالكتاب والسنة ودع الكشف وقل لنفسك إن الله تعالى قد ضمن لى العصمة فى الكتاب والسنة ولم يضمنها لى فى جانب الكشف ولا الإلهام ولا المشاهدة مع أنهم أجمعوا على أنه لا ينبغى العمل بالكشف ولا الإلهام ولا المشاهدة إلا بعد عرض ذلك على الكتاب والسنة (وقال) فى محل آخر نقلا عن بعض العارفين أصولنا سبعة أشياء التمسك بكتاب الله والاقتداء بسنة رسول الله ﷺ وأكل الحلال وكف الأذى واجتناب المعاصى والتوبة وأداء الحقوق (وكان) سيدى ابراهيم الدسوقى إذا أخذ العهد على فقير يقول له يا فلان اسلك طريق النسك على كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة

وصوم رمضان والحج الى بيت الله الحرام واتباع جميع الأوامر المشروعة والأخبار المرضية والاشتغال بطاعة الله تعالى قولا وفعلا واعتقاداً ولا تنظر يا ولدى إلى زخارف الدنيا ومطاياها وقماشها ورياشها وحظوظها واتبع نبيك محمدا صلى الله عليه وسلم فى أخلاقه فان لم تستطع فاتبع خلق شيخك فان نزلت عن ذلك هلكت مع الهالكين (وقال سيدى سعيد المغربى) أصل التصوف ملازمة الكتاب والسنة وترك الاهواء والبدع وتعظيم حرمات المشايخ وإقامة المعاذير للخلق والمداومة على الأوراد ، وترك ارتكاب الرخص والتأويلات وماضل أحد عن هذا الطريق إلا انحط عن مقام الرجال اه ، وإنما أطنبنا لك فى هذا المقام ، وسردنا عليك أقوال هؤلاء الأئمة الأعلام . لتنظر ماعليه أبناء الطريق اليوم . وتختار لنفسك من رزقه الله التوفيق فسلك سبيل القوم . وإلا فالزم العمل بالكتاب والسنة فانهما الحرز المصون ، وعليك بخاصة نفسك ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون ، وهذه بعض أبيات . من نصيحة صديقنا الشيخ محمد محرم العمروسى ترشدك إلى أكمل الحالات :

تمسك بحبل الشرع واضرب بسيفه ... رؤس المعاصى واتخذ منه جوشنا
وبادر إلى إنكار ما كان خارجا ... عن الحق واحذر أن تكون مداهنا
ولا تجعل الذكر النفيس وسيلة ... إلى عرض الدنيا المعرض للفنا
ولا تجعل المقصود منه تكسبا ... فتنحط قدرا من علاك وتفتنا
ولا تتخذه الربابة سلما ... فتغضب مربوبا وربا مهيمنا
وتأتى ما تأتى رياء وسمعة ... وتتخذ الشرك الخفى تدينا
وليست بارخاء الشعور ولاية ... إذا كان منك القلب أسود عاطنا
وليست باظهار التباله خدعة ... إذا كان فيك الغش والمكر كامنا
وغير مفيد لبس تاج وخرقة ... إذا كان إبليس بجسمك ساكنا

فوحد هوى ليلى لتحظى بوصلها ... وترق بلقياها وتظفر بالمنى
وما دمت مأسور النفسك والهوى ... فما زلت فى سجن القطيعة قاطنا
فطلق هداك الله نفسا خؤنة ... طلاقا صريحا بالثلاثة بائنا
فما هى إلا ذات سم مخبا ... وأعدى عدو فى الحشا متوطنا
وإلا فدع دعوى الصلاح ولا تكن ... بغير فلاح للولاية معلنا
وخل مقامات الرجال لأهلها ... وعش خاليا فالحب راحته عنا
فيا فقراء الوقت ما لى أراكمو ... أتيتم أمورا لا تحل بشرعنا
فكم بدع أحدثتموها بجهلكم ... وصرتم عليها عاكفين ليومنا
جعلتم طريق القوم رقصا وصيحة ... ومنكر أصوات يهيجا الغنا
وملأ بطون من غذا لم يفد سوى ... تجشئكم يا قوم حول بيوتنا
وتحصيل أرزاق وضرب عوائد ... على الناس تأباها قواعد ديننا
وحرفتموا التهليل عن وضعه الذى ... أتانا به التنزيل من عند ربنا
وطرقتموا فيه طرائق لم يكن ... عليها رسول الله والقوم قبلنا
أكان رسول الله يصحب منشدا ... ينادى بأعلى الصوت ليلا مدندنا
فما زدتموا المردان إلا تمردا ... وما زدتموا الشبان إلا تشيطنا
وما زدتموا الجهال إلا جهالة ... وبعداً عن الأخرى وقربا إلى الدنا
فكن عالما بالشرع واعمل به فمن ... أراد طريقا دون علم فقد جنى
ولا ينبغى للجاهلين تصدر ... ولا نشر أعلام الشريعة بيننا
ألم يعلموا أن الطريق كناية ... عن العمل الجارى على وفق شرعنا
وذبح النفوس الضاريات بمدية ... من الخلف حتى لا تميل إلى الخنا
وزهد عن الدنيا وعن شهواتها ... وعن براها أكبر الهم مقتنى
وجوع وصمت واعتزال وفكرة ... بها حضرة الرحمن تدخل آمنا
وذكر بنار الشوق يحرق خاطرا ... ويغرق فى بحر المدامع أعينا
يكون بجد واجتهاد وهمة ... مشمرة لا بالتكاسل والونا

وعلم وحلم واقتداء بعارف دسائس للشيطان والنفس والدنا
فمن لم يصاحب شيخ صدق ملقن يكون له الشيطان شيخا ملقنا
فأخلص هداك الله تخلص فهذه طريقتنا الغراء دانية الجنى

ثم قال المصنف رضى الله عنه :

وَرَاقِبْ جَنَابِ الحقِّ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَرَى
لِنَفْسِكَ فِعْلاً مِنْ فِعَالٍ جَمِيلَةٍ

هـذا إشارة إلى مقام المراقبة التى هى شرط فى طريق المقربين وهى دوام استحضار القلب احاطة علم الله تعالى بحركاته وسكناته فالمعنى عليك بمراقبة مولاك فى حركاتك وسكناتك ، ولحظاتك وخطراتك ، واعلم أنه ناظر اليك ، ومطلع عليك ، ومايعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء وإن تجهر بالقول فانه يعلم السر وأخفى : وهو معكم أينما كنتم بالعلم والإحاطة والاقتدار ، والحفظ والرعاية والهداية لمنازل الأبرار . فاستح من مولاك أن يراك حيث نهاك ، واعبده كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك . (قال ذوالنون المصرى) علامة المراقبة إيثار ما آثر الله، وتعظيم ما عظم الله . (وقال ابن عطاء الله) أفضل الطاعات . مراقبة الحق على دوام الأوقات . (واعلم) أن المراقبة لا تكون الا بعد المحاسبة فاذا حاسب العبد نفسه على عدد الأنفاس ، وتحرز من كيد الوسواس الخناس . صحت له المراقبة فى عموم الأحوال ، وعلم أن الله مطلع عليه فى جميع الأقوال والأفعال ، وإلا كان بعيدا عن هذا المقام ، ولم يصل الى هذا المرام . (وقال بعض العارفين) من راقب الله فى خواطره عصمه فى جوارحه . (وقال بعضهم) اذا جلست للناس فكن واعظا لنفسك وقلبك ولا يغرنك اجتماعهم عليك فانهم يراقبون ظاهرك والله تعالى يراقب باطنك .

(وروى) أن الواعظ إذا جلس ليعظ الناس قال له كاتباه يا عبد الله عظ نفسك بما تعظ به أخاك ، واستح من سيدك فانه يراك . (وسئل) أبو الحسن بن هندى متى يحفظ الراعى غنمه بعصى الرعاية عن مواقع الهلكة فقال إذا علم أن عليه رقيبا (وكان) ابن عمر فى سفر فرأى غلاما يرعى غنما فأعجبه حسن رعايته لها فى الظاهر فأراد أن يختبر باطنه فقال له تبيع من هذه الغنم واحدة فقال انها ليست لى فقال قل لصاحبها إن الذئب أخذ منها واحدة فقال الغلام فأين الله فأعجبه حسن مراقبته وصار يترنم بذلك ويقول فأين الله (وكتب بعض الحكماء) الى صديق له أما بعد فعظ الناس بفعلك ولا تعظهم بقولك واستح من الله بقدر قربه منك وخفه بقدر قدرته عليك والسلام (وقال بشر بن مروان) لأبى حازم ما المخرج مما نحن فيه فقال أن تنظر إلى ما عندك فلا تضعه إلا فى حقه وإلى ما ليس عندك فلا تأخذه إلا بحقه قال ومن يطيق هذا يا أبا حازم فقال من أجل ذلك ملئت جهنم من الجنة والناس أجمعين (وقيل لأبى حازم) ما مالك فقال شيئان الرضا عن الله والغنى عن الناس وقيل له انك لمسكين فقال كيف أكون مسكينا ومولاى له مافى السموات وما فى الارض وما بينهما وماتحت الثرى (وقد قالوا) غفلة القلب عن الرب من أعظم الذنوب . وأكبر العيوب . ولو كانت آنا من الآنات . أو لمحة من اللمحات . فانه كما تعاقب العوام على سيئاتهم . تعاقب الخواص على غفلاتهم . فاجتنب الاختلاط باصحاب الغفلة على كل حال . إن أردت أن تكون من زمرة أهل الكمال :

فنحن فى سفر نمضى الى حفر   وكل آت لنا قرب من العدم
والموت يشملنا والحشر يجمعنا   وبالتقى الفخر لا بالمال والحشم

وإنما قال المصنف من غير أن ترى لنفسك فعلا لأن الأفعال كلها فى الحقيقة لله قال تعالى والله خلقكم وما تعملون فلا ينبغى للمريد أن يرى

لنفسه فعلا جميلا بل يتهمها بالتقصير فى الطاعة لأن الرضا عن النفس أصل جميع الصفات المذمومة كما أن عدم الرضا عنها أصل جميع الصفات الممدوحة (وقد كان) السرى السقطى يقول كل من ظن من نفسه أنه محسن فهو ممن زين له سوء عمله ومن لم يظن من نفسه أنه هالك فهو هالك (وكان) سيدى على الخواص يقول لتلميذه الإمام الشعرانى إن لم تخف أن يهلكك الله تعالى بالنقص الذى فى أعمالك الصالحة عندك فضلا عن معاصيك فانت هالك . فتامل ذلك يا أخى وتيقن أن الناجى من اتهم نفسه بالتقصير ، وباعها فى مرضاة العليم الخبير . (وقد حكى) أن رجلا قال لابى يزيد ان نفسى تطالبنى فقال أولك نفس قال نعم قال ان المؤمن بلا نفس فان الله تعالى يقول ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة فن باع نفسه فكيف يكون له نفس ، وانما خص المصنف الأفعال الجميلة بعدم نسبتها للنفس لانها التى بها الزهو والعجب فاذا نسبها للنفس حصل لها العجب المؤدى الى الهلاك ، وأما الأفعال الذميمة فينبغى نسبتها للنفس تأدبا قال تعالى ما أصابك من حسنة فن الله أى ايجادا وخلقا وما أصابك من سيئة فن نفسك أى كسبا لا خلقا ، وان كان الكل من الله خلقا . بدليل قوله تعالى قل كل من عند الله ، وانظر الى أدب الخضر عليه السلام حيث قال فاراد ربك أن يبلغا أشدهما وقال فاردت أن أعيبها ولم يقل فاراد أن يعيبها وكذلك ابراهيم الخليل عليه السلام حيث قال الذى خلقنى فهو يهدين ثم قال واذا مرضت ولم يقل أمرضنى بل نسب المرض لنفسه تادبا (وقد كان) بعض العارفين لا يعيب فعل أحد لمشاهدته أن كل الافعال لله تعالى .

وما ألطف قول بعضهم :

اذا ما رأيت الله فى الكل فاعلا رأيت جميع الكائنات ملاحا

وان لم ترى الا مظاهر صنعه   حجبت فصيرت الملاح قباحا

ثم قال المصنف رضى الله عنه :

وَجَاهِدْ تُشَاهِدْ كلّ مَعْنى مُحَجّبٍ
عَنِ العَقْلِ والأبْصَارِ مِنْ غَـيْرِ رِيبَةٍ

أى ومن الأصول أن تجاهد نفسك الامارة بالسوء فان جهادها هو الجهاد الأكبر ومجاهدتها أشد من مجاهدة الشيطان فانها العدو الملازم ، واللص اذا كان من أهل البيت تضيع فيه الحيل بخلاف الشيطان فانه خارج عن البدن ليمكن منعه بتضييق مجاريه بالجوع وأيضا الشيطان عدو مبغوض بخلاف النفس فانها عدو محبوب والحب يعمى عن عيوب محبوبه .

(وقد ورد) حبك الشىء يعمى ويصم . فيلزمك أيها المريد أن تتبصر فى عيوبها وتحملها على حسن القيام . بالتكاليف الشاقة التى أمر بها الشارع عليه السلام . فان بعض العارفين قال : ما أخذنا التصوف من القيل والقال . ولكن من الجوع وترك الدنيا وقطع المالوفات . وامتثال الاوامر واجتناب المنهيات . (واعلم) أن أصل المجاهدة وملاكها فطم النفس عن المالوفات ، وحملها على خلاف هواها فى عموم الأوقات ، ولا أقول لك اقلع شجرة الطبع . من أرض الوضع . اذ ليس فى الإمكان . قلب طبع الإنسان . وانما أقول دم على المجاهدة . تحظ بالمساعدة . وكلما نبت عرق من عروق الهوى . فاقلعه بعلاج التقوى ، واستعمل الصبر على المجاهدات ، وتدبر قول بعض السادات :

الصبر كالصبر مر فى مذاقته   لكن عواقبه أحلى من العسل

وقال آخر :

وقل من جد فى أمر يحاوله　　واستعمل الصبر الا فاز بالظفر

(وقد كانت) بعض العابدات الصابرات إذا مات لها ولد تضع رأسه على حجرها وتقول والله لتقدمك أمامى خير عندى من تأخرك بعدى ولصبرى عليك أولى من جزعى عليك ولئن كان فراقك حسرة فان فى توقع أجرك الخيرة ثم تنشد قول عمرو بن معدى كرب :

وإنا لقوم لا تفيض دموعنا　　على هالك منا وإن قصم الظهر

فلا تتأخر أيها الرجل الكامل عن الوصول إلى هذه الدرجة التى أحق بها الرجال . واستعمل الصبر فى مجاهدتك لنفسك حتى تبلغ الآمال . واحذر فى حال المجاهده أن تخدعك بتسويفاتها واظهار شفقتها عليك . فانه قد ورد أعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك . فى اعزازها بعدك عن مقام تبلغ فيه هنالك مناك ، وفى اذلالها عزك وقربك من مواهب مولاك ، ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم من أعز نفسه فقد أذل دينه ومن أذل نفسه فقد أعز دينه (وقال ابراهيم بن أدهم) لرجل فى الطواف اعلم أنك لا تنال درجة الصالحين حتى تجوز ست عقبات أولاها أن تغلق باب النعمة وتفتح باب الشدة والثانية أن تغلق باب العز وتفتح باب الذل والثالثة أن تغلق باب الراحة وتفتح باب الجهد والرابعة أن تغلق باب النوم وتفتح باب السهر والخامسة أن تغلق باب الغنى وتفتح باب الفقر والسادسة أن تغلق باب الأمل وتفتح باب الاستعداد الموت (ومن كلام) ابن العربى فى الفتوحات :

سبح إلهك بكرة وأصيلا　　فالنفل يرجع بالهدى اكليلا
جاهد هواك ولا تكن ذا فترة　　فيه وكن للنائبات خليلا
إن المجاهد لا يزال مكابدا　　يهوى الخطوب ويعشق التعليلا

لا تركنن إلى البطالة انها ... تردى وكن للحادثات وصولا

ومن النصائح قول بعضهم :

حتام انت بما يلهيك مشتغل ... عن نجح قصدك من خمر الهوى ثمل
ترضى من الدهر بالعيش الذميم إلى ... كم ذا التوانى وكم يغرى بك الأمل
وتدعى بطريق القوم معرفة ... وأنت منقطع والقوم قد وصلوا
فانهض إلى ذروة العلياء مبتدرا ... عزما الترق مكانا دونه زحل
فان ظفرت فقد أعطيت مكرمة ... بقاؤها ببقاء الله متصل
وان قضيت بهم وجدا فأحسن ما ... يقال عنك قضى من وجده الرجل

وقال أبو الفتح البستى :

دع التكاسل فى الخيرات تطلبها ... فليس يسعد بالخيرات كسلان
لا ظل للمرء أحرى من تقى ونهى ... وان أظلته أوراق وأغصان

وقال أبو بكر الخوارزمى :

لا تصحب الكسلان فى حالاته ... كم صالح بفساد آخر يفسد
عدوى البليد إلى الجليد سريعة ... والجمر يوضع فى الرماد فيخمد

(قال بعضهم) رأيت أبا ميسرة العابد وقد بدت أضلاعه من الاجتهاد فى الطاعة فقلت يرحمك الله إن رحمة الله واسعة فغضب وقال هل رأيت ما يدل على القنوط أن رحمة الله قريب من المحسنين فأبكانى والله كلامه ، ولينظر العاقل إلى حال الرسل والابدال والأولياء واجتهادهم فى الطاعات وصرفهم العمر فى العبادات لا يفترون عنها ليلا ولا نهارا أما كان لهم حسن ظن بالله بلى والله إنهم كانوا أعلم بسعة رحمة الله وأحسن ظنا بجوده من كل ظان ولكن علموا أن ذلك بدون الجد والاجتهاد أمنية محضة وغرور باطل ، فأجهدوا أنفسهم فى العبادة والطاعة . ليتحقق لهم الرجاء الذى هو من

أحسن بضاعة (وفى الحديث القدسى) ما أقل حياء من يطمع فى جنتى بغير عمل كيف أجود برحمتى على من بخل بطاعتى ، ولذا قال المصنف وجاهد تشاهد كل معنى محجب يعنى أن من جاهد نفسه يرى تجليا رحمانيا محجبا عن العقل والأبصار . يكون به المريد فى أعلى مقام القرب والافتخار ، وقوله من غير ريبة أى من غير شك فى ذلك (وقد سئل) بعضهم عن المشاهدة فقال كشف الحجاب بين القلب والرب والمراد كشف الحجاب عن العبد فان الرب لايحجبه شىء (وقال الجنيد) المشاهدة ادراك الغيوب . بأنوار الاسرار عند صفاء القلوب . (قالوا) ولم يزد فى بيان تحقيق المشاهدة أحد على قول عمرو بن عثمان المالكى هى توالى أنوار التجلى على القلب من غير أن يتخللها ستر ولا انقطاع كما لو قدر اتصال البروق فى الليلة الظلماء ، وأنشدوا :

ليلى بوجهك مشرق وظلامه فى الناس سارى
فالناس فى سدف الظلا م ونحن فى ضوء النهار

(وقال الشبلى) استنار قلبى يوما فشاهدت ملكوت السموات والأرض ثم وقعت منى هفوة فحجبت عن شهود ذلك فتعجبت كيف حجبنى هذا الأمر الصغير عن درك الأمر الكبير فقيل لى البصيرة كالبصر فكما أنه اذا حل أدنى شىء فى البصر حجبه عن النظر فكذلك البصيرة . ثم شرع المصنف يبين حقيقة من يحسن السلوك على يديه . من شيخ عارف بالطريقة يكون خبيرا بما للمريد وما عليه . ليحصل به الهداية والإرشاد . فقال رضى الله عنه موقيا بالمراد :

وَلاَ بُدَّ مِنْ فِكْرٍ وذِكْرٍ وَوِجْهَةٍ
عَلَى يَدِ شَيْخٍ عَارِفٍ بالطَّرِيقَةِ

. يعنى أنه يشترط أن يتفكر المريد فى مصنوعات الله تعالى ليستدل بذلك على عجيب قدرته لما فى الحديث تفكروا فى آلاء الله ولا تتفكروا فى ذاته فانه لاتحيط به الفكرة .

وما ألطف قول بعضهم :

كل ما ترتقى اليـــه بوهم　　من جلال وقدرة وسناء
فالذى أبدع البرية أعلى　　منه سبحان مبـدع الأشياء

وكذلك يتفكر فى أحوال المعاد . ليجتهد فى تقديم مايحصل له به الإسعاد والتفكر هو تصرف القلب فى معانى الاشياء لدرك المطلوب ويقال هو سراج القلب يرى به خيره وشره ه ومنافعة ومضاره . وكل قلب لا تفكر فيه فهو فى ظلمات يتخبط ويقال هو مصباح الاعتبار . ومفتاح الاختبار . ويقال هو حديقة أشجارا لحقائق . وحدقة أنوار الدقائق . ويقال هو مزرعة الحقيقة . ومشرعة الشريعة . ويقال هو شبكة طائر الحكمة :

فكن متفكرا فى كل أمر　　لتحظى بالمسرة فى المـــآل

ولا بد أيضا من ذكر باللسان والقلب وهو من اللوازم المعبر عنه بالدراج وناهيك قوله تعالى فاذكرونى أذكركم وقوله سبحانه ألا بذكر الله تطمئن القلوب (وفى الحديث) إذا مررتم برياض الجنـة فارتعوا قيل وما رياض الجنـة يارسول الله قال حلق الذكر (وقال ﷺ) لذكر الله عز وجل بالغداة والعشى أفضل من حطم السيوف فى سبيل الله ومن إعطاء المال سحا (وقال ﷺ) الا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها فى درجاتكم وخير لكم من إعطاء الورق والذهب وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قلنا بلى يارسول الله قال ذكر الله عز وجل (وقال ﷺ) أحب الاعمال إلى الله أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله (وفى الحديث القدسى) من شغله ذكرى عن مسئلتى أعطيته أفضل

ما أعطى السائلين (وروى) أن الله عز وجل قال ياعبدى إذكرنى بعد الصبح ساعة وبعد العصر ساعة أكفك ما بينهما :

فالذكر أفضل باب أنت داخله   لله فاجعل له الانفاس حراسا

(وكان) سيدى أبو العشائر يقول الاصول التى يبنى عليها المريد أمره أربعة اشتغال اللسان مع حضور القلب بذكر الله وجبر القلب على مراقبته ومخالفة النفس والهوى من أجله وتصفية اللقمة لعبوديته وهى القطب وبها تزكو الجوارح ويصفو القلب (واعلم) أن حقيقة الذكر دوام الحضور . من غير تخلل غفلة وقصور .

ولله در الشبلى حيث قال :

ذكرتك لا أنى نسيتك لمحة   وأيسر ما فى الذكر ذكر لسانى
وكدت بلا وجد أموت من الهوى   وهام على القلب بالخفقان
فلما أرانى الوجد أنك حاضرى   شهدتك موجودا بكل مكان
فخاطبت موجودا بغير تكلم   ولاحظت معلوما بكل عيان

ويكفيك فى خصائص أهل الذكر أنهم القوم الذين لا يشقى لهم جليس لما فى الحديث أن لله ملائكة سياحين فى الأرض يلتمسون مجالس الذكر فاذا رأوا مجلس الذكر نادى بعضهم بعضا هلموا هذه حاجتكم فتحفهم الملائكة بأجنحتهم إلى عنان السماء ثم يقول الله تعالى لملائكته أشهدكم ياملائكتى أنى غفرت لهم فتقول الملائكة إلهنا إن فيهم فلانا جلس لغير حاجة الذكر فيقول الله تعالى هم القوم لا يشقى لهم جليس (وفى رواية) لا يقعد قوم يذكرون الله تعالى إلاحفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده (قال العلامة الأمير) ينبغى للذاكر بلا إله إلا الله ان يلاحظ كونها آية من كتاب الله ليكثر له الثواب وإن لم يلاحظ المعنى اه ومعناها لا معبود بحق إلا الله (ثم اعلم) أن الذكر عند العارفين لغير

ارباب الشهود لما فى الحديث القدسى من ذكر لم يشهد ومن شهد لم يذكر أى من كان يرى له وجودا يذكرنى به فانه محجوب والمحجوب لايشهد ومن شهد أن الوجود لى ولا وجود لغيرى علم أنى الذاكر والمذكور والذكر فلم يذكر وبهذا يتضح قول ابن العربى :

بذكر الله تزداد الذنوب وتنعكس البصائر والقلوب
وترك الذكر أفضل كل شيء فشمس الذات ليس لها غروب

وهذا من باب حسنات الأبرار سيآت المقربين وقليل أهل هذا المقام الذين قال قائلهم :

الله يعلم أنى لست أذكره وكيف أذكره إذ لست أنساه

وقوله ووجهة أى ولا بد أيضا للمريد من وجهة أى حسن توجه على يد شيخ وهو من اللوازم المعبر عنه بالدليل ومن لم يكن له شيخ فالشيطان شيخه لأن النفس التى هى مريدة الشيطان كثيرة التلبيس عظيمة التدليس توهم العبد أنه صادق وهو كاذب وأنه موف بعهده وهو ناكث وأنه زاهد وهو راغب وإنما يعرف ذلك من نفسه بتنبيه شيخ يأتى اليه قياده أو فقيه يستفتيه فى سائر أموره أو صاحب ناصح فالشيخ أول دليل ، وعليه عند القوم التعويل . فمن استضاء به اهتدى . ومن ضل عنه ارتدى . على حد ماقيل :

من لم يكن خلف الدليل مسيره كثرت عليه طرائق الاوهام

وقال آخر :

لا تسلكن طريقا لست تعرفها بلا دليل فتهوى فى مهاويها

فلابد للمريد من شيخ كامل يقتدى بآثاره ، ويهتدى بهديه وأنواره : فانه واسطة الخير . والوسيلة إلى المنع من الضير ، وناهيك فى اكتساب

هذه الفضيلة . قول الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة ، ولله در من قال :

وغنم مريد فى انقياد لكامل ... له خبرة بالعلم والوقت والحال
هوالكنزوالإكسيروالكيميالمن ... أرادوصولا أو بغى نيل آمال

(واعلم) أنه لايصلح للارشاد . إلا من كان على علم يهدى به العباد . فاذا مرض مريده بسبب شبهة فى علم التوحيد داواه . أو تحير فى مسئلة من مسائل الفقه أفتاه . مع قناعة تورثه الغنى عن الناس ، وخوف يحجزه عن المعاصى والادناس ، وملازمة للعمل بالكتاب والسنة . فمن اجتمعت فيه هذه المزايا كملت به على المريد المنة ، وقد شرع المصنف فى أوصافه وبدأ منها بقوله عارف بالطريقة أى أن يكون كاملا فى العلم والعمل وقد ذكر بعضهم الاوصاف التى ينبغى أن تكون فى الشيخ فقال :

اذا لم يكن فى الشيخ خمس فوائد ... وإلا فدجال يقود إلى الجهل
بصير بأحكام الشريعة عارف ... ويبحث فى علم الحقيقة عن أصل
يبادر للوراد بالبشر والقرى ... ويخضع للمسكين فى القول والفعل
فهذا هو الشيخ المعظم قدره ... جدير بتمييز الحرام من الحل

(وقال سيدى على الخواص) لا يكون الرجل معدودا عندنا من أهل الطريق حتى يكون عالما بالشريعة المطهرة مجملها ومفصلها ناسخها ومنسوخها خاصها وعامها ومن جهل حكما واحدا منها سقط عن درجة الرجال . قال الإمام الشعرانى فقلت له يا سيدى ان غالب مسلكى هذا الزمان على هذا ساقطون عن درجة الرجال فقال نعم ان هؤلاء يرشدون الناس إلى بعض أمور دينهم ، وأما المسلك فهو من لو انفرد فى جميع الوجود لكفى الناس كلهم من العلم فى سائر ما يطلبونه اه (قلت) وهذا جوهر نفيس

لا يزال عزيز الوجود . يكاد لعزته أن يكون فى حكم المفقود . كما قال أبو مدين الغوث :

واعلم بأن طريق القوم دارسة وحال من يدعيها اليوم كيف ترى

ثم تمنى رؤية القوم ، الذين ليسوا على ماعليه أهل اليوم . فقال :

متى أراهم وأنى لى برؤيتهم أو تسمع الأذن منى عنهمو خبرا

(وكان) سيد هذه الطائفة الإمام الجنيد يقول لا يستحق الرجل أن يكون شيخا حتى يأخذ حظا من كل علم شرعى وأن يتورع عن جميع المحارم وأن يزهد فى الدنيا وأن لايشرع فى مداواة غيره إلا بعد فراغه من مداواة نفسه ثم قال فاياك ومتابعة من لم يكن على هذه الأوصاف فانه من جنود الشيطان واعتبر أقواله وأفعاله وأحواله وزنها بميزان الشريعة والطريقة فان رأيت شيئا مخالفا لها فرده فان كان صاحب حال صحيح ورددته فما عليك من رده بحكم الشرع ولا تتخذه شيخا ومرشدا (وقال أبو يزيد) لو نظرتم إلى رجل أعطى من الكرامات حتى يرتقى فى الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهى وحفظ الحدود وأداء الشريعة وذلك لأن الكرامة ما كانت عونا لصاحبها على مايقربه لمولاه ، ويقوى يقينه ويمكنه من محبته ورضاه . فاذا جرى الخارق للعادة على يد العبد ولم تشهد له الشريعة بالاستقامة فهو ممكور به مخدوع ، وما ألطف ماقاله بعض العارفين من قصيدة جامعة :

وللشيخ آيات إذا لم تكن له فما هو إلا فى ليالى الهوى يسرى
إذا لم يكن علم لديه بظاهر ولا باطن فاضرب به لجج البحر
وإن كان إلا أنه غير جامع لوصفيهما جمعا على أكمل الامر
فأقرب أحوال العليل الى الردى اذا لم يكن منها الطبيب على خبر

وآيته أن لايميل الى هوى　　فدنياه فى طى وأخراه فى نشر
وان كان ذا جمع لا كل طعامه　　مريدا فلا تصحبه يوما من الدهر
ولا تسألن عنه سوى ذى بصيرة　　خلى من الأهواء ليس بمغتر
ولا تقدمن قبل قبل اعتقادك أنه　　مرب ولا أولى بها منه فى العصر
فان رقيب الالتفات لغيره　　بقول لمحبوب الدراية لا تسرى
ولا تعترض يوما عليه فانه　　كفيل بتشتيت المريد على هجر
ومن يعترض والعلم عنه بمعزل　　يرى النقص فى عين الكمال ولا يدرى
ومن لم يوافق شيخه فى اعتقاده　　يظل من الإنكار فى لهب الجمر
فذو العقل لا يرضى سواه وان نأى　　عن الحق نأى الليل عن واضح الفجر
ولا تعرفن فى حضرة الشيخ غيره　　ولا تملأن عينا من النظر الشزر
ولا تنطقن يوما لديه فان دعا　　اليه فلا تعدل عن الكلم النزر
ولا ترفعن بالضحك صوتك عنده　　فلا قبح إلا دون ذلك فاستقر
ولا تقعدن قدامه متربعا　　ولا باديا رجلا فبادر الى الستر
ولا باسطا سجادة بحضوره　　فلا قصد إلا السعى للخادم البر
وسجادة الصوفى بيت سكونه　　ولا وكر إلا أن يطير عن الوكر
وما دمت لم تفطم فلا فرجية　　عليك ولا تلف عليها بمستجر
ولا ترين فى الارض دونك مؤمنا　　ولا كافرا حتى تغيب فى القبر
فان ختام الأمر عنك مغيب　　ومن ليس ذا خسر يخاف من المكر

(تنبيه) يجب على المريد قبل الاشتغال بالذكر والرياضة أن يحصل من علم التوحيد مايصح به اعتقاده على مذهب أهل السنة والجماعة ومايحترز به عن شبه المبتدعة فان القلب مادام مكدرا بظلمة البدعة الاعتقادية لايستنير بأنوار الطاعة (وهذه) عقيدة أكابر أهل السنة فيجب على كل مسلم الأخذ بها وهى أن يعتقد اعتقادا جازما أن الله تعالى اله واحد منزه عن

"شريك والمعين والصاحبة والولد موجود بذاته من غير افتتاح لوجوده لا نهاية لبقائه مستغن عن كل ماسواه ومفتقر إليه كل ماعداه قائم بنفسه ليس بجوهر متحيز فيحتاج إلى مكان ولا بعرض فيستحيل عليه البقاء، ولا بجسم فيكون له الجهة والتلقاء. مقدس عن الجهات والأقطار. مرئى المؤمنين بالقلوب فى الدنيا وفى الآخرة بالأبصار. استوى على العرش كما قال وعلى المعنى الذى أراد كما أن العرش وما حواه به استوى له الآخرة والأولى لايؤده حفظ المخلوقات. وهو موجود بعلمه فى جميع الجهات. مقدس عن القبل والبعد فان ذلك من صفات الزمان الذى أبدعه فهو سبحانه لا يحده زمان ولا يقله مكان. بل كان ولا مكان ولا زمان وهو الآن على ماعليه كان. السموات والأرض ومن فيهن جميعا منه. خلق اللوح والقلم وأجراه كاتبا بعلمه فى خلقه فلاتتحرك ذرة إلا اليه وعنه. أوجد الكل من غير حاجة اليه، ولا موجب أوجب ذلك عليه، إلا أن علمه قد سبق. فذلك خلق من خلق. لم تتعلق قدرته إلا بما أراد كما أنه لم يرد إلا ما علم أحاط بكل شىء علما وأحصى كل شىء عددا يعلم السر وأخفى ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير علم الأشياء قبل وجودها ثم أوجدها على حد ماعلمها مريد لجميع الكائنات. فى الأرضين والسموات. فما فى الوجود طاعة ولا عصيان. ولا ربح ولا خسران. ولا حياة ولا موت، ولا حصول ولا فوت، ولامتحرك ولاساكن، ولا ظاهر ولا باطن. إلا وهو مراد للحق جل وعلا لامعقب لحكمه ولا راد لأمره يؤتى الملك من يشاء وينزع الملك عن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء أخرج العالم فريقين، وأوجد لهم منزلتين. فقال هؤلاء للجنة ولا أبالى. وهؤلاء للنار ولا أبالى: لم يتصرف فى ملك غيره فلا ينسب اليه الظلم والحيف، ولا يتوجه اليه من الغير

سؤال بلم أو كيف . فهو سبحانه كما قال فى كتابه المكنون . لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون . فان رأيت من لم يخضع لهذا الاعتقاد من الضالين المضلين . فاصرف النظر عنهم وقل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهــــدا كم أجمعين . يسمع دبيب النملة على الصخرة الصماء ، ويبصر السواد فى الظلماء . متكلم لاعن صمت تقدم ، ولا عن سكوت متوهم . بكلام قديم أزلى منزه عن الحروف والأصوات . وعن جميع آلات النطق واللهات . كما أن سمعه من غير أصمخة ولا آذان ، وبصره من غير حدقة ولا أجفان . وعلمه من غير نظر ولا برهان . وحياته من غير بخار حدث عن امتزاج الأركان . وبالجملة فهو سبحانه وتعالى متصف بكل كمال . ومنزه عن كل نقص إذ هو الكبير المتعال . فلا يشبه شيئـا من الحوادث بل كل ما خطر ببالك . فالله بخلاف ذلك ، وكذلك يجب اعتقاد أن لله تعالى أنبياء ورسلا مبشرين ومنذرين ، وأن سيدنا محمدا رسول الله خاتم الأنبياء والمرسلين بعث إلى كافة الخلق أجمعين ، وقد خاطبه الله بقوله يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا . وداعيا إلى الله باذنه وسراجا منيراً . فبلغ جميع ما أنزله الله إليه ، وأدى الأمانة ونصح الخليقة صلوات الله وسلامه عليه ، ويجب اعتقاد أن كل ماجاء به النبى صلى الله عليه وسلم حق ، ومن جملة ما جاء به أن الموت حق وأن سؤال القبر حق وأن الساعة آتية لاريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور وأن العرض على الله حق وأن الميزان حق وأن الحوض حق وأن الصراط حق وأن تطاير الصحف حق وأن الجنة والنار حق وأن فريقا فى الجنة وفريقا فى السعير وأن شفاعة الأنبياء والملائكة والعلماء والشهداء وصالحى المؤمنين حق وأن كل ماجاءت به الأنبياء عن الله حق . فهذه عقيدة أهل السنة والجماعة ، وهى بحمد الله عقيدتنا إلى قيام الساعة . أسأل الله أن يثبتنا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، وأن يمتعنا

يا النظر إلى وجهه الكريم فى الدار الفاخرة ، وكذا يجب على المريد أن يحصل من علم الفقه ما تصح به أعماله على وفق الشريعة المطهرة وإلا كانت جميع أعماله باطلة فيصير تعبه هباء منثورا (تتمة) من شرط الذكر النافع المفيد أن يأخذه المريد بالتلقين من أهل الذكر كما أخذته الصحابة رضى الله عنهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم (فقد روى) عن شداد بن أوس أنه قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هل فيكم غريب يعنى من أهل الكتاب قلنا لا يارسول الله فأمر بغلق الباب وقال ارفعوا أيديكم وقولوا لا إله إلا الله فرفعنا أيدينا وقلنا لا إله إلا الله ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبشروا فان الله قد غفر لكم وأما تلقين الذكر فرادى فروى أن عليا كرم الله وجهه قال يارسول الله دلنى على أقرب الطرق إلى الله وأسهلها عبادة فقال صلى الله عليه وسلم أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلى لا إله إلا الله ثم قال على كيف أذكر يا رسول الله فقال غمض عينيك واسمع منى ثلاث مرات ثم قل أنت ثلاث مرات وأنا أسمع فقال صلى الله عليه وسلم لا إله إلا الله ثلاث مرات مغمضا عينيه رافعا صوته وعلى يسمع ثم قال على لا اله الا الله ثلاث مرات مغمضا عينيه رافعا صوته والنبى صلى الله علية وسلم يسمع (قلت) وهذا أصل سند القوم فى التلقين ثم بعد ذلك يأمر الشيخ المريد بما يليق به من الأوراد ومن آداب الذاكر أن يكون على طهارة كاملة وأن يكون حاضر القلب مستقبل القبلة غاضا بصره مستحضراً لشيخه فانه اذا استحضر شيخه فى حال الذكر ولاحظ استمداده منه تتحرك سلسلة الطريق إلى الحضرة النبوية . فيكتسب عند ذلك أعظم مزية بتوارد الإمدادات المصطفوية . وبقية الآداب مذكورة فى المطولات . فعليك بمطالعة كتب الأكابر السادات ، وينبغى للمريد أن يلازم ما يعينه له أستاذه من الأذكار خصوصا لا اله الا الله لما فى الحديث القدسى لا إله

الا الله حصنى فن دخل حصنى أمن من عذابى (وفى الحديث) إن القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد قيل وما جلاؤها يارسول الله قال ذكر الله عز وجل (وعن أبى هريرة) رضى الله عنه قال قلت يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألنى عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث أسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه أو نفسه (واعلم) أن الذكر ثقيل على الذات الخبيثة لأنها سقيت بالظلام وفى الذكر نور وهى لا تقبل مالا يوافق طبعها الا بالمجاهدة فتدبر ذلك والله يتولى هداك وهو يتولى الصالحين ثم وصف المصنف رضى الله عنه الشيخ العارف بقوله :

مَحَا لِحُظُوظِ النَّفْسِ بِالعِلْمِ والتُّقَى
نَصُوحٌ كَرِيمٌ بِالعُلُومِ السَّنِيَّةِ

أى ومن أوصاف الشيخ المرشد أن يكون قد محا لحظوظ النفس الأمارة بالسوء من شهواتها القتالة بالعلم الذى أفاضه الله عليه ، والتقى الذى قربه به اليه . فان النفس طبعت على مخالفة العقل وموافقة الهوى ، وحب الشر ومجانبة التقوى . فاذا عاملها الإنسان بمخالفة هواها . رجعت إلى طاعة من ألهمها فجورها وتقواها . ومن أوصاف الشيخ أيضا أنه نصوح أى كثير النصح لما فى الحديث الدين النصيحة قلنا لمن قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم وقد أشبعنا الكلام على هذا الحديث فى شرح الأربعين النووية فانظره إن شئت . ومن كلام سيدى على الخواص الزموا النصح والاستشارة لإخوانكم فانهما بمنزلة تنبيه النائم أو الغافل وقوله كريم بالعلوم السنية أى أنه يبث العلوم الشريفة التى أفاضها الله عليه فيلقيها على من رآه

أهلا لها وإن لم يسأله عنها فان الكريم هو الذى يبادر بالنوال قبل السؤال وأما من لم يكن أهلا لها . فليس له حظ فى نوالها . كما قال الإمام الشافعى رضى الله عنه :

سأكتم علمى عن ذوى الجهل طاقتى ... ولا أنثر الدر النفيس على الرمم

فان يسر الله الكريم بفضله ... وصادفت أهلا للعلوم وللحكم

بثثت مفيدا واستفدت ودادهم ... وإلا فمخبوء لدى ومكتتم

فمن منح الجهال علما أضاعه ... ومن منع المستوجبين فقد ظلم

ثم قال المصنف رضى الله عنه :

تَجَلَّى لهُ الرَّغْبُوتُ والرَّهْبُوتُ فى السُّرَى

وَنَامُوسُهُ بالسِّرِّ حَجَّتْ وَلَبَّتِ

قال السيد الشريف فى تعريفاته التجلى هو ما ينكشف للقلوب من أنوار الغيوب وإنما جمع الغيوب باعتبار تعدد موارد التجلى فان لكل اسم الهى بحسب حيطته ووجوهه تجليات متنوعة ، وقال فى موضع آخر التجلى الذاتى ما يكون مبدؤه الذات من غير اعتبار صفة من الصفات معها وإن كان لا يحصل ذلك إلا بواسطة الاسماء والصفات اذ لا يتجلى الحق من حيث ذاته على الموجودات الا من وراء حجاب من الحجب الاسمائية والتجلى الصفاتى ما يكون مبدؤه صفة من الصفات من حيث تعينها وامتيازها عن الذات اه فالمعنى هنا أنه كشف الحجاب عن قلب هذا العارف فشاهد تجلى الرغبوت بفتح الغين المعجمة لكنه فى البيت مسكن لأجل الوزن وهو مبالغة فى الرغبة أى المرغوب فيه كثيرا وهو المراد بقول ابن العربى فى قصيدته :

تجلى لى النور الأعم بكنهه فشاهدت ذاك النور فى كل صورة
ومن حل بالبيت المعظم قدره فقبلته صارت الى كل وجهة

والهوت المراد به اللاهوت وهو سر الألوهية (قال الواحدى) يقولون لله لاهوت وللإنسان ناسوت (ويقال) اللاهوت الروحانية والناسوت البشرية كما قال ابن الفارض :

ولم أله باللاهوت عن حكم مظهرى ولم أنس بالناسوت مظهر حكمتى

ومراده أن المقام الذى تغلب عليه فيه الروحانية . لا يلهيه عن وظائف العبودية : كما انه لم ينس بناسوته أى بشريته مظهر الحكمة فى ايجاده المشار اليه بقوله تعالى وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون والتعبير باللاهوت والناسوت لغة عبرانية وقد كفرت النصارى بقولهم ان اللاهوت وهو الله تعالى تلبس بالناسوت أى جسد عيسى ودخل فيه تعالى الله عن ذلك علوا كبيراً وقوله فى السرى بضم السين المهملة وفتح الراء أى فى مقام السير والسفر الذى قطع فيه مفاوز البعد عن الله ، وتقرب اليه بما يحبه ويرضاه . فتحقق فى حضرة الإسعاد بأنواع الكمال ، واكتسى بعد التحلل من حرماته الإحرام بحلل الجمال ، ولذا قال وناسوته بالسر حجت ولبت أى وقد حجت ذاته بمعنى قصدت جناب الحق ولبت أى أجابت داعى القرب اليه بسببه ما أودع فيها من السر (قال بعض أهل الإشارات) الحج حجان حج جسمانى ، وحج روحانى ، فالحج الجسمانى الى كعبة المبانى . والحج الروحانى إلى حضرة التدانى . فمن حج إلى كعبة المبانى خصصته بغفرانى ، ومن حج إلى حضرة التدانى كشفت عنه الحجب حتى يرانى ، وجعلته من ندمانى ، وخلعت عليه خلعة رضوانى . جعلنا الله من جملة الأحباب . إنه حليم كريم عظيم وهاب .

وفى تعريفات السيد الشريف ما نصه : السفر عند أهل الحقيقة عبارة عن سير القلب عند أخذه فى التوجه إلى الحق بالذكر ، والأسفار أربعة : السفر الأول هو رفع حجب الكثرة عن وجه الوحدة وهو السير إلى الله من منازل النفس بازالة التعشق من المظاهر والأغيار إلى أن يصل العبد إلى الأفق المبين وهو نهاية مقام القلب . السفر الثانى هو رفع حجاب الوحدة عن وجوه الكثرة العلمية الباطنة وهو السير فى الله بالاتصاف بصفاته والتحقق بأسمائه وهو السير فى الحق بالحق إلى الأفق الأعلى وهو نهاية حضرة الواحدية . السفر الثالث هو زوال التقيد بالضدين الظاهر والباطن بالحصول فى أحدية عين الجمع وهو الترقى الى عين الجمع والحضرة الأحدية وهو مقام قاب قوسين ما بقيت الاثنينية فاذا ارتفعت فهو مقام أو أدنى وهو نهاية الولاية . السفر الرابع عند الرجوع من الحق الى الخلق وهو أحدية الجمع والفرق بشهود اندراج الحق فى الخلق واضمحلال الخلق فى الحق حتى يرى عين الوحدة فى صورة الكثرة وصورة الكثرة فى عين الوحدة وهو السير بالله عن الله للتكميل وهو مقام البقاء بعد الفناء والفرق بعد الجمع اهـ ثم قال المصنف رضى الله عنه :

وَقَدْ جَالَ فى مَلْكُوتٍ كلٌّ حَاصِلٍ
كَذَا رَهَبُوتُ الغَيْبِ مِنْ غَيْرِ شُبْهَةِ

يقال جال فى البلاد طاف وكل بالرفع على الفاعلية والملكوت بفتح الميم واللام لكن اللام فى البيت مسكنة لأجل الوزن هو عالم الغيب أعنى عالم الارواح والنفوس كما أن عالم الملك هو عالم الشهادة أعنى عالم الأجساد والجسمانيات وأما عالم الجبروت فهو أعلى من عالم الملكوت لانه مأخوذ

من الجبر وهو القهر لان العباد مقهورون عن ادراك كنهه ماعدا أهل الصفوة والاجتباء وهو عند أبى طالب المكى عالم العظمة يريد به عالم الأسماء والصفات الإلهية وعند الاكثرين عالم البرزخ المحيط بالأمريات الجمة ويقال الجبروت علم الذات والملكوت علم الاسماء والصفات الدالة على الذات والملك علم فعله الظاهر الدال على ما سبق ويقال الانسان روح ثم نفس ثم جسم فالروح عالم الجبروت والنفس عالم الملكوت والجسم عالم الملك فالروح الجبروتى مظهر الذات والنفس الملكوتى مظهر الاسماء والصفات والجسم الملكى مظهر الافعال فالمعنى هنا وقد جال فى نفس هذا العارف كل شىء حاصل حتى أطلع عليه وقوله كذا رهبوت الغيب بفتح الراء والهاء مبالغة فى الرهبة كما أن الرغبوت مبالغة فى الرغبة والرحموت مبالغة فى الرحمة يعنى أن هذا العارف جال فى نفسه شدة الرهبة من الله تعالى حيث صار من أرباب هذه المقامات العلية الذين شربوا من كؤسها السنية ففنيت ذاتهم فى مقام الرهبوت ثم بقيت فى مقام الرغبوت وتحلت بحلل فى مقام الرحموت فهم دائما فى مقام التسليم للحى الذى لايموت . (واعلم) أن التجليات الغيبية لاتزال متوالية على قلب الكامل لاجل الامداد فتارة ترد من تنزلات حضرة اسمه تعالى القابض فتحصل الخشية والرهبة ويكون صاحب هذا المقام فى قبض مادام عليه هذا التجلى وتارة ترد من تنزلات حضرة اسمه تعالى الباسط فيحصل الانبساط لصاحب هذا المقام وتغلب عليه الرغبة ثم قال المصنف رضى الله عنه :

وَسَارَ بِعَزْمٍ فى كَرَاسِى عُرُوشِهِ
وَطَارَ بِسِرِّ السِّرِّ فى حَالِ نَشْأَةِ

أى وسار هذا العارف بعزم وقوة فى كراسى جمع كرسى وعروشه جمع عرش وهى كناية عن المقامات العالية التى أعدها الله تعالى لاوليائه فلا يقف فى حال سيره بل يكون ملاحظا نداء هواتف كل مقام المقصود أمامك

وطار هذا العارف أيضا بسر السر الذى أطلعه الله عليه وحجبه عن غيره (قال السيد الشريف) السر لطيفة مودعة فى القلب كالروح فى البدن وهو محل المشاهدة كما أن الروح محل المحبة والقلب محل المعرفه وسر السرما تفرد به الحق عن العبد كالعلم بتفصيل الحقائق فى إجمال الأحدية وجمعها واشتمالها على ما هى عليه وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو اه (قلت) ولا مانع من كونه تعالى يطلع على غيبة بعض أصفيائه كما قال تعالى فلا يظهر على غيبة أحدا إلا من ارتضى من رسول يعنى أو ولى كما قاله بعض العارفين والصحيح أنه ﷺ لم ينتقل من هذه الدار حتى أطلعه الله على مفاتح الغيب فلتكن بعض خواص امته كذلك بطريق الوراثة المحمدية والله أعلم ولذا قال سيدى مصطفى البكرى فى شرح قوله وبسر سر سرك أى غيبك المخزونة أسراره المكنونة أنواره المضنون به على غير أهله الذى لا يطلع عليه إلا من اخترته لشرب نهله . اه ومن كلام بعض العارفين صدور الاحرار قبور الاسرار فان الله تعالى يغار أن تبدو اسراره المصونة . لقلوب بشهود الغير مفتونة وانشد بعضهم فى ذلك .

ومستخبر عن سر ليلى رددته بعمياء من ليلى بغير يقين
يقولون خبرنا فأنت أمينها وما أنا إن خبرتهم بأمين

وقوله فى حال نشأة أى فى حال النشأة التى أنشأه الله عليها وأعطاه بها هذا المقام (ومما حكى) عن عبد الله السكندرى أنه قال خرجت إلى البرية لعلى أرى أحدا من الرجال الاخيار فرأيت جارية فقلت فى نفسى كان اجتماعى برجل أولى من امرأة فقالت يا أبا عبدالله تريد الاجتماع بالرجال وأنت لم تصل إلى مقام النساء فقلت ما أكثر دعواك فقالت الدعوى بغير بينة باطلة فقلت فما بينتك فقالت هو لى كما أريد لانى له كما يريد ثم قالت ما تريد فى هذه البرية فقلت سمكا مشويا فقالت هذا من ضعف عقلك ونزول

مقامك هلا طلبت منه جناحا من الشوق تطير به كطيرانى ثم طارت فى الهواء
(واعلم) أنه متى ظهرت الروح وزال الحجاب الذى بينها وبين الذات أمدتها
بصفاتها الحسى فيحصل فى الذات صفاء حتى تنقطع به حظوظ الشيطان
لتغذى العروق بماء الصفاء وحينئذ عدها بالصفاء المعنوى حتى يصير الذات
ما الروح ومعلوم أن الله تعالى أعطى الروح قوة السريان فتخرق الأجرام
والجبال والصخور والجدران ونحو ذلك و تذهب حيث شاءت فاذا اسكنت
الروح إلى الذات وأحيتها أمدتها بتلك القوة فتخرق الذات الأشجار و تدخل
البيوت المغلقة وتطير فى الهواء وتقطع المفاوز الوعرة الواسعة فى الزمن
القريب جدا فلولا هذه القوة التى سرت من الروح للجسم لما أمكنه ذلك

ثم قال المصنف رضى الله عنه :

يُضِيءُ كَضَوْءِ الشَّمْسِ تَبْدُو لِنَاظِرٍ
لَهُ هِمَّةٌ تُبْرِى عَلِيـــلَ الجِبِلَّةِ

أى يضىء هذا العارف بأنوار المعارف التى فيه كضوء الشمس عند
انكشافها حال كونها تبدو أى تظهر لناظر لها ليس دونها سحاب وقوله له
همة أى لهذا العارف همة أى توجهات قلب تبرى بضم المثناة أى تشفى عليل
الجبلة بكسر الجيم والموحدة وتشديد اللام أى الطبيعة والمعنى أن همة هذا
العارف تشفى مرض القلب كما وضح ذلك المصنف رضى الله عنه بقوله :

حَكِيمٌ يُدَاوِى الطَّالِبِينَ بِطِبِّهِ   خَبِيرٌ بِدَاءِ القَلْبِ فى كُلِّ لَحْظَةِ

يعنى أنه ذو حكمة ومعرفة بالطب الروحانى لأنه يداوى الطالبين لأوج
الكمالات . بطبه الذى يوصل صحة قلوبهم إلى أعلى الدرجات . (قال ابن دريد)
كل كلمة وعظتك وزجرتك أو دعتك إلى مكرمه أو نهتك عن قبيح فهى حكمة
وقوله خبير أى عنده خبرة بداء القلب من الغش والحقد والحسد وحب

الرياسة ونحو ذلك فيصف لصاحبه ما يزيله عنه فى كل لحظة أى زمن يسير يقدر ما يلحظ بالعين :

ثم قال المصنف رضى الله عنه :

يَرَى بِعِيُونِ القَلْبِ مَا كَانَ خَافِياً

وَيُدْرِكُ بِالأَبْصَارِ حُجْبَ الأَكِنَّةِ

أى ومن شأن هذا العارف أن يكون من أهل البصيرة وهى عين فى القلب يبصر بها الأشياء كما يبصر بالعين الباصرة فاذا قويت بصيرته صارت كأنها عيون فى قلبه يبصر بها ما كان خافيا (وفى الحديث) من أراد الله به خيرا فتح له قفل قلبه وجعل فيه اليقين يعنى أزال عن قلبه حجب الاشكال وفتح بصيرته للنظر لمراتب الكمال فيصير قابلا للفيض السبحانى . مستمدا من المدد الرحمانى . حتى إذا هبت رياح الالطاف . وتدانت مواهب الاسعاف أشرقت على قلبه الأنوار فيرى ما كان خافيا على الأغيار وقوله ويدرك بالابصار جمع بصر أى العيون حجب جمع حجاب وانما سكنت الجيم لضرورة النظم أى يدرك الحجب التى هى الاكنة فالاضافة بيانية أى التى تكن الشىء وتستره فيزيلها عن المريد بطبه الروحانى حتى لا يكون هناك حجاب يمنعه عن الوصول إلى رفيع الدرجات والحصول على ما يلحقه بالاكابر السادات .

ثم قال المصنف رضى الله عنه :

وأُدْرِجَ فى التَّوْجِيهِ فى طَىِّ غَيْبِهِ

غُيُوثُ عُيُونِ الغَيْثِ كَنْزُ الذَّخِيرَةِ

الظاهر أن قوله وأدرج مبنى للمفعول وقوله فى طى غيبه متعلق به ونائب الفاعل قوله غيوث وقوله كنز الذخيره بدل منه وقوله فى التوجيه أى فى حال توجهه إلى الله تعالى والمراد بطى غيبه سره الذى هو اللطيفة المودعة فى

القلب كالروح فى البدن فالمعنى أن هذا العارف صار سره فى حال التوجه إلى إلى الله تعالى محلا لقبول غيوث عيون الغيب التى هى الأسرار والعلوم المفاضة عليه من حضرة عالم الغيب والشهادة وهى كنز الذخيرة للعارف والله تعالى أعلم . ثم قال المصنف رضى الله عنه .

وَأُدْرِجَتِ الأَكْوَانُ فى غَيْبِ ذَاتِهِ
كإِدْرَاجِ مَيْتٍ فى قَمِيصٍ وَعِمَّةِ

أى ومن شأن هذا العارف أن الأكوان عنده قد أدرجت فى غيب أى مغيب ذاته عنها فلا يشهد شيأ فى الكون سوى مولاه ثم شبه ذلك بقوله كادراج ميت بتخفيف الياء أى أدخاله بعد فقد الحياة فى قميص وعمة ولذا قال بعض العارفين من علت همته عن الأكوان وصل إلى مكونها ومن وقف بهمته على شىء دون الحق فانه الحق لانه أعز من أن يرضى معه بشريك ولله در أبى الحسن التسترى حيث قال فى هذا المعنى :

فلا تلتفت فى السير غيرا فكل ما سوى الله غير فاتخذ ذكره حصنا
وكل مقام لاتفهم فيه آنه حجاب فجد السير واستنجد العونا
ومهما ترى كل المراتب تجتلى عليك فحل عنها فعن مثلها حلنا
وقل ليس لى فى غير ذاتك مطلب فلا صورة تجلى ولا تحفة تجبى

ويحتمل كون المعنى أن ذاته جامعة لما فى الأكوان على حد ما قيل

دواؤك فيك وما تشعر ودواؤك منك وما تبصر
وتزعم أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر
وأنت الكتاب المبين الذى بأحرفه يظهر المضمر

ومعنى البيت الاول أن الداء الذى يعترى الإنسان ناشىء من نفسه الأمارة بالسوء فاذا جاهدوها وصارت مطمئنة راضية كان ذلك عين

الدواء ومعنى قوله وفيك انطوى العالم الاكبر كما أفاده شيخنا العروسى فى الرسالة القشيرية أن الانسان الكامل كتاب جامع لما فى أم الكتاب وما فى اللوح المحفوظ وما فى الصحف المطهرة اذهو نتيجه العالم الاكبر فهو من حيث روحه وعقله كتاب مسمى بأم الكتاب ومن حيث قلبه كتاب اللوح المحفوظ ومن حيث نفسه كتاب المحو والاثبات وهذه هى الصحف المكرمه المرفوعة المطهرة التى لا يمسها ولا يدرك أسرارها ومعانيها الا المطهرون من الحجب الظلمانية ويتفرع عن هذه الكتب كل شىء فى الوجود من القوى الروحانيةوالجسمانيـة وغيرها مما ينتقش فيها أحكام الموجودات وقال فى موضع اخر فأنت أيها الإنسان . إذا كنت جامعا لمعانى الاكوان . فلا تحتجب بك عنك بل افهم حقائق العرفان . ترق لحضرة العيان ، وقد قيل فى ذلك :

إذا كنت كرسيا وعرشا وجنة ونارا وأفلاكا تدور وأملاكا
وكنت من الكلى نسخة كله وأدركت هذا بالحقيقة ادراكا
ففيم التأنى بالحضيض منبطا مقيم مع الاسرى أما آن إسراكا

اه وقال فى الفيوضات الإحسانية قد انطوى فى ابن آدم العالم الكبير فما فى الارض من جبال فهو بمنزلة العظام وما فيهامن بحار عذبة وغير عذبة فهو بمنزلة ما أودع فى فمه وعينيه وما فيها من نبات فهو بمنزلة الشعر وما فيها من سبخ فهو بمنزلة ما لا ينبت الشعر من بدنه وما فيها من سهل ووعر فهو بمنزلة ما فيه من الخلق الحسن والسىء ومافى الكون من شمس فهو بمنزلة الروح لان الجسد يستضىء فاذا غابت أظلم وما الكون من قمر فهو بمنزلة العقل فالهلال بمنزلة عقل الطفل ثم يزيد إلى أن يكمل والكواكب الخمسة السيارة بمنزله الحواس الخمس وهى الذوق والشم واللمس والسمع والبصر والجنة والنار بمنزلة مافيه من الغضب والرضا والليل والنهار بمنزلة مافيه

من الحزن والسرور والفصول الأربعة التى فى السنة وهى الصيف والشتاء والخريف والربيع بمنزلة الطبائع الأربع والنوم بمنزلة الموت واليقظة بمنزلة البعث وما يراه النائم من الرؤيا الحسنة أو السيئة بمنزلة النعيم أو العذاب إلى غير ذلك اه ملخصا

(وما ألطف قول بعضهم)

إذا كنت تقرأ علم الحروف　　فشخصك لوح به أسطر
وتمثال ذلك أنموذج　　لكل الوجود لمن يبصر
ففيك أشعة لا هوته　　من البدر ياذا النهى أنور
وشمس المعارف أنوارها　　من الشمس فى ضوئها أظهر
لقد ظهرت بسماء القلوب　　خفايا الغيوب لمن ينظر
سماه على قطب توحيده　　تدور اشتياقا فلا تقصر
لها من أشعة عرفانه　　نجوم باخلاصها تزهر
فشرقها أفق سودائها　　ومغربها سره المضمر
وعرش الصفاء لها مركز　　اليه انتهى كل ما يسطر
وهناك المليك تجلى لها　　وأوحى لها كل ما يؤمر

وبتدبر هذا تفهم قوله سبحانه فى الحديث القدسى ما وسعنى أرضى ولا سمائى وانما وسعنى قلب عبدى المؤمن فان المراد تجليه عليه ثم قال المصنف رضى الله عنه

وَيُخْبِرُ بِالْأَشْيَاءِ قَبْلَ وُقُوعِهَا　　مِنَ اللوحِ يقرَاهَا بِعَيْنِ البَصيرَةِ

أى ومن شأن هذا العارف الكامل فى المعرفة انه يخبر بالاشياء المعلومة فى باطن الغيب قبل وقوعها فى عالم المشاهدة بعد أن يقرأها من اللوح المحفوظ بعين بصيرته ويقرأها فى البيت بدون همزة لاجل الوزن وقد أطلع

الله بعض خواصه على ما فى اللوح المحفوظ الجامع لكل شىء لقوله تعالى ولا حبة فى ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين (وقد كان) سيدى جاكير الكردى يقول ما أخذت العهد قط على مريد حتى رأيت اسمه مكتوبا فى اللوح المحفوظ وأنه من أولادى (وقال سيدى ابراهيم الدسوقى) إذا كمل العارف فى مقام العرفان اورثه الله علما بلا واسطة وأخذ العلوم المكتوبه فى ألواح المعانى ففهم رموزها وعرف كنوزها وفك طلسمانها وعلم اسمها ورسمها وأطلعه الله تعالى على العلوم المودعة فى النقط ولولا خوف الانكار لنطق بما يبهر العقول ثم قال وكذلك للعارفين اطلاع على ما هو مكتوب على أوراق الشجر والماء والهواء وما فى البر والبحر وما هو مكتوب على صفحة قبة خيمة السماء وما فى جباه الانس والجن مما يقع لهم فى الدنيا والآخرة وكذلك لهم الاطلاع على ماهو مكتوب بلا كتابة من جميع ما فوق الفوق وما تحت التحت ولاعجب من حكيم يتلقى علما من حكيم عليم فان مواهب السر اللدانى ظهر بعضها فى قصة موسى والخضر عليهما السلام اه وقوله بعين البصيرة هى قوة للقلب المنور بنور القدس يبصر بها حقائق الاشياء كما يبصر الإنسان بالعين الباصرة بل عين البصيرة أقوى فى الادراك (قال ابن العربى) لا تنكر على الصوفية النطق عن الغيب مع ايمانك بالمثال المحسوس وهو أن المرآة إذا صقلت وجلى عنها الصداء تجلت صورة الناظر فيها فان جاء أحد خلفه تحت صورته فى المرآة أبصره على أى صورة هو ولم يره بعينه المعهودة فمن عمد الى مرآة قلبه فجلاها من صداء الاغيار وأماط عنها كل حجاب يحجبها عن تجلى صور المعقولات والمغيبات بأنواع الرياضات نطق عما يشاهده وتحقق بمقام ما كذب الفؤاد ما رأى اه ثم قال المصنف رضى الله عنه

مَتِينُ الحِجَا يَدْعُو إلى الرُّشْدِ بالهدَى
وَقَــدْ جَاءَنا تَشْبِيهُهُ بالنُّبُوَّةِ

يعنى أن من شرط الشيخ أن يكوون متين الحجا بكسر الحاء المهملة وتخفيف الجسم أى قوى العقل لأنه مرشد فلا بد أن يكون كامل العقل بخلاف المجذوب المأخوذ عقله فلا يصلح للإرشاد ومداواة علل العباد . وكما أن العقل يسمى حجا كذلك يسمى نهية لنهية صاحبه عن المعاصى والجمع نهى قال تعالى إن فى ذلك لآيات لاولى النهى أى لأصحاب العقول ويسمى أيضا لبا ويجمع على ألباب قال تعالى ان فى ذلك لذكرى لأولى الالباب ومن اسمائه القلب قال تعالى إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أى عقل كما فسره بذلك ابن عباس ومن أسمائه الحجر بكسر الحاء المهملة وسكون الجيم قال تعالى هل فى ذلك قسم لذى حجر أى عقل سمى بذلك لأنه يحجر صاحبه عما لا ينبغى كما أنه سمى عقلا لكونه يعقل صاحبه عن ارتكاب مالا يليق وله أسماء غير هذه وكثرة الأسماء تدل على شرف المسمى غالبا (وقد ورد) ان أفضل ما خلق الله العقل فان به الأخذ وبه العطاء ولذا قال بعضهم .

وأفضل قسم الله المرء عقله — فليس من الأشياء شىء يقاربه
إذا أكمل الرحمن للمرء عقله — فقد كملت أخلاقه ومآربه

وقال آخر :

ما وهب الله لامرىء هبة — أحسن من عقله ومن أدبه
هما جمال الفتى فان فقدا — ففقده للحياة أجمل به

وقوله يدعو أى يطلب هذا العارف الناس إلى الرشد بضم الراء وهو خلاف الغى فيرشدهم إلى ما فيه الصلاح بالهدى اى الدلالة على سلوك سبيل الفلاح وقد جاء نا معشر اهل السنة تشبيهه فى حال ارشاده للعباد بالنبوة من

حيث إن الجامع بينهما الدلالة على سبيل الرشاد . قال تعالى قل هذه سبيلى أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وقال ابن عباد فى شرح الحكم نقلا عن أبى القاسم القشيرى ورد فى الخبر أن الشيخ فى أهله كالنبى فى أمته وقال ابن العربى فى الفتوحات

ما حرمة الشيخ إلا حرمة الله ... فقم بها أدبا لله بالله
هم الأدلاء والقربى تؤيدهم ... على الدلالة تأييدا على الله
الوارثون همو للرسل أجمعهم ... فما حديثهموا إلا عن الله
كالانبياء تراهم فى محاربهم ... لا يسألون من الله سوى الله

ثم قال فالشيوخ نواب الحق فى العالم كالرسل عليهم الصلاة والسلام فى زمانهم بل هم الورثة الذين ورثوا علم الشرائع عن الأنبياء غير أنهم لا يشرعون فلهم رضى الله عنهم حفظ الشريعة فى العموم وما لهم التشريع ولهم حفظ القلوب ومراعاة الآداب فى الخصوص اه فالمقصود أن من قام فى مقام الإرشاد يكون على قدم النبى فى دلالته الناس على ما ينفعهم يوم التناد . وإن ظهرت من الولى كرامة فهى فى الحقيقة معجزة لنبيه الذى هو تابع له إذ لو لم يكن ذلك الرسول صادقا لم تظهر على يد من تبعه الكرامة ونهايات الأولياء فى الكرامات بدايات الأنبياء عليهم السلام فى المعجزات. كتسليم الحجر والشجر على نبينا ﷺ فى أول أمره وذلك لأنهم أتباع ولا قوة للتابع على غير مبادى المتبوع ثم إن الفرق بين المعجزة والكرامة وإن كان كل منهما خارقا للعادة أن المعجزة إنما تكون ممن يدعى النبوة فتكون دليلا على صحة دعواه بخلاف الولى فانه لا يدعى ذلك فان النبى مأمور باظهار المعجزة الدالة على صدقه والولى مأمور باخفاء الكرامة التى أجراها الله على يده نعم يجوز إظهارها إذا رأى أمرا لا يصح السكوت عليه كما اتفق أن بعض الفلاسفة حضر مجلس سيدى محى الدين ابن العربى

ومعه بعض أكابر الصوفية فى زمن الشتاء وبين أيديهم نار يوقدونها فقال إن العامة تقول إن إبراهيم عليه السلام أتى فى النار فلم تحرقه مع أن النار محرقة بطبعها والحقائق لا تتبدل وأنكر ما جاءت به الأنبياء من خرق العوائد وتأول قوله سبحانه قلنا يانار كونى بردا وسلاما على إبراهيم بأن النار فى الآية عبارة عن غضب نمرود فهى نار الغضب لا النار الحقيقية المحرقة فقال له بعض الحاضرين أنا أقوم لك فى هذا المقام مقام إبراهيم لترجع عن إنكارك أليست هذه النار المحرقة بطبعها قال نعم فوضعها فى حجر المنكر وأمره أن يقلبها بيده فقلبها بيده مدة وهى لا تؤثر فيه ببركة من كانت هذه الكرامه على يده ثم ردها فى مكانها وقال له قرب يدك منها فقرب يده فأحرقته فقال له هكذا كان الأمر فانها مأمورة تحرق بالأمر وتترك الإحراق كذلك فاعترف الفيلسوف ورجع عن إنكاره . لكن بعد أن أحرقه الله بناره وقد قسموا الأمر الخارق للعادة إلى ستة أقسام جمعها بعضهم فى قوله

إذا ما رأيت الأمر يخرق عادة	فمعجزة أن من نبى لنا صدر
وان بان منه قبل وصف نبوة	فالارهاص سمه تتبع القوم فى الاثر
وإن جاء يوما من ولى فانه الـ	كرامة فى التحقيق عند ذوى النظر
وإن كان من بعض العوام صدوره	فكنوه حقا بالمعونة واشتهر
ومن فاسق ان كان وفق مراده	يسمى بالاستدراج فيما قد استقر
والا فيدعى بالاهانة عندهم	وقد تمت الاقسام عند الذى اختبر

(ثم قال المصنف رضى الله عنه) :

لَهُ قَدَمٌ فِيمَا يَقُولُ وَيَدَّعِي ‏ ‏ ‏ وَتَصْرِيفُهُ فِيهِ بِحُكْمِ الْمَشِيئَةِ

أى لهذا العارف قدم بفتح القاف والدال أى رسوخ وتمكن فيما يقوله ويدعيه لما أفاضه الله عليه من مواهب الفضل والامتنان . فكل

دعوى منه يقوم عليها من حالة ألف شاهد وبرهان . وتصريفه فيه أى تصريف هذا العارف فيما يقوله ويدعيه . بأن يمضيه أولا . يمضيه كائن بحكم المشيئة أى مشيئة الله تعالى الذى جعل له هذا التصريف ومن كلام العارف الشعرانى تحدثا بالنعمة التى أسبغها الله عليه مما من الله به على أنه مكننى من كن فلوقلت لجبل كن ذهبا لكان ولكن أدبا مع الربوبية لا أنطق بذلك ثم قال المصنف رضى الله عنه :

يَصْرِّفُ أَقْوَاماً وَمَيْدَانُ سِرِّهِ
جَلاَ غَيْهَبَ الأَسْرَارِ مِنْ كلِّ بُقْعَةِ

يعنى أن هذا العارف بما جعله الله له من التصريف يصرف بحكم المشيئة أقواما بحسب مراتبهم ودرجاتهم فيعطى كل إنسان ما يستحقه والحال أن ميدان سره جلا بفتح الجيم واللام أى كشف غيهب الأسرار والميدان فى الأصل محل تسابق الفرسان والغيهب شدة سواد الليل والمراد هنا أن هذا العارف يكشف بنور سره الواسع غيهب الاسرار أى الخفاء الذى هو فيها بمنزلة السواد وقوله من كل بقعة أى من كل قلب من القلوب التى حل فيها سره فتعود الأسرار من سره ظاهرة نيرة ببركة حلوله عند أربابها

(ثم قال المصنف رضى الله عنه)

لهُ الفَضْلُ وَالإِجْلاَلُ وَالْفَخْرُ وَالْعُلاَ
مِنَ اللهِ وَالتَّوْفِيقُ فى كُلِّ حَالَةِ

أى لهذا العارف الفضل من الله أى مزيد العطاء جزاء له قال تعالى فى محكم القرآن . هل جزاء الإحسان إلا الإحسان أوله الفضل على المريد . حيث أرشده لطاعة الغنى المجيد ، وله أيضا الإجلال . أى التعظيم من المريد لتعظيم ذى العزة والجلال وله أيضا الفخر أى الافتخار بما أعطاه

الله من باب قوله تعالى وأما بنعمة ربك فحدث أو أن الله تعالى يفاخر به ملائكته وله أيضا للعلا أى الرفعة من الله الذى قربه اليه تفضلامنه تعالى لا وجوبا عليه وله أيضا التوفيق منه تعالى فى كل لحظة من اللحظات . ولمحة من اللمحات . أسال الله التوفيق. لأقوم طريق. ثم قال المصنف رضى الله عنه

هُنَاكَ لَهُ الإِمْدَادُ فِى كُلِّ طَالِبٍ
يَدَعْهُ كَمَا الابْرِيزُ فَوْقَ البَسِيطَةِ

أى عندما تفاض المواهب على هذا العارف يكون له الإمـــداد أى أعطاء المدد الذى يسرى منه فى كل طالب للوصول إلى ما وصل إليه القوم بعد سلوك طريقهم حتى يدع المريد السالك كما الابريز بزيادة ما أى مثل الإبريز وهو الذهب الخالص من الغش وقوله فوق البسيطة أى الارض فالعارف الموصوف بهذه الاوصاف المتقـــدمه يكون له من جانب الحق المدد الذى يسرى منه فى كل طالب للوصول على يديه بحسب استعداده حتى يخلصه من شوائب الاغيار . كما يخلص الصائغ الذهب الابريز من الغش الذى فيه بالنار . وإنمـــا سكن العين من يدعه لضرورة الوزن ثم لما فرغ المصنف من أوصاف الشيخ الذى ينبغى أن يكون مرشدا شرع فى أوصاف المريد وبيان الآداب التى تلزمه فقال :

وَفَرْضٌ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ مُؤَدَّبًا
لَدَى شَيْخِهِ فِى كُلِّ وَقْتٍ وَسَاعَةِ

أى ويجب على الطالب لطريق المقربين وهو المريد أن يكون مؤدباً بآداب أهل الطريق لدى أى عند شيخه ليحصل له نتيجة ما يلقيه إليه فى كل وقت مأخوذ من التوقيت وهو التحديد والمراد به الزمان وبالساعة

القطعة منه (واعلم) أن المريد هو الذى عن مراد ربه لا يحيد . ملازم للأعتاب . مترجى فتح الباب . مجتهد فى العبادات . متعرض للرحمات . ذاكر للزلات باذل عليها العبرات . رافع أكف الضراعة . لمن لا يضيع من أطاعه . فأول ما يخرق له من العادة . تسميته باسم المريد مع كونه مسلوب الإرادة وما ألطف قول بعضهم

تكون مريدا ثم فيك اراده إذا لم ترد شيا فانت مريد

(ثم قال المصنف رضى الله عنه)

لِيُبْدِي لهُ الإِشْكَانُ فى كُلِّ صُورَةٍ
وَيُلْقِي لهُ مِنْ سِرٍّ سِرِّ الحَقِيقَةِ

أى ليظهر المريد له أى لشيخه الإشكال أى إشكال ماورد عليه من خفى الامور فى كل صورة وردت عليه ويلق أى الشيخ له أى للمريد من سر أى خلاصة سر الحقيقة حتى يزول الإشكال (وقال ابن العربى) السر يطلق على معان فيقال سر العلم بازاء حقيقة العلم به وسر الحال بازاء معرفة مراد الله وسر الحقيقة بازاء معرفة ما تقع به الإشارة

(ثم قال المصنف رضى الله عنه)

وَيَصْحَبُهُ كالمَيْتِ فى حَالِ غُسْلِهِ
يُقَلِّبُهُ لِلغُسْلِ مِنْ كُلِّ وِجْهَةٍ

أى ويلزم المريد أن يسلم قياده لشيخه ولا يجعل لنفسه معه اختيارا أبدا بل يكون بين يديه كالميت بين يدى الغاسل يقلبه للغسل كيف شاء ولاى جهة أراد والميت بتخفيف الياء هو الذى مات بالفعل وأما قابل الموت فبالتشديد قال تعالى انك ميت وقال بعضهم

أيا سائلى تفسير ميت وميت فدونك قدفسرت ان كنت تعقل

فمن كان ذا روح فذلك ميت وما الميت الا من إلى القبر يحمل

فمن صحب شيخه بدون اختيار . كشفت له الحجب والأستار . ثم قال المصنف رضى الله عنه .

مَعَ الذُّلِّ وَالتَّهْذِيبِ وَالْخَوْفِ وَالرَّجَا
وَعَجْزٍ وَتَسْلِيمٍ وَتَعْظِيمِ حُرْمَةِ

أى مع كون المريد ملازما للذل وهو اظهار المسكنة لينال من الله بذلك العز الابدى (قال أبو يزيد) قيل لى خزائننا مملوءة فان أردتنا فعليك بالذل والافتقار (وقال الكيلانى) أتيت جميع أبواب الحق فوجدت عليها الازدحام حتى أتيت باب الذلة والافتقار فوجدته خاليا قد خلت منه فالتفت فاذا أنا قد سبقت القوم وتركت الناس على الابواب .

وما ألطف قول بعض أهل الإشارات :

لا يبعدنك عتبنا عن بابنا فالعهد باق والوداد مصان
فبحبنا وبلطفنا وبفضلنا شاع الحديث وسارت الركبان
فاذا ذللت لعزنا ياذا النهى ذلت لعزتك الملوك وهانوا

ويلزم أن يكون المريد ملازما للتهذيب أى تنقية عيوب النفس حتى تستعد بذلك لخطاب يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى ويلزم أن يكون ملازما للخوف والرجاء كما قال سيدى على الخواص إذا كنت مؤمنا وسمعت أنه تعالى يمدح المؤمنين فلا تبادر إلى كونك مؤمنا وتأمل قبل ذلك هل أنت على ما وصف الله به المؤمنين من الصفات التى مدحهم عليها أم لا ثم إن كنت على ما وصف فهل تموت على ذلك أم لا فان عدت أنك تموت على ذلك فقد أمنت مكر الله ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون وإن علمت أنك تموت على غير ذلك فقد أيست من

رحمة الله ولا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون فكن بين الرجاء والخوف فانه الصراط المستقيم اه غير أنه ينبغى تقديم جانب الخوف فى حال الصحة وجانب الرجاء فى حال المرض كما قال الامام الدردير :

وغلب الخوف على الرجاء ... وسر لمولاك بلا تناء

وذلك لأن غلبة الخوف فى حال الصحة تحرق نار الشهوة وتوجب الإقبال على العمل . الذى يقرب العبد إلى الله عز وجل . وغلبة الرجاء عند الموت توجب المحبة التى ينشا عنها الشوق إلى واسع الجود والكرم (وفى الحديث) لايموتن أحدكم الا وهو يحسن الظن بربه وأما ماورد من أنه ﷺ دخل على شاب وهو يجود بنفسه فقال كيف تجدك قال أرجو الله وأخاف ذنوبى فقال ﷺ الرجاء والخوف لايجتمعان فى قلب عبد مؤمن فى هذا الموطن إلا اعطاه الله مايرجو وآمنه مما يخاف فانه لاينافى أن المطلوب فى هذه الحالة تغليب جانب الرجاء لأن الاجتماع المذكور فى الحديث لايستلزم المساواة فى المجتمعين ولذا قال بعض من غلب عليه الرجاء فى هذا الموطن :

وحمل الزاد أقبح كل شىء ... إذا كان القدوم على كريم

وقال آخر :

اذا أمسى فراشى من تراب ... وبت مجاور الرب الرحيم
فهنونى أصيحابى وقولوا ... لك البشرى قدمت على كريم

ورؤى بعضهم فى المنام فى حالة حسنة فقيل له بم نلت هذا الاكرام فقال بحسن ظنى بربى ومما يدل على جزيل الفضل والكرم الذى لايخص من قام فى الطاعة على قدم ماحكى أن أيوب السختيانى رأى جنازة عاص فاختفى خشية أن يصلى عليها فرأى بعضهم الميت فى المنام فقال له ما فعل الله بك قال غفرلى وقال قل لأيوب السختيانى لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى إذا

لامسكتم خشية الإنفاق ومن آداب المريد أن يكون ملازما للعجز أى عدم القدرة على ما يريده الا بمعونة ربه ومساعدة أنفاس شيخه فتى شاهد من نفسه العجز ولم ير لها فعلا أقدره الله على ما يريد وكذلك يكون ملازما للتسليم وهو الانقياد لامر الله تعالى وترك الاعتراض فيما لا يلائم طبعه والانقياد لشيخه أيضا فيما يامره به بدون معارضة وكذلك يلازم تعظيم حرمة الله تعالى وحرمة شيخه وحرمة الخلق فالاول بامتثال الأوامر واجتناب النواهى والثانى بتعظيم شانه حيا وميتا والقيام بحقه فان تعظيم الشيخ تعظيم لله تعالى الذى أقامه لهداية العباد وإرشادهم الى سلوك سبيل الرشاد . ولذا قال بعضهم :

وأنزل الشيخ فى أعلى منازله ... واجعله قبلة توجيه وتنزيه
واعدم وجودك لا تشهد له أثرا ... ودعه يهدمه طورا ويبنيه
ولست تفعل هذا إن ظننت به ... نقصا تشاهده فيما يعانيه
فالمرء ان يعتقد شيأ وليس كما ... يظنه لم يخب والله يعطيه

وتعظيم حرمة الخلق بالشفقة عليهم والنصح لهم وغير ذلك ثم قال المصنف رضى الله عنه :

وَيَخْرُجُ عَنْ نَفْسٍ تَوَالَتْ هُمُومُهَا
وَيَخْشَعُ لِلّٰهِ الكَرِيمِ بِخَشْيَةِ

أى ويلزم المريد أنه يخرج عن نفسه التى توالت أى توارد همومها وخواطرها فان النفس أمارة بالسوء فتى خرج عنها وطرحها فقد أفلح وفاز ، وكانت أموره التى يصل بها الى مطلوبه فى انجاز . حيث لا عائق يعوقه عن بغيته ، ولا آمر بالسوء يرجع به عن رغبته . (قال السهروردى) أهل التصوف على ثلاث طبقات مريد طالب ومتوسط طائر ومنته واصل فالمريد صاحب وقت والمتوسط صاحب حال والمنتهى صاحب يقين وأفضل اشياء عندهم عد الانفاس فمقام

المريد المجاهدات والمكابدات وتجرع المرارات ومجانبة الحظوظ وكل ما للنفس فيه منفعة ومقام المتوسط ركوب الأهوال فى طلب المراد ومراعاة الصدق فى الأحوال واستعمال الأدب فى المقامات وهو مطالب بآداب المنازل وهو صاحب تلوين لانه يرتقى من حال الى حال وهو فى الزيادة ومقام المنتهى الصحو والثبات وإجابة الحق من حيث دعاه قد جاوز المقامات وهو فى محل التمكين لا تغيره الاحوال . ولا تؤثر فيه الأهوال قد استوى عنده الشده والرخاء والمنع والعطاء والجفاء والوفاء أكله كجوعه ونومه كسهره قد فنيت حظوظه وبقيت حقوقه ظاهره مع الخلق وباطنه مع الحق (وقال سيدى أحمد الرفاعى) اذا أراد الله عز وجل أن يرقى العبد الى مقامات الرجال كلفه بامر نفسه أولا فاذا أدب نفسه واستقامت معه كلفه بأهله فان قام بشانهم وأحسن عشرتهم كلفه بجيرانه فان أحسن اليهم وداراهم كلفه باهل بلدة فان هو أحسن اليهم وداراهم كلفه بجهة من البلاد فان هو داراهم وأحسن عشرتهم كلفه بما بين السماء والأرض فان بينهن خلقا لا يعلمهم إلا الله تعالى ثم لايزال يرتفع من سماء إلى سماء حتى يصل إلى محل الغوث ثم يرتفع صفته إلى أن تصير صفة من صفات الحق تعالى فيطلعه على غيبه حتى لا تثبت شجرة ولا تخضر ورقة إلا بنظره وهناك يتكلم عن الله تعالى بكلام لاتسعه عقول الخلائق لانه بحر عميق غرق فى ساحله خلق كثير اه من طبقات العارف الشعرانى ثم قال فى ترجمة أبى العباس المرسي وكان رضى الله عنه يقول ماسمى ابراهيم الخليل فتى إلا لكونه كسر الاصنام الحسية التى وجدها وأنت ياولدى لك أصنام خمسة معنوية فان كسرتها فانت فتى وهو النفس والهوى والشيطان والشهوة والدنيا وافهم ههنا.

لاسيف إلا ذو الفقا ر ولا فتى الا على

وكذلك يلزم المريد أن يخشع أى يخضع ويذل لله الكريم الذى

تكرم عليه بخشية أى خوف يشو به تعظيم وأكثر ما تكون الخشية من علم بما يخشى منه ولذا خص العلماء بها قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وقد قيل فى ذلك :

على قدر علم المرء يعظم خوفه ... فلا عالم الامن الله خائف
فآمن مكر الله بالله جاهل ... وخائف مكر الله بالله عارف

(ثم قال المصنف رضى الله عنه)

وَيَعْتَقِدُ الاسْتَاذَ فِيمَا يَقُولُهُ
وَيَفْعَلُهُ مِنْ غَيْرِ شَكٍّ وَرِيبَةٍ

أى ويلزم المريد أنه يعتقد أستاذه فيما يقوله وما يفعله بان تجزم بصحته والاستاذ بضم الهمزة كلمة أعجمية معناها الماهر فى الشىء وقد قالوا ان مخالفة المريد لشيخه فى قوله أو فعله سم قاتل فمن صحب شيخا من الشيوخ ثم أعترض عليه بقلبه فقد نقض عهد الصحبة ووجبت عليه التوبة وقوله من غير شك أى تردد فى صحة قوله ومن غير ريبة أى تردد فى صحة فعله فان الريبة والشك مترادفان على معنى واحد وقد قال الجنيد لبعض تلامذته حين سأله عن مسئله وأجابه عنها فعارضه فان لم تؤمنوا فاعتزلون

(وما ألطف قول الإمام الجيلى)

وان ساعد المقدور أوساقك القضا ... إلى شيخ حق فى الحقيقة بارع
فقم فى رضاه واتبع لمراده ... ودع كلما من قبل كنت تصانع
وكن عنده كالميت عند مغسل ... يقلبه ماشاء وهو مطاوع
ولا تعترض فيما جهلت من أمره ... عليه فان الاعتراض تنازع
وسلم له فيما تراه وان يكن ... على غير مشروع فثم مخادع
ففى قصة الخضر الكريم كفاية ... بقتل غلام والكليم يدافع

فلما أضاء الصبح عن ليل سره وسل حساما للمحاجج قاطع
أقام له العذر الكليم وانه كذلك علم القوم فيه بدائع

(ثم قال المصنف رضى الله عنه)

وَيُدْرِجُ إمَّا يَخْتَارُهُ فِى مُرَادِهِ
وَأَوْصَافُهُ بِاللُّطْفِ مِنْهُ اسْتَمَدَّتِ

أى ويلزم المريد أنه يدرج أى يدخل ما يختاره من الأمور فى مراد شيخه فلا يختار لنفسه شيأ خلاف ما يختار له أستاذه وقوله وأوصافه أى أوصاف المريد وأحواله منه أى من شيخه استمدت أى أخذت المدد وهو الزيادة بسبب اللطف أى الرأفة والرفق من الشيخ بالمريد :

(ثم قال المصنف رضى الله عنه) :

فَإِنْ قَالَ لِمْ يَوْماً فَذَلِكَ عِنْدَهُمْ
حَقِيقٌ بِلَمْ يُفْلِحْ إلى يَوْمَ بَعْثَةِ

أى فان قال المريد لشيخه يوما من الأيام . على سبيل الاستفهام . لم بكسر اللام الداخلة على ما الاستفهامية وسكنت الميم لاجل الوزن أى لم كان هذا الأمر كذا فذلك القول عندهم أى الصوفيه حقيق أى جدير بأن المريد الذى قاله لم يفلح أى لم يفز بمقصوده إلى يوم بعثة أى يوم القيامة وذلك لان طريق القوم مبنية على التسليم بخلاف أهل الظاهر وأصحاب الفروع فيجب البحث والسؤال عما أشكل على التلامذة

(ثم قال المصنف رضى الله عنه) :

وَلَمْ يَنْتَفِعْ مَالمْ يَسِرْ فِى شُهُودِهِ
مُرَاعٍ لهُ مِنْ غيرِ مَيْنٍ وَعِلَّةِ

أى ولم ينتفع المريد بما تلقاه عن شيخه مالم يسر فى طريق شهوده أى مقام مشاهدته وهو مراع له بعين الأدب من غير أن يتلبس فى صحبته بمين بفتح الميم أى كذب وتلوين وعلة تصحبه من العلل :

(ثم قال المصنف رضى الله عنه) :

وَلاَ يَقْتَرِفْ مَعْنًى شَهِيًّا لِنَفْسِهِ
فَإِنَّ حُظُوظَ النَّفْسِ رَأْسُ البَلِيَّةِ

أى ينهى المريد عن أن يقترف أى يطلب معنى شهيا لنفسة واقتراف الذنب فعله فكأن هذا الأمر الذى نهى عن فعله ذنب لان النفس جبلت على حب الشهوات . والعبد مأمور بملازمة الأدب مع رب البريات . فالنفس تجرى فى ميدان المخالفة على طبعها . والعبد يردها بلجام الكف عن غوايتها عند جماحها . كما قال البوصيرى

من لى برد جماح من غوايتها كما يرد جماح الخيل باللجم

(وقال سيدى جعفر الصادق) من لم يتهم نفسه على دوام الأوقات . ولم يخالفها فى جميع الحالات . كان مغروزا ومن نظر اليها باستحسان شىء منها فقد أهلكها ولذا قال المصنف فان حظوظ النفس رأس البلية يعنى أن تمكين النفس من حظوظها كلذة الجاه وإقبال الخلق رأس اى أصل البلية أى ما يبتلى به الانسان فليزجرها المريد بأشد الزواجر ، ويعرض عليها عذاب من يعلم مافى السرائر ، وليقتد بأفعال الصالحين . فانهم كانوا يزجرون نفوسهم كل وقت وحين . فقد حكى أن شقيق البلخى كان يعاتب نفسه وينصحها ويقول ياشقيق لاتعص الله إلا على حسب ما تطيق من عذابه واعمل لآخرتك على قدر حوائجك وطالب بالرزق على قدر مقامك فى الدنيا واعمل لدار لانفاذ لها فسوف ترى اذا انكشف الغبار (وحكى) أن سعدون المجنون

كان يدور فى شوارع البصرة ويقول يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شىء عظيم ثم يبكى ويقول :

فلو لم يكن شىء سوى الموت والبلى وتفريق أعضاء ولحم مبدد
لكنت حقيقا يا ابن آدم بالبكا على نائبات الدهر مع كل مسعد

وكان اذا اشتد به الجوع أنشأ يقول :

إلهى أنت قد آليت حقا بأنك لاتضيع من خلقتا
وأنك ضامن للرزق حتى تؤدى ماضمنت كما قسمتا
وإنى واثق بك يا إلهى ولكن القلوب كما علمتا

وكان عليه جبة صوف مكتوب على كمها الأيمن سطر :

عصيت مولاك يا سعيد ما هكذا تفعل العبيد

وعلى كمها الايسر سطران :

تبا لمن قوته رغيف يأتى به السيد اللطيف
يعصى الها له جلال وهو به راحم رؤف

ومن خلفه سطران :

كل يوم يمر يأخذ بعضى يذهب الاطيبين منى وبعضى
نفسى كفى عن المعاصى وتوبى ما المعاصى على العباد بفرض

ومن بين يديه سطران :

أيها الشامخ الذى لا يرام نحن من طينة عليك السلام
انما هــذه الحياة متاع ثم موت به تساوى الانام

وعلى عكازه سطران :

اعمل وأنت بذى الدنيا على وجل واعلم بأنك بعد الموت مبعوث

واعلم بأنك ماقدمت من عمل   يحصى عليك وماخلفت موروث

فقيل له أنت حكيم لامجنون فقال أنا مجنون الجوارح لا مجنون القلب ثم قال المصنف رضى الله عنه :

تَزِينُ لهُ الأفعَال مَعَ قَوْلِهِ وَلاَ
يَكُونُ لهُ مِنْ فِعْلِهِ وَزنُ ذَرَّةِ

يقال زان الشيء صاحبه زينا من باب سار وأزانه ازانة وزينه تزيينا مثله والزين نقيض الشين والمعنى أن من شان النفس أنها تزين الإنسان الافعال الذميمة حتى يراها حميدة فى نظره فهى كالشيطان الذى قال الله فيه فزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لايهتدون .

(وقد روى) أنه لما نزل قوله تعالى وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون صاح ابليس ودعا بالويل والثبور فاجتمعت عليه شياطينه وقالوا له مالك قال نزلت آيه لايضر بعدها ذنب وذكرهالهم فقالوا انفتح لهم باب الأهواء وتحسين الأعمال حتى لايتوبوا ففرح بذلك ،

(واعلم) أيها المريد أن الشيطان قاسم أباك آدم وأمك حواء انه لهما لمن الناصحين وقد رأيت مافعل بهما وأما أنت فقد أقسم على غوايتك حيث قال فبعزتك لاغوينهم أجمعين فشمر عن ساعد الجد فى الفرار من مكائده ، والبعد عن وساوسه ومقاصده ، ولله در الامام البوصيرى حيث قال :

وخالف النفس والشيطان واعصهما   وإن هما محضاك النصح فاتهم
ولا تطع منهما خصما ولا حكما   فأنت تعرف كيد الخصم والحكم

وقوله مع قوله أى تزين له أن يقول القول القبيح ، ويعتقد أنه مليح .

أومع قوله بأن الأفعال التى فعلها مليحة والحال أنه لايكون له من فعله الذى زينته له نفسه وزن أى زنة ذرة وهى النملة الصغيرة وقيل مايرى من الهباء فى شعاع الشمس ، وذلك لأن هذا الفعل الذى زينته له نفسه باطنه خراب . فلا يستحق عليه الثواب .

(فائدة) روى أن من أراد أن لايوفقه الله على قبيح أعماله ولا ينشر له ديوانا فليدع بهذا الدعاء فى دبر كل صلاة وهو اللهم إن مغفرتك أرجى من عملى وان رحمتك أوسع من ذنبي اللهم ان لم أكن أهلا أن أبلغ رحمتك فرحمتك أهل أن تبلغنى لانها وسعت كل شيء يا أرحم الراحين ، وقد كان الامام الشافعى ملازما عليه ثم قال المصنف رضى الله عنه :

وَيُظْهِرُ مَا يَخْطُرُ عَلَيْهِ لِشَيْخِهِ
فَفِيهِ أُمُورٌ كَالشُّمُوسِ المُضِيئَةِ

أى ومن شان المريد أنه يظهر أى يبين كل مايخطر بضم الطاء أى يمر على قلبه من الخواطر لشيخه ليميز له الوارد الالهى من غيره فانه كثيرا ما يخطر الشيطان بوساوسه على القلب خصوصا عند الغفلة عن الذكر . قال تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهوله قرين ومعلوم أن الخواطر التى يتحرك القلب لها أربعة أقسام ربانى وملكى وهماما يبعثان على مفروض أو مندوب وذلك بطريق الإلهام ونفسانى وهو ما فيه حظ النفس وشيطانى وهو مايدعو إلى مخالفة الحق ، وقد سكن المصنف الراء من يخطر لضرورة الوزن ، وقوله ففيـه أى فيما يخطر على المريد أمور ظاهرة للشيخ كالشموس المضيئة فهو الذى يعرف الخواطر ويميز بينهـا ويرشد المريد لما يراه مناسبا لحاله فان الشيخ يلزم أن يكون من أهل الفراسة أى النظر .

وفى الحديث : اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله عز وجل .
(وقال أبو سعيد الخراز) من نظر بنور الفراسة نظر بنور الحق وتكون مواد علمه من الحق بلا سهو ولا غفلة بل حكم حق جرى على لسان عبد (وقال الواسطى) إن الفراسة سواطع أنوار لمعت فى القلوب . وتمكين معرفة جلت الاسرار الكامنة فى الغيوب . فصاحبها يشهد الاشياء من حيث أشهده الحق . فيتكلم اذ ذاك على ضمير الخلق . (ومن غريب ما اتفق) أن الشيخ محي الدين اللقانى جاء ليأخذ الطريق من سيدى أبى السعود الجارحى فقال :

يظن الناس بى خيرا وانى . أشر الناس ان لم تعف عنى

بنصب الناس ففارقه الشيخ اللقانى ساكتا وقال فى نفسه هذا لايعرف الفاعل من المفعول ثم إنه رأى رؤيا تدل على رفعة مقام الشيخ فجاءه فلما رآه الشيخ قال الصواب رفع الناس فقال اللقانى الله أكبر فقال له الشيخ كيف تطلب الطريق وأنت تفر من نصبه وتاتى برفعه فتاب واستغفر .
ثم قال المصنف رضى الله عنه :

وَمِنْهُ شُؤُنٌ كالسُّيُوفِ قَوَاطِعٌ ۝ وَفى كَتْمِهِ حَجْبٌ وَفَقْدُ نَتِيجَةِ

أى ومن الذى يخطر على قلب المريد شئون أى أمور لها شان وهى الاحوال التى يكون بها صلاحه فتكون عند مرورها على القلب كالسيوف اللامعة ومن صفتها أنها قواطع للعوائق التى تعوقه عن حسن السير وفى كتمه أى وفى كتم المريد وعدم اظهار مايخطر على قلبه لشيخه حجب بفتح الحاء المهملة وسكون الجيم أى منع له عن الوصول الى مقام الواصلين ، وفقد نتيجة كانت تظهر له من المقدمات التى يبديها لشيخه فيكون بها من العارفين . غير أنه لايبدى له الا ما تكرر ودام من الخواطر والا فهى كثيرة جدا .

ثم قال المصنف رضى الله عنه :

وَتَحْسِينُهُ مَا حَسَّنَ الشَّيْخُ ثُمَّ مَا
يُقَبِّحُهُ مِنْ بَعْدِ نَصْبِ الأَدِلَّةِ

أى وفرض على المريد فى طريق الصوفيه تحسين ما حسنه الشيخ لجزمه بأنه لا يفعل الا الحسن ثم تقبيح ما يقبحه لجزمه بأنه لا يقبح إلا القبيح فى الحقيقة وان ظهر للمريد أن الأمر الذى حسنه الشيخ غير حسن بحسب ظاهر الأمر لأنه ينبغى له أن يحمل أفعال شيخه التى ظاهرها الفساد على نحو من سبعين محملا من الصحة والحسن فان الشيخ ربما فعل ذلك مع مريده اختبارا لحاله وهو معه بالصدق فى أفعاله وأقواله ومن ثم قال الخضر لموسى عليهما السلام لو صبرت لعلمتك ألف باب من العلم الغامض وقوله من بعد نصب الأدلة معناه أن المريد يلزمه أن يقيم الأدلة على تحسين ما حسنه شيخه وتقبيح ما قبحه إن كان فيه قوة على ذلك ثم قال المصنف رضى الله عنه :

وَإِنْ صَارَ يُخْفِى عَنْهُ شَيْئاً فَإِنَّهُ
بِذَلِكَ يَعْصِى عِنْدَ أَهْلِ الْحَقِيقَةِ

أى وان صار المريد يخفى أى يكتم عن شيخه شيئا ما يرد عليه من الخواطر والأحوال التى تحتاج إلى الكشف عنها فانه بذلك الكتمان يعصى أى يصير عاصيا عند أهل الحقيقة أى الصوفية لأنه حينئذ يكون كالساعى فى إهلاك نفسه وأما إذا أظهر له ذلك فانه ينال شفاء أسقامه بمحاسن أدوائه ثم قال المصنف رضى الله عنه :

بَلِ الوَاجِبُ المَشْهُورُ إِيثَارُ أَمْرِهِ
وَإِظْهَارُهُ بِالصِّدْقِ دُونَ الْبَرِيَّةِ

بل للاضراب والانتقال من أمر لآخر أى بل الواجب على المريد المشهور بين القوم ايثار بكسر الهمزة أى تقديم امره أى الشيخ واظهاره بين الناس بالصدق أى موافقة الظاهر للباطن بحيث يكون المريد فى جميع نوازله الدينية والدنيوية موافق الظاهر للباطن حتى يكون سره وعلانيته سواء ليكون من الصديقين وقوله دون البرية أى الخلق بمعنى أن المريد يتبع ما يأمره به شيخه لاغيره من الناس (ثم قال المصنف)

وَنَفْيُ خِلاَفٍ وَامْتِثَالٌ لأَمْرِهِ
وَإِبْدَاءُ وَارِدْهِ بِصَفْوِ السَّرِيرَةِ

أى ومن الواجب على المريد نفى خلاف يقع بينه وبين شيخه وامتثال لأمره دون منازعه وابداء أى اظهار وارده بسكون الدال المهملة لضرورة الوزن أى مايرد عليه من الخواطر بصفو السريرة أى السريرة الصافية من التكدير من ذلك وهذا البيت تأكيد لما تقدم ثم قال المصنف رضى الله عنه

وَيُشْهِدُهُ فِى الْقُرْبِ وَالْبُعْدِ عِنْدَهُ
مُقِيماً عَلَى حَالَىْ حُضُورٍ وَغَيْبَةِ

أى ومن الواجب على المريد أنه يشهده أى يلاحظ شيخه فى حال القرب منه والبعد عنه مقيما عنده وقوله على حالى حضور وغيبة بفتح اللام تثنية حال وقد ذكره لتتميم البيت والا فهو مستفاد من صدره وعلى بمعنى فى وهذه المشاهدة تساعده على الربط القلبى الذى هو أعظم شرط عندهم ثم قال المصنف رضى الله عنه :

وَإِيثَارُهُ بِالْمَالِ وَالرُّوحِ بِالرِّضَا
وَتَفْوِيضُهُ لِلّٰهِ فِى كُلِّ طَرْفَةِ

أى ومن الواجب على المريد إيثاره أى تقديم شيخه بالمال على نفسه وافداؤه بالروح فى مواطن الهلكات مع تلقى ذلك بالرضا فان أول قدم فى الطريق بذل الروح ومن الواجب عليه أيضا تفويضه لله أى رده كل امر الله تعالى مع التبرى من الحول والقوة فى كل طارفة عين أى تحريكها للنظر فان الله هو الفاعل المختار ومن فوض اليه الأمر سلم من الاكدار .

ثم قال المصنف رضى الله عنه .

وَيَلْزَمُ لُبْسَ الصُّوفِ فَهْوَ شِعَارُ مَنْ
تَلَقَّبَ بِالصُّوفِىِّ بَيْنَ الْخَلِيقَةِ

أى ومن آداب المريد الداخل فى طريق القوم أنه يلزم أى يلازم لبس الصوف لما فى الحديث عليكم بلباس الصوف تجدوا حلاوة الإيمان (وقال صلى الله عليه وسلم) براءة من الكبر لباس الصوف ومجالسة فقراء المؤمنين وركوب الحمار واعتقال العنز وأكل أحدكم مع عياله وقد كانت الأنبياء عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام يستحبون لباس الصوف وتبعهم فى ذلك من مشى على سنتهم ولذا قال فهو شعار أى علامة من تلقب أى عرف واشتهر بالصوفى بين الخليقة أى الخلق فهو منسوب للصوف لكونه ملازما للبسه وهذا على بعض الاقوال كما تقدم (وكان) الحسن البصرى يقول من لبس الصوف تواضعا لله عز وجل زاده نورا فى بصره وقلبه (وكان) سيدى احمد الرفاعى إذا رأى على فقير جبة صوف يقول له ياولدى انظر بزى من تزييت وإلى من قد أنتسبت قد لبست لبسة الأنبياء وتحليت بحلية إلا تقياء هذا زى العارفين . فاسلك فيه مسالك المقربين . والا فانزعه والسلام .

ثم قال المصنف رضى الله عنه :

وَيَتَّخِذُ الإِبْرِيقَ مِنْ بَعْدِ مِئْزَرٍ
وَقَدْ صَحَّ فِى الأَخْبَارِ إِرْخَاءُ عَذْبَةٍ

أى ومن آدب المريد أنه يتخذ الابريق ليباشر طهارته بنفسه كما كان يفعل النبي ﷺ وقوله من بعد مئزر بكسر الميم وبالهمزة ويبدل ياء وهو ما يؤتزر به من قطن ونحوة لما روى أن النبي ﷺ كان يلبس الازار (وعن أبي بردة) قال أخرجت لنا عائشة رضى الله عنها كساء مليد اوإزارا غليظا وقالت قبض رسول الله ﷺ في هذين (وذكر الواقدى) أن طول ردائه ﷺ كان ستة أذرع في ثلاثة أذرع وطول إزاره أربعة أذرع وشبرين في ذراعين وشبر وحيث كان النبي ﷺ متباعد عن الدنيا وزينتها وراضيا منها بما يستر العورة فالصوفى التابع لسنته أولى باتباعه في الزهد فيها والتباعد عن زينتها والرضا منها بالكفاف وقدصح أى ثبت في الأخبار الصحيحة إرخاء بكسر الهمزة أى إسدال عذبة بين الكتفين وهى بفتحتين وانما سكنت الذال في البيت للضرورة طرف العمامة ثم بين مقدارها بقوله رضى الله عنه :

وَتَطْوِيلُهَا فِتْرًا لَقَدْ جَاءَ مُسْنَدًا
وَلِلنَّاسِ فِي خَيْرُ الْوَرَى خَيْرُ أُسْوَةِ

أى وتطويل العذبة مقدرا فتر بكسر الفاء أى قريبا من شبر ومثله الشبر ونحوه إلى أن تبلغ ذراعا فان ذلك كله قد جاء مسند بفتح النون اى اسنده الراوى على اختلاف الطرق والأحوال إلى النبى ﷺ (وقد سئل) ابن عمر كيف كان يعتم رسول الله ﷺ فقال كان يدير كور العمامة على رأسه ويغرزها من ورائه ويرخي لها ذؤابة بين كتفيه وقوله وللناس فى خير الورى أى الخلق وهو النبى ﷺ خير أى أعظم أسوة بضم الهمزة وكسرها أى اقتداء قال تعالى لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة :

ثم قال المصنف رضى الله عنه :

وَخَيْطاً وَمِخْيَاطاً وَمُوسَى وَسُبْحَةً
٦ وَمَا كَانَ مُحْتَاجاً إِلَيْهِ لِفِطْرَةِ

أى ومن آدب المريد أن يتخذ خيطا ومخيطا بكسر فسكون أى إبره لأن شرط الفقير الصادق أن لا يكون عنده الا ثوب واحد فيحتاج إلى مصاحبة ماذكر لئلا يتخرق منه فتفسد عليه صلاته إذا انكشفت عورته فيستغنى بذلك عن سؤال الناس لان سؤالهم داء عضال للمريد وما ألطف قول الصفى الحلى :

لا تكن طالبا لما فى يد النا ... س فيزورعن لقاك الصديق
إنما الذل فى سؤالك للنا ... س ولو فى سؤال أين الطريق

ويتخذ أيضا موسى لتحسين هيئته وحلق عانته ويتخذ أيضا سبحه بضم السين المهملة لأجل الذكر فانها تذكره ذلك وهى من شعار الصالحين كما قال بعضهم فيها

ومنظومة الشمل يخلو بها الـ ... ـبيب فتجمع من همته
إذا ذكر الله جل اسمه ... عليها تفرق من هيبته

(وقيل للجنيد) أنت مع شرفك تأخذ بيدك سبحه فقال طريق به وصلت إلى ربى لا أفارقه يعنى أنه لم يزل ملازما على ما اعتاده فى بدايته من الأوراد فان المدد فى مداومتها وهى مجموع الأذكار والأدعية ونوافل الخيرات كما قال سيدى ابراهيم الدسوقى ما قطع مريد ورده يوما إلا قطع عنه الإمداد فى ذلك اليوم فان طريق القوم تحقيق وتصديق وعمل وتنزه وغض بصر وطهارة يد وفرج ولسان فان خالف شيأ من ذلك رفضته الطريق ولو كرها اه وبقى مما يلزم المريد اتخاذه أمور منها السواك وهو عود الاراك الذى قال فيه بعضهم

بالله إن جزت بوادي الأراك وقبلت أغصانه الخضر فاك
فابعث إلى المملوك من بعضها فانني والله مالي سواك

وله فضائل كثيرة ومنها المشط لتسريح الشعر وينبغي أن يبدأ في تسريح لحيته بالجانب الايمن ويقرأ الفاتحة ثم يقرأ الم نشرح عند تسريح الايسر وقل هو الله أحد عند تسريح الاسفل فانه يرى الفتح العظيم. والتيسير الجسيم ومنها العكاز فان حمل العصا من شعار الصالحين لانهم دائما مسافرون إلى الآخرة كما قال بعضهم :

حملت العصا لاضعف أوجب حملها على ولا أنى تحنيت من كبر
ولكنني ألزمت نفسي حملها لأعلمها أنى المقيم على سفر

ولعله أدخل ذلك فى قوله وما كان محتاجا اليه لفطره بكسر الفاء وسكون الطاء المهملة (قال الكرمانى) الفطرة السنة القديمة التى أختارها الأنبياء واتفقت عليها الشرائع فكأنه أمر جبلى فطروا أى خلقوا عليه (وقال ابن العربى) الفطرة أصل الخلقة وعلى كل فالمراد بها هنا خصال يكمل بها الانسان ثم قال المصنف رضى الله عنه .

وَيَعْتَزِلُ الْخَلْقَ الْجَمِيعَ وَفِعْلَهُمْ
كَذَاكَ وُلَاةَ الْأَمْرِ فِى دَارِ دُنْيَةِ

أى ومن أركان الطريق أن يعتزل المريد الخلق الذين لاخير فيهم جميعهم ويترك فعلهم خصوصا ولاة الأمر الذين تولوا شيأ من أمور الدنيا الدنيه فان الخلطة بهم مبعدة عن التقرب إلى رب البرية .

(وقد حكى) أن الخليفة المنصور لقى سفيان الثورى فقال له ما يمنعك أن تأتينا يا أباعبدالله فقال أن الله سبحانه نهانا عنكم حيث يقول ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار (ودخل) عليه يوما وقد أرسل اليه فقال

له سل حاجتك فقال أو تقضيها قال نعم قال حاجتى أن لا ترسل إلى حتى آتيك ولا تعطينى شيأ حتى أسالك ثم خرج فقال المنصور ألقينا الحب للعلماء فلقطوا الا ما كان من سفيان

(وما ألطف قول بعضهم)

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ❊ ولو عظموه فى النفوس لعظما

ولكن أهانوه فهانوا ودنسوا ❊ محيـــاه بالأطماع حتى تجهما

(وكتب سفيان) إلى عابد من العباد يقول له أعلم يا أخى أنك فى زمان كان أصحاب رسول الله ﷺ يتعوذون أن يدركوه ومعهم من العلم ما ليس معنا ولهم من القدم ما ليس لنا فكيف بنا حين أدركناه على قلة العلم وقلة الصبر وقلة الأعوان على الخير وفساد من الزمان فعليك بالخمول فان هذا زمان خمول وعليك بالعزلة وقلة مخالطة الناس وقد كان الناس إذا التقوا تنفع بعضهم ببعض فاما اليوم فقد ذهب ذلك فالنجاة الآن فى تركهم فيما نرى واياك يا أخى والامراء أن تدنو منهم أو تخالطهم فى شىء من الأشياء ويقال لك تشفع أو تدرأ عن مظلوم أو ترد مظلمة فان ذلك من خديعة ابليس وإنما اتخذ ذلك القراء سلما للقرب منهم واصطياد الدنيا بذلك (وكان) يقول للمهدى احذر من هؤلاء الاعوان والمترددين عليك من الفقراء والفقهاء فان هلاكك على أيديهم يأكلون طعامك ويأخذون دراهمك ويغشونك ويمدحونك بما ليس فيك (ونصح) يوما انسانا رآه فى خدمة الولاة فقال فما أصنع بعيالى فقال الا تسمعون لهذا يقول انه إذا عصى الله رزق عياله وإذا أطاعه ضيعهم (وكان يقول) إذا رأيتم العالم يلوذ بباب السلطان فاعلموا أنه لص وإذا رأيتموه يلوذ بباب الاغنياء فاعلموا أنه مراء (وكان يقول) هذا زمان لا يأمن فيه الخامل على نفسه فكيف بالمشهور فيه (وكان يقول) هذا زمان عليك فيه بخويصة نفسك ودع العامة اه وما ألطف قول بعضهم يمدح العزلة :

أخص الناس بالإيمان عبد خفيف الحاذ مسكنه القفار
له فى الليل حظ من صلاة ومن صوم إذا اطلع النهار
وقوت النفس يأتيها كفافا وكان له على ذاك اصطبار
وفيه عفة وبه خمول اليه بالاصابع لا يشار
فذلك قد نجى من كل شر ولم تمسه يوم البعث نار

والحاذ بتخفيف الذال المعجمة الظهر (وحكى) أنه وجد تحت وسادة الغزالى هذه الأبيات

كنت عبد والهوى حاكى فصرت حرا والهوى خادمى
وصرت بالعزلة مستأنسا من شر أنواع بنى آدم
ما فى اختلاف الناس خير ولا ذو الجهل بالأشياء كالعالم
يالائمى فى تركهم جاهلا عذرى منقوش على خاتمى

فنظروا فاذا نقشه وما وجدنا لأكثرهم من عهد وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين ولبعضهم :

نصحتك لا تغتّرر بالمقال فرب فعال أتت بالنقيض
ولا يخد عنك بشر الوجوه فان الصواعق تحت الوميض
ويا طالما كان فى العائدين خليل تمنى وفاة المريض

(وما ألطف قول بعضهم)

لا تركنن إلى ذى منظر حسن فرب رائقة قد ساء مخبرها
ما كل أصفر دينار لصفرته صفر العقارب أرداها وأنكرها

(وما أصدق قول بعضهم)

من لم يكن فى الله خلته فخليله منه على خطر

(والصفدى)

وجدت فى عشرة صحبى أذى ... لما لزمت البيت فى الوقت زال
ياعجبا من أشعرى غدا ... يحمد رأى الناس فى الاعتزال

وقال بعضهم :

لا أرى كثرة التصادق الا ... تعب القلب فى اقتضاء الحقوق
فاصرف الود عن كثير من النا ... س فما كل من ترى بصدوق

وقال آخر :

عذيرى من الانسان ما ان جفوته ... صفالى ولا ان صرت طوع يديه
وانى لمشتاق إلى ظل صاحب ... يروق ويصفو ان كدرت عليه

وما ألطف قول الصفى الحلى :

وليس صديقا من إذا قلت لفظة ... يحاول فى أثناء موقعها أمراً
ولكنه من لو قطعت بنانه ... توهمه قصدا لمصلحة أخرى

ولعزة الاخ المشاكل . اتضح قول القائل .

إنى لافتح عينى حين أفتحها ... على كثير ولكن لاأرى أحداً

ولله در أبى المواهب الشاذلى حيث قال :

تغير أخوان هذا الزمان ... فكل خليل عراه الخلل
وكانوا قديما على صحة ... وقد داخلتهم حروف العلل
قضيت التعجب من أمرهم ... فصرت أطالع باب البدل

(وكان يقول) اياك وعثرات اللسان عند بعض الاصدقاء فقد أصيب من هذا الباب خلق كثير لثقتهم بأصدقائهم وما علموا أنهم جعلوا ذلك سلاحا لوقت العداوة فاياك ثم اياك اه . وأخذ بعضهم هذا المعنى فقال وأجاد .

احذر عدوك مرة ... واحذر صديقك ألف مره

فلربما انقلب الصديـ ق فكان أدرى بالمضرة

وفساد الزمان يوجب شكر من كان شره مقطوعا . وان كان خيره ممنوعا . كما قال المتنبي

إنا لفي زمن ترك القبيح به من أكثر الناس إحسان واجمال

فعليك أيها العاقل بتجنب الاشرار . وصحبه الأخيار . ان كانوا على حد ما قيل

أحب من الإخوان كل مواتى وكل غضيض الطرف عن عثراتى
يوافقنى فى كل أمر أريده ويحفظنى حيا وبعد وفاتى
فمن لى بهذا ليت انى أصبته فقاسمته مالى من الحسنات

(أو على حد ما قيل)

اصحب من الأخوان من وده أصفى من الياقوت والجوهر
ومن إذا سرك أودعته لم يذكر السر إلى المحشر
ومن إذا غيبت عن عينيه أقلقه الشوق ولم يصبر
ومن إذا أذنبت ذنبا أتى معتذرا عنك ولم يهجر

وقليل ما هم . وان أتعبت نفسك لاتراهم . فاحبس نفسك فى زواية العزلة . فان عزلة المرء عزله ولقد أنصف من قال :

هم الناس والدنيا ولابد من قذى يلم بعين أو يكدر مشربا
ومن قلة الإنصاف أنك تبتغى الـ مهذب فى الدنيا ولست المهذبا

وينبغى أن تكون العزلة بعد التحقيق بالعلم والزهد فانها بغيرهما عين الملازلة ، وبدون زاى الزهد علة . ويلزم المريد أن يقصد باعتزاله عن الخلق سلامتهم من شره فان من استصغر نفسه كان من المتواضعين . ومن رأى لها مزية على غيره كان من الهالكين . وقد أشبعنا الكلام على هذا المبحث فى كتابنا

تحفة العصر الجديد » فعليك به أن أردت المزيد ، ومن النصائح فى التحذير من الدنيا الدنيه قول بعضهم

يامولعا بالأمانى غير معتبر كيف الاقامة والدنيا على سفر
لا تركنن إلى دار الغرور ولا تسكن إلى وطن فيها ولا وطر
وسالم الناس تسلم من مكائدهم مسلما لقضاء الله والقدر
كم منحة بدرت ما كنت تأملها ومحنة لم تكن منها على حذر

وقال آخر :

ألم تر أن المرء طول حياته معنى بأمر لايزال يعالجه
يدور كدود القز ينسج دائما ويهلك غما وسط ما هو ناسجه

وقال أبو العتاهية :

عش ما بدا لك سالما فى ظل شاهقة القصور
يسعى اليك بما اشتهيت لدى الرواح وفى البكور
فاذا النفوس تغرغرت بزفير حشرجة الصدور
فهناك تعلم موقنا ماكنت إلا فى غرور

وللسيد الرضى :

ما أسرع الايام فى طينا تمضى علينا ثم تمضى بنا
فى كل يوم أمل قد نأى مرامه عن أجل قد دنا
أنذرنا الدهر وما نرعوى كأنما الدهر سوانا عنى
فعابث والموت فى جده ما أوضح الامر وما أبينا

وقال التهامى :

تنافس فى الدنيا غرور وانما قصارى غناها أن تعود الى الفقر
وانا لفى الدنيا كركب سفينة نظن وقوفا والزمان بنا يجرى

وما ألطف قول بعضهم :

الا إنما الدنيا كأحلام نائم ... وماخير عيش لا يكون بدائم
تأمل إذا ما نلت بالامس لذة ... وأفنيتها هل أنت الا كحالم

ومما ينسب إلى الامام على كرم الله وجهه :

أن الذين بنوا فطال بناؤهم ... واستمتعوا بالمال والأولاد
جرت الديار على محل ديارهم ... فكأنهم كانوا على ميعاد

ولما سئل رضي الله عنه فى أيام شيخوخته عن حاله فقال هو ذا أموت قليلا قليلا (وكان يقول) إذا أدركت الدنيا الهارب منها جرحته وإذا أدركت الطالب لها قتلته (وكان يقول) سرور الدنيا أن تقنع بما رزقت وغمها أن تغتم لما لم ترزق (وكان) بعض العارفين يقول ما أصنع بدنيا ان بقيت لم تبق لى وإن بقيت لم أبق لها (وقال بعض الحكماء) إذا أردت أن تعرف قدر الدنيا فانظر عند من هى (وقال بعض العارفين) دخلت المارستان فرأيت مجنونا مقيدا فوقفت عنده متفكرا فقال ياأخى لا تفكر فالدنيا ان حلت أنحلت أوجلت أوجلت أوحلت أوحلت أوكست أوكست أوهنت أوهنت فالسعيد من خرب رباعها وان مدت اليه باعها باعها كم من قبور تبنى ولا تبنا وكم من مريض عدنا ولاعدنا يامغترا بالسلامات كم من عاشق سلامات وكم من ملك دقت له الطبول ونشرت على رأسه العلامات فلما علامات فلما سمعت كلامه اتعظت به وقلت فى نفسى أنا المجنون ثم حول رأسه على وجعل يخلط كلامه (ومن كلام بعض البلغاء) الدنيا ان أقبلت بلت أو ادبرت برت أو أطنبت نبت أو أركبت كبت أو أبهجت هجت أو أسعفت عفت أو أينعت نعت أو أكرمت رمت أوعاونت ونت أو ماجنت جنت أوسامحت محت أوصالحت لحت أو واصلت صلت أو بالغت لغت أو وفرت فرت أو زوجت وجت أو نوهت وهت أو ولهت لهت أو باسطت سطت وقد در القائل :

من نال من دنياه أمنية أسقطت الأيام منها الألف

(وقال آخر)

ألا يا نفس ان ترضى بقوت فأنت عزيزة أبدا غنية
دعى عنك المطامع والأماني فكم أمنية جلبت منية

ومن حكم سيدنا عيسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام الدنيا ثلاثة أيام يوم مضى وليس بيدك منه شيء ويوم يأتى لاندرى أتدركه أم لا ويوم أنت فيه فاغتنمه وما ألطف ماقيل .

انما هذه الحياة متاع والغرور الغرور من يصطفيها
مامضى فات والمؤمل غيب ولك الساعة التى أنت فيها

وقال بعضهم الدنيا ساعه . فاجعلها طاعة . ثم قال المصنف رضى الله عنه :

وَلاَ يَلْتَفِتْ يَوْماً إلى غَيْرِ شَيْخِهِ
فَذَلِكَ وَصْفٌ مُوجِبٌ لِلْقَطِيعَةِ

أى ينهى مريد التربية الصادق على الهمة عن أن يلتفت يوما أو بعضه إلى غير شيخه المستجمع للخصال الحميدة شرعا وهو شيخ التربية فان ذلك الالتفات إلى شيخ آخر وصف قبيح موجب للقطيعة عن الحصول . على ما به الوصول وأما إذا كان الشيخ من الذين قيل فيهم ومن بعض واصفيهم .

أما الخيام فانها كخيامهم وأرى نساء الحى غير نسائها

فلا يكون له هذا الحكم ولذا قال الإمام الشعرانى فى الأنوار القدسية أحذر أن تقتصر على شيخ واحد فى هذا الزمان فانه تحجير عليك وقلة نفع لك بل اعتقد فى كل شيخ يحصل لك الخير على يديه وانما كان أهل العصر الخالى يقيدون بذلك على تلامذتهم لانهم كانوا أولياء عارفين بالله

وبالأحكام حتى لو فقدوا الجواب من طريق النقل أجابوا من طريق الكشف وأما مشايخ هذه الزمان فليس معهم من العلم اللدنى شيء اه (وقال الإمام الغزالى) أن متصوفة أهل هذا الزمان الامن عصمه الله اغتروا بالزى والمنطق والهيئة من السماع والرقص والجلوس على السجادات مع اطراق الرأس وادخاله فى الجيب كالمتفكر وتنفس الصعداء وخفت الصوت فى الحديث إلى غير ذلك فظنوا بذلك أنهم منهم فلم يتعبوا أنفسهم فى المجاهدة والرياضة ومراقبة القلب وتطهير الباطن والظاهر من الآثام الخفية والجلية . وكل ذلك من أوائل منازل المتصوفة ولو فرغوا جميعها لما جاز لهم أن يعدوا انفسهم من الصوفية ، كيف ولم يحرموا أحولها قط بل يتكالبون على الحرام والشبهات وأموال السلاطين ويتنافسون فى الفلس والرغيف والجبة ويتحاسدون على النقير والقطمير ويمزق بعضهم أعراض بعض وليسوا من الرجال بل هم أعجز من العجائز فى المعارف فاذا كشف عنهم الغطاء فوا فضيحتاه على رؤس الاشهاد اه ثم قال المصنف رضى الله عنه :

وَإِغْضَاضُهُ لِلطَّرْفِ حَالَ جُلُوسِهِ
لَدَيْهِ وَفى حالاتِ نسٍ وَوَحْشَةِ

أى ويجب على المريد أغضاضه الطرف بسكون الراء أى البصر بمعنى أنه يحبس بصره عن النظر إلى شيخه حال جلوسه لديه أى عنده اجلالا له ويستصحب ذلك فى جميع الحالات لافرق بين حالة الانس التى من شأنها أن ترتفع فيها الحشمة لحصول الانبساط بالمحبوب ولا بين حالة الخلوة عن الناس فيلزمه مراعاة هذا الادب فى جميع الحالات فانه يرقى بذلك فى طريق القوم أعلى الدرجات . ثم قال المصنف رضى الله عنه :

وَيَرْفَعُ تَوْقِيراً كَبِيراً لِسِنِّهِ
كَذَا فَاضِلاً عَنْهُ وَلَوْ ابْنَ لَيْلَةِ

أى ويجب على المريد أن يرفع قدر الكبير فى السن لأجل توقيره أى تعظيمه فقوله توقيرا مفعول لاجله مقدم على المفعول به الذى هو كبيراً (وفى الحديث) ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا (وقال ﷺ) من اجلال الله أكرام ذى الشيبة المسلم (وورد) ما أكرم شاب شيخا لسنه الا قيض الله له من يكرمه عند سنه وقوله كذا فاضلا أى وكذا يجب على المريد أن يرفع فاضلا أى زائدا فى الفضل عنه ولو كان ابن ليلة واحدة لان الله سبحانه يخص بفضله من شاء ولا يتوقف فضله على عمل ولا على طول أجل فان السعادة قبل الولادة وقد قيل أن أبا يزيد البسطامى كان إذا كلت أمه طعاما فيه شبهة لا يقبل ثديها فى ذلك اليوم . ثم قال المصنف رضى الله عنه :

وَيَرْفَعُ أَبْنَاءَ الطَّرِيقِ وَيَتَّصِفْ
بِأَوْصَافِهِمْ يَسْمُو بِنَفْسٍ زَكِيَّةِ

أى ومن الواجب على المريد أنه يرفع أى يعظم أبناء الطريق الواصلين المتصفين بمكارم الاخلاق ويتصف بالسكون لاجل الوزن أى يتخلق بأوصافهم المحمودة فانه عند ذلك يسمو أى يعلو إلى مقام الابرار بنفس زكية أى طيبة طالبة لمرضاة العزيز الغفار (وكان) سيدى ابراهيم الدسوقى يقول الفقراء كالملوك فمن لم يعرف أدب الملوك لا ينبغى له مجالستهم لانه ربما جره عدم احترامهم إلى العطب (وقال أبو مدين الغوث)

مالذة العيش الا صحبة الفقرا ... هم السلاطين والسادات والامرا
فاصحبهمو وتادب فى مجالسهم ... وخل حظك مهما قدموك ورا

واستغنم الوقت واحضر دائماً معهم ۝ واعلم بان الرضا يأتى لمن حضرا

قال بعض المريدين لاستاذه متى نصل إلى مقامك ياسيدى فقال له حتى يصير أقل اخوانك الفقراء عنـــدك فى منزلتى يشير إلى أن تعظيم مقـام المريدين ، واسطة انتظام هذا العقد الثمين ، ولذا قال المصنف رضى الله عنه

فَتَعْظِيمُهُمْ أَجْرٌ وَتَحْقِيرُ نَفْسِهِ

وَإِنْصَافُهُمْ مِنْهَــا جَدِيرٌ بِجَنَّةِ

أى فتعظيم أبناء الطريق سبب للأجر والثواب ، لانه فى الحقيقة تعظيم للملك الوهاب . وتحقير نفسه أى المريد بأن يعدها أمر حقيرا وانصافهم أى ابناء الطريق منها أى من نفسه بأن يعترف لهم بحقوقهم عليها جدير أى حقيق بجنة والمراد أن من فعل هذه الخصال ، كان من السابقين الحائزين فى الجنة مراتب الكمال (تنبيه) كان سيدى ابراهيم الدسوقى يقول لا يكون الفقير فقيرا حتى يكون حاملا للاذى من جميع الخلق اكراما لمن هم عبيده سبحانه وتعالى فلا يؤذى من يؤذيه ، ولا يتحدث فيما لا يعنيه ، ولا يشمت بمصيبة ، ولا يذكر أحدا بغيبة ، ورعا عن المحرمات ، موقوفا عن الشبهات ، إذا بلى صبر ، وإذا قدر عفر ، غضيض الطرف يعمر الارض بجسده والسماء بقلبه طريقه الـكظم والبذل والايثار والعفو والصفح والاحتمال ثم قال المصنف رضى الله عنه :

وَبِرُّهُمُو إِنْ تَسْتَطِعْهُ فَوَاجِبٌ

وَإِنْقَاذُهُمْ مِنْ كُلِّ ضَيْقٍ وَشِدَّةِ

يعنى أن برا بناء الطريق بمعنى التوسعة عليهم ، والإحسان اليهم ، واحب فى طريق القوم مع الاستطاعة وكذلك يجب انقاذهم أى تخليصهم من كل ضيق اعتراهم وشدة نزلت بهم لما فى الحديث من نفس عن مسلم كربة

من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة ومن ستر مسلما ستره الله فى الدنيا والاخرة والله فى عون العبد مادام العبد فى عون أخيه اه فقم أيها المريد بما لزم الأخوان وبادر بما يخلصهم من الشدة إن كنت من أهل العرفان ، ولا تكن كمن قيل فيه ، من بعض واصفيه :

إذا كنت فى اليسر لا ترتجى ولا لك فضل ولا توسعة
فما أنت إلا كمن لم يكن وإن كنت ذا ضيعة واسعة

ولا كمن قيل فيه ، عند عيادة أخيه .

لما مرضت زارنى من ليس معه خردلة
تعسا له من زائر وعائد بلا صلة

بل كن كصاحب هذه الفضيلة التى تقر بها العين ، وهى أن بعض الظرفاء مرض فكتب إلى السلطان هذين البيتين .

أنظر إلى بعين مولى لم يزل يولى الندى وتلاف قبل تلافى
أنا كالذى أحتاج ما يحتاجه فاغنم دعائى والثناء الوافى

فحضر السلطان إلى عيادته بنفسه وأتى إليه بألف دينار وقال له أنت الذى وهذه الصلة وأنا العائد ولا يخفى ما فى قوله وإنا العائد من حسن التورية فإنه يحتمل أنه عائد الموصول وهو الذى وأنه من العيادة وأنه من العود بالصلة مرة أخرى (وفى الحديث الشريف) أن من موجبات المغفرة إدخالك السرور على أخيك المسلم ومن جملة بر الإخوان المصافحة كلما لقيهم لما فى الحديث إذا تصافح المسلمان لم تفترق أكفهما حتى يغفر لهما ومن جملة برهم ملاقاتهم بالترحيب وطلاقة الوجه لما فى الحديث إن القادم دهشة فتلقوه بالترحاب ومن جملة برهم أن يفرش لهم شيأ يقيهم من التراب لما فى الحديث إذا زار أحدكم أخاه فألق له شيأ يقيه من التراب وقاه الله

عذاب النار ومن جملة برهم التفسح لهم فى المجالس لما فى الحديث إن المسلم حقا إذا رآه أخوه أن يتزحزح له ومن آداب الصحبة السؤال عن اسم الصاحب واسم أبيه لما فى الحديث إذا آخيت رجلا فاسأله عن اسمه واسم أبيه فان كان غائبا حفظته وإن كان مريضا عدته وإن مات شهدته (وورد) إذا أحب أحدكم أخاه فى الله فليعلمه فانه أبق للالفة وأثبت فى المودة وقد قسموا الصحبة إلى ثلاثه أقسام صحبة مع من هو أعلى وهى فى الحقيقة خدمة له وصحبة مع من هو أدنى وهى تقضى على المتبوع بالشفقة والرحمة وعلى التابع بالوفاق والحرمة وصحبة الاكفاء والنظراء وهى مبنية على الايثار والفتوة ، والتغافل أي التغافل عن زلات الصديق فان ذلك من مقتضيات الاخوة ، على حد ماقيل

ليس الغبي بسيد فى قومه   لكن سيد قومه المتغابى

(واعلم) أنه ينبغى الاستكثار . من الاخوان الأخيار . لما فى الحديث استكثروا من الإخوان فان لكل مؤمن شفاعة يوم القيامة (وقال ﷺ) رأس العقل بعد الإيمان التودد إلى الناس وأن أهل المعروف فى الدنيا هم أهل المعروف فى الآخرة وأن أهل المنكر فى الدنيا هم أهل المنكر فى الآخرة وأن صنائع المعروف تقى مصارع السوء (وقال الإمام الشافعى) لولاصحبة الأخيار ، ومناجاة الحق بالاسحار ، وما أحببت البقاء بهذه الدار (وقال الإمام الشاذلى) عليك بصحبة الفقراء فانه لو لم يكن إلا أخذهم بيدك يوم القيامه مع مايحملون عن أصحابهم فى دار الدنيا من المصائب لكان فى ذلك كفاية ثم قال المصنف رضى الله عنه .

إِذَا جازَ هذَا الوَصْفَ أَعْنِي جَمِيعَهُ
فَبَشِّرْهُ بالقُرْبِ السَّنِيِّ لِحَضْرَةِ

يعنى إذا حاز المريد هذا الوصف أى الأوصاف السابقة لأن أل فى

الوصف للجنس فيشمل جميع ما تقدم من الأصول والأركان والآداب ولذا قال أعني جميعه أي جميع ماسبق فبشره أي فبشر هذا المريد الصادق بالقرب السني نسبة إلى السناء بالمد أي الرفعة وهو قرب معنوي لكونه لحضرة الله جل وعلا ثم قال المصنف رضي الله عنه .

وَيَظْفَرُ بِالدَّارِ الَّتِي عَزَّ وَصْفُهَا
وَفِيهَا الْبُدُورُ الْغِيدُ أَسْقَتْ وَغَنَّتِ

أي ويفوز هذا المريد الصادق بالدار الآخرة وهي الجنة وإنما قال التي عز وصفها لأن في الجنة مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فلا يمكن وصفها حقيقة تفصيلا إلا بعد المعاينة وأما وصف ما فيها على سبيل الإجمال فهو ممكن ولذا قال وفيها البدور أي الحور العين التي تشبه البدور رأى الأقمار في الحسن وهذا على سبيل التقريب وإلا فقد ورد أن الحوراء لو أبرزت أنملة من أناملها إلى دار الدنيا لغلب ضوءها على ضوء الشمس وقوله الغيد بكسر الغين المعجمة أي الناعمات في لين يقال امرأة غادة أي ناعمة لينة وقوله أسقت أي ناولت الإناء الذي يستقى منه يقال سقيته وأسقيته يأتي ثلاثيا ورباعيا فمن الأول قوله تعالى وسقاهم ربهم شرابا طهوراً ومن الثاني قوله تعالى وأسقيناهم ماء غدقا وقوله وغنت من الغناء بالكسر والمد وهو الصوت الذي فيه ترنم يحصل به الطرب وأما بالكسر والقصر فهو اليسار (وفي الحديث) ان الحوار العين يغنين أزواجهن في الجنة بأصوات لم تسمع الخلائق مثلها يقلن نحن الحور الحسان خلقن لأزواج كرام (فائدة) سئل بعضهم عن سماع الغناء بالألحان المطربة عند الذكر أو بعده فقال قد حرمه من لا ينكر عليه لصدق مقاله . وأباحه من لا يعترض عليه لقوة حاله ، فمن كان عنده شيء من نور المعرفة فليتقدم ، وإلا فالوقوف عند ما له الشارع أولى وأسلم ، والله أعلم (وسئل بعضهم) عن جماعة

يجتمعون وينشد لهم المنشد أبياتا فى المحبة وغيرها فمنهم من يتواجد حتى يصير كأنه يرقص ومنهم من يصيح ويبكى ومنهم من يغشاه شبه الغيبة عن حواسه فأجاب بقوله :

الرقص نقص والسماع رقاعة وكذا التواجد خفة فى الرأس
والله مارقصوا لطاعة ربهم بل للذى طحنوه بالاضراس

(وقال بعضهم فى ذلك)

صوفية الوقت فيهم من البراغيث قرب
فيهم خصال ثلاث أكل ورقص ودب

والصحيح أنه لا بأس بسماع الانشاد المحرك للاحوال السنية . الخالى مما يوجب الخروج عن حد الشريعة المطهرة المرضية ، إذا كان السامع من أهل هذا المراتب الثلاث فانهم قسموا أهل السماع إلى ثلاثة أقسام منهم من يشاهد الوعيد فيرهب ، ومنهم من يشاهد الوعد فيرغب ومنهم من يشاهد الحق فيطرب ، ولا لوم على من بلغ هذه المقامات ، إذا تواجد عما سمع من النغمات ، فقد حكى ان سفيان الثورى سمع من يقول :

أتوب إلى الذى أضحى وأمسى وقلبي يتقيه ويرتجيه
تشاغل كل محبوب بشغل وشغلى فى محبته وفيه

فجعل يبكى ويتواجد ويكرر قوله وشغلى فى محبته وفيه (وحكى) أن ذا النون المصرى لما دخل بغداد دخل عليه جماعة ومعهم قوال فاستأذنوه أن يقول شيأ فأذن له فأنشد :

صغير هواك عذبنى فكيف به إذا احتنكا
وأنت جمعت من قلبي هوى قد كان مشتركا
أما ترثى لمكتئب إذا ضحك الخلى بكى

فطاب قلبه وتواجد حتى سقط على جبهته وتقاطر منها الدم (وسمع) الشبلي قائلا يقول:

أسائل عن سلمى فهل من مخبر ... يكون له علم بها أين تنزل

فزعق وقال لا والله مافى الدارين مخبر وكان المصنف يتواجد إذا سمع المنشد يقول:

رعى الله أياما تقضت بقربكم ... فما كان أهناها وأحلى وأطيبا

(وكان) شيخ الشيوخ صدر الدين ممن يحب السماع وكان له قوال وحيد فى صناعة الغناء فوقعت منه هفوة وتقصير فى خدمة الفقراء فطرده وهجره عاما وأحضر قوالا غيره فلما ضاق به الحال جاء مستخفيا إلى الرباط بعد أن اجتمع فيه الشيخ وجماعته وأنشأ يقول:

جئت مستخفيا وقد هرفونى ... ها أنا تائب فهل يقبلونى
أنا بالباب واقف لى دهر ... كلما رمت وصلهم أبعدونى
أبعدونى وقربوا الغير دونى ... ولهذا أموت من غير حين
لم أكن للوصال أهلا ولكن ... أنتموا فى الوصال أطمعتمونى
كنت إن جئت قيل أهلا وسهلا ... وأنا اليوم يغلق الباب دونى
فاجبروا كسر مذنب قد أتاكم ... يرتجى عفوكم بكم فارحمونى
فى بحار الهوى غرقت بوجدى ... طال شوقى لهم وقد تركونى
أيها النفس ساعدينى ونوحى ... ويح قلبى أحبتى هجرونى

فطاب شيخ الشيوخ عند ذلك وقام وسط الحلقة إلى أن وصل إليه وأخذ بيده وأجلسه على سجادته وخلع عليه وطاب القوم وكانت ليلة عظيمة فلا يصلح السماع إلا لمن كان قلبه حيا ونفسه ميتة وأما من كان قلبه ميتا ونفسه حية فلا وكل هذا مالم يكن المنشد أمرد تنجذب النفوس إليه، وإلا كان المنع متفقا عليه، وقد سئل بن سيرين عن أقوام يصعقون عند

سماع القرآن فقال ميعاد ما بيننا وبينهم أن يجلسوا على حائط فيقرأ عليهم القرآن من أوله إلى آخره فان صعقوا كانوا من الصادقين (وسئل الشبلى) عن السماع فقال ظاهره فتنة وباطنه عبرة فمن عرف الإشارة من الكلام حل له استماع العبرة وإلا فقد استدعى الفتنة وتعرض للبلية اه (والحاصل) أن السماع عندهم لا يكون مباحا إلا بشروط منها أن يكونوا فى مكان لا يطلع عليهم فيه غيرهم وأن يكون القوال ملتحيا وأن يكون كلامه مما تقوى به قلوبهم على السير إلى الله تعالى بالرقى إلى المقامات العلية وأن يكون بغير أجرة وأن لا يكون معهم شبان وأن يكون سماعهم مع السكون والأدب لا مع الحركة والرقص وضرب الارض بالأقدام باظهار التواجد ولا سيما إذا كان ذلك فى المساجد على الطريقة المعلومة الآن مع رفع الصوت بالألحان المهيجة للشهوات ، وتمايل الأمرد الجميل بالحركات والسكنات ، فان ذلك حرام باجماع المسلمين ، ولا يقول بحله إلا من ابتدع أو تزندق أو كان من الضالين المضلين ، خصوصا إذا اجتمع مع ذلك التصفيق ، أو الضرب على مثل الدف فى المسجد الذى جعلوه على طريقهم كالطريق ، مع أنه ينزه عن رفع الصوت المشوش على المصلين حتى بالقرآن الكريم ، فان دام هذا فلا يسعنا إلا أن ترفع أكف الشكوى لله فتقول سبحانك هذا بهتان عظيم ، ثم قال المصنف رضى الله عنه

يُشَاهِدُ أَقْمَاراً بِهَا وَعَرَائِسَا
وَيَشْرَبُ مِنْ كَأْسِ الهَنَا وَالمَسَرَّةِ

أى يشاهد هذا المريد الواصل إلى درجات الكمال ، أقماراً فى الجنة وعرائس فى غاية الحسن والجمال ، ولعله أراد بالأقمار الولدان ، وبالعرائس الحور الحسان ، (وقد روى) أن الواحدة من الحور العين تلبس سبعين حلة ومع ذلك يرى مخ ساقها من وراء الحلل من الحسن وللمؤمن فى الجنة

سبعون حورية أو أكثر على حسب مراتب الأعمال ، ومايتوف عن ألف خادم من الولدان الذين لايفنى شبابهم ولا يعتريهم زوال ، ويشرب المريد بمناولة الحور والولدان له من كاس الهنا والمسرة قال تعالى إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا والهنا بالقصر الفرح والمسرة والسرور ، بما أعده له العزيز الغفور ، ثم قال المصنف رضى الله عنه .

هُنَاكَ الْكِرَامُ النَّازِلُونَ مِنَ العُلاَ
مَنَازِلَ أَفْرَادٍ مَعَاهِدَ سَادَةِ

الإشارة بهناك إلى الجنة التى أعدها ذو الجلال والإكرام ، لمن ألان الكلام وأطعم الطعام وتابع الصيام وصلى بالليل والناس نيام ، فان الموصفين بهذه الأوصاف ينزلون فيها من الدرجات العلى منازل أفراد ، مخصوصين بمزيد الإكرام من المنعم الجواد ، وتوصف تلك المنازل بكونها معاهد سادة من الناس أى أماكنهم التى عهدت لهم فان المعهد المنزل والسادة جمع سيد وهو من له السيادة على غيره (قال المصنف)

بِحَيْثُ الْبَهَا وَالأُنْسُ بِالقُدْسِ يَنْجَلِي
عَلَى السِّرِّ جَهْراً فِى جَمَالٍ وَبَهْجَةِ

يعنى أن هؤلاء الكرام ، المخصوصين بمزيد الإكرام فى دار السلام . ينزلون منها بحيث البهاء الخ أى بمنزل ينجلى أى ينكشف فيه البهاء أى الحسن والانس بالمحبوب أى يظهر لهم ذلك بسبب مافى قلوبهم من القدس أى الطهارة القلبية قال تعالى ونزعنا مافى صدورهم أى مافى قلوبهم التى فى الصدور من غل إخوانا على سرر متقابلين وفيه إشارة إلى مقعد الصدق المختص بالمتقين المشار إليه بقوله تعالى فى مقعد صدق عند مليك مقتدر فيتجلى ماذكر من البهاء والانس على السر أى اللطيفة المودعة فى القلب التى هى محل

المشاهدة جهرا بلا خفاء فى جمال أى فى حلل جمال وبهجة أى هيئة حسنة تبتهج بها النفس وتسر ويحتمل أن المعنى أن هذا المريد إنما يكون فى هذه المنازل العالية إذا كان فى الدنيا بحيث البهاء الخ أى إذا كان بهذه الحالة التى يتجلى فيها البهاء والأنس على سره بسبب القدس أى الطهر القائم بقلبه فلا يكون فى قلبه غل ولا غش ولا حسد ليتضح قوله رضى الله عنه

وَحَيْثُ كَمَالُ الذَّاتِ بِالذَّاتِ وَاحِدٌ
تَغَانَتْ بِهِ الأكْوَانُ عَنْ كُلِّ وِجْهَةِ

أى ويكون المريد فى تلك المنازل العالية إذا وصل إلى معرفة أن كمال الذات الاقدس بالذات أى بذاته تعالى واحد أى فرد جامع لجميع أوصاف الكمال تغانت بالغين المعجمة أى استغنت يقال تغانيت تغانيا بمعنى استغنيت وقوله به أى بذلك الكمال عن كل وجهة أى جهة ومقصد فلا ينبغى للمريد أن يقف مع الأسباب ، بل ينظر إلى مسببها فانها فى الحقيقة كسراب ، ثم قال المصنف رضى الله عنه :

وَحَيْثُ الْبَقَا بَعْدَ الفَنَاء لِسَالِكٍ
أزَالَ حِجَابَ الْعَيْنِ مِنْ غَيْرِ نُقْطَةِ

أى ويكون المريد فى منازل الأبرار إذا وصل إلى مقام البقاء بالله بعد مقام الفناء فيه بمعنى أنه بعد يتجلى الله عليه بصفاته السنية . فيفنى عن أوصافه البشرية ويشاهد اضمحلال مادون الحق بالكلية ، يتجلى عليه ثانيا بتجلى الذات فى حضرة الأسماء فيبقى متصفا بصفات الحق جل شأنه من حيث أنه يكون عاملا بمقتضى قوله ﷺ تخلقوا بأخلاق الله أى بأوصافه التى تليق البشر من الصفح والحلم ونحو ذلك وعند ذلك يتحقق بمقام الحب المشار إليه فى الحديث القدسى بقوله لايزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فاذا

حينئذ كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به إلى آخره وإلى هذين المقامين أشار البكرى فى ألفيته التى فى التصوف بقوله .

كم لذة فاقت على اللذات　　تجلى علينا فى تجلى الذات
فى تجلى وصفه يفنينا　　وفى تجلى ذاته يبقينا

وقوله أزال أى كشف ذلك الشهود والتحقق بمقام البقاء بعد الفناء عن هذا السالك حجاب أى ساتر العين أى عين القلب المسماة بالبصيرة الكائن ذلك الحجاب من غين نقطة بفتح الغين المعجمة وهو فى الأصل الغيم الرقيق أطلق هنا على ما يغشى القلب فيكون على عين البصيرة كالنقطة على عين البصر فيحول بين البصيرة وبين ادراك الحقائق كما إن النقطة تمنع البصر من رؤية الشىء وقد يطلق الغين على التجليات الإلهية كما فى حديث أنه ليغان على قلبى وأنى لاستغفر فى اليوم مائة مرة فهو ﷺ بعد أن يتجلى الله عليه بالتجلى الذاتى يرى حالته الأولى أقل من الحالة التى انتقل إليها فانه مامن كمال إلا وعند الله أكمل منه قال تعالى وللآخرة خير لك من الأولى أى وللحظة المتأخرة خير لك من اللحظة المتقدمة فيستغفر الله من الحالة الأولى من باب حسنات الأبرار سيآت المقربين وإياك أن تفهم أن الغين رين يخالط قلبه الشريف ، فتزل بك القدم وتستحق اللوم العنيف ، بل هى أغيان أنوار ، وليست أغيان أغيار .

فنزه قلبه عن كل وصف　　يباعده عن الذات العلية

(ثم قال المصنف رضى الله عنه)

وَإِنْ لَمْ يَكُنْ شَيْخٌ يُرِيهِ شُخُوصَهَا
وَيُدْنِيهِ مِنْ أُمِّ القُرَى وَحُذَيْنَةِ

فَلَيْسَ لَهُ مِنْ عُمْرِهِ غَيْرَ رَسْمِهِ　　وَعِيشَتُهُ فِينَا كَعَيْشِ البَهِيمَةِ

أي وإن لم يكن للمريد شيخ عارف بأصول الطريق التي بها يريه شخوصها أي أحوالها ويدنيه أي يقربه بامداده من أم القرى وهو من أسماء مكة وانما سميت أم القرى لان الدنيا دحيت من تحتها لما فى الحديث أول بقعة وضعت فى الارض مواضع البيت ثم مدت منها الارض أو لأن أهل القرى يقصدونها للحج فهى أم بهذا المعنى وهذا كناية عن كونه يقربه للمحل الذى هو أحق بالقصد من غيره كما أنه كنى ببثينه عن الذات العلية وبعضهم يكنى عنها بليلى وبعضهم بسلمى وبعضهم بعزة ونحو ذلك كما قال البكرى :

وهذه كناية العرفان ورمز أهل الحق والايقان
عن سرها كنيت بالالحان وحانها ونعمة القيان
وكيف لا يستر سر عزة وجدها له أجل عزة

(وقال آخر)

تمنت سليمى أن نموت صبابة وأهون شىء عندنا ما تمنت

(وقال سلطان العاشقين ابن الفارض)

فكل مليح حسنه من جمالها معار له أو حسن كل مليحة
بها قيس لبنى هام بل كل عاشق كمجنون ليلى أو كثير عزة

وقال بعض العاشقين . المحبين لرب العالمين .

نسمات هواك لها أرج تحيا وتعيش بها المهج
وبنشر حديثك يطوى الغم عن الارواح وينفرج
وبهجة وجه جلال جما ل كمال صفاتك أبتهج
لا كان فؤاد ليس يهيـ م على ذكراك وينزعج
ما الناس سوى قوم عرفوا ك وغير هم همج همج

قوم فعلوا خيرا وصلوا   وعلى الدرج العليا درجوا
دخلوا فقراء إلى الدنيا   وكما دخلوا منها خرجوا
شربوا بكؤس تفكرهم   من صرف هواك وما مزجوا
يامدعيا لطريقهم   قوم نظرا بك ينعوج
تهوى ليلى وتنام الليـ   ـل وحقك ذا طلب سمج

ثم ان جواب الشرط قوله فلبس له أى للمريد الذى لم يكن له شيخ من عمره الذى عاشه غير رسمه فقط ورسم الدار فى الاصل هو مادرس منها وكان لاصقا بالأرض أى ان عمره صار لامنفعة به بل تكون عيشته فيمامعاشر الصوفية كعيش البهيمة كما قال بعضهم :

نهارك يامغرور سهو وغفلة   وليلك نوم والردا لك لازم
وتصبح فيما سوف تكره عينه   كذلك فى الدنيا تعيش البهائم

(ثم قال المصنف رضى الله عنه)

وَيُدْعَى لَقِيطاً أَيْنَ حَلَّ مُعطَّلاً
وَإِنْ كَانَ ذَا عِلْمٍ كَزَوْجٍ عَقِيمَةَ
دَعِيًا مَعَ السَّادَاتِ فِى كُلِّ مَوْطِنٍ
كَذَا نَقَلُوهُ جُلَّ أَهْلِ الْحَقِيقَةِ

يعنى أن من لم يكن له شيخ فانه يدعى أى يسمى عند القوم لقيطا أين حل أى نزل واللقيط فى الاصل الولد الملقوط أى المأخوذ من الارض من غير ان يعلم له أب والمراد منقطوع النسب وقوله معطلا أى من التحلية بالاندراج فى سلك القوم وان كان ذا علم لانه حينئذ يكون هو وعلمه كزوج امرأة عقيمة لان علمه لاينتج له شيأ كالمرءة العقيمه التى لا تلد لزوجها ولذا قال الغزالى إذا وجدتم الرجل قد طبق الارض علما ولم يكن له شيخ يوصله

إلى سلسلة القوم فهو عقيم لم يكن يلق الحكمة اه وحينئذ يدعى دعيا مع السادات أى غير منسوب لهم فى كل مواطن؛ فهو كابن الزنا عند القوم كذا قاله جل بضم الجيم أى معظم أهل الحقيقة وهم السادة الصوفية ثم قال المصنف رضى الله عنه

وَأَيَّامُهُ تَمْضِى وَأَعْمَالُهُ بِهَا

بِلاَ وَفْقِ شَرْعٍ فى أُمُورِ الشَّرِيعَةِ

أى وأيام الذى لم يكن له شيخ تمضى سدى وأعماله بها أى فيها تكون بلا وفق أى موافقة شرع لأنه لم يأخذها عن شيخ عارف متبحر فى علوم الشريعة وحينئذ فيجب اتخاذ الشيخ الذى يحسن به الوصول إلى اصلاح الأعمال، ويبلغ به المريد فى درجات العرفان غاية الكمال، ثم قال المصنف رضى الله عنه :

وَهذا الَّذِى قَدْ يَسَّرَ اللهُ نَظْمَهُ

عَلَى أَحْمَدِ الْمَشْهُورِ بَيْنَ الْخَلِيقَةِ

بِوَالِدِهِ عُثْمَانُ مَرْبًا وَمَنْشأً

بِحَانَاتِ شَرْنُوبٍ بِأَرْضِ الْبُحَيْرَةِ

اسم الاشارة راجع إلى الكلام الذى قد يسر أى سهل الله نظمه من البحر الطويل الذى وزنه فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن مرتين وقد أشار الشهاب الخفاجى إلى وزن هذا البحر فى منزع صوفى مع حسن الاقتباس فقال .

أيا من طويل الليل بالنوم قصروا أنيبوا وكونوا من أناس به تاهوا

وان شئتمو تحيوا أميتوا نفوسكم ولا تقتلوا النفس التى حرم الله

وقوله على أحمد أى على لسان ناظمة القطب الشهير . والبدر المنير *

سيدى أحمد عرب الشرنوبى ولى الله المحبوب . وخزانة الأسرار والغيوب . فلا تعجب إذ ظهرت على يديه الكرامات . وخرقت له فى عالم الملك سبل العادات فانه الإنسان الكامل عند كل إنسان . المشهور بين الخليقة أى الخلق بوالده عثمان وها أنا أذكر نسبه الشريف لتحصل لى بركة جنابه المنيف فاقول هو سيدى أحمد عرب ابن سيدى عثمان ابن سيدى أحمد بن سيدى على نور الدين بن سيدى أحمد أبى العباس بن سيدى محمد ابن سيدى أحمد بن سيدى محمد بن سيدى أحمد بن سيدى على البرهانى المكنى بأبى الوفاء الحال ضريحه بشرنوب بن سيدى خضر بن سيدى على بن سيدى محمد بن سيدى يوسف بن سيدى سليمان بن سيدى عبد المهيمن بن سيدى عبد الخالق صلاح الدين بن سيدى محمد قمر الدولة الحال ضريحه بنفيا كناه بذلك سيدى أحمد البدوى عند إجتماعه به وقال له أنت قمر دولتى ابن سيدى حسن بن سيدى حسن الصياد بن سيدى إبراهيم الغالى الحال ضريحه بفاو ابن سيدى عمر بالصعيد الأعلى بن سيدى محمد عبد السلام بن سيدى ابراهيم الرضى بن سيدى موسى الكاظم بن سيدى جعفر الصادق بن سيدى محمد الباقر بن سيدى على زين العابدين بن سيدنا الحسين بن سيدنا على بن أبى طالب رضى الله عنهم أجمعين كذا وجد بخط سيدى على نجل الأستاذ وقد أشار رضى الله عنه إلى البلدة التى نشأ بها بقوله مربا ومنشأ بحاناتك شرنوب أى إن مرباه ومنشأه كان فى حانات جمع خان . وهو فى الاصل محل إجتماع الندمان . والمراد هنا أماكن القرية التى يقال لها شرنوب الكائنة بأرض البحيرة وهى من أعمال مصر وفى تلك القرية نبى الله جرجيس وقد ظهر حال الاستاذ بها وهو ابن سبع سنين وكانت والدته من الصالحات واسمها عايدة وتنسب إلى سيدى أبى بكر الراعى الحال ضريحه بمحلة مرحوم وكانت تربط له الخبز والجبن على مئزره وتقول له احترز على غدائك من الاولاد

لأنه كان يسرح معهم بالغنم فيأخذه الحال فيستغرق فى الذكر حتى يرى بالمئزر فيأخذ الأولاد ماعليه ويجعلون مكانه شقفا فاذا أفاق يقولون له اجلس يا أحمد للغداء فيجلس ويحل إزاره فاذا بخبزه على حاله فيتعجبون من ذلك ولما اشتد به الحال توجه إلى مقام ولى هناك بناحية شرنوب يقال له سيدى محمد الأعرج البرهانى فكان لا يفارقه ليلا ولا نهارا وقد ترك الأغنام واشتغل بالعبادة وابتلى بالإيذاء من أهل شرنوب وكان عدة أهلها إذ ذاك تسعة آلاف رجل وكانت والدته تقول له أصبر يا أحمد فانه لايرجم إلا الشجرة المثمرة وكان من جملة المنكرين عليه رجل يقال له حماد قال أتيت ذات يوم إلى المقبرة فرأيت الشيخ أحمد عرب قد علق على مواضع بجوار سيدى محمد الأعرج قطعا من خرق فقلت له ما هذا الجنان الذى تفعله وتترك أغنامك فقال لى إن ههنا أولياء تدوسون عليهم بنعالكم فاحببت أن أظهرهم قال فتركته وأتيت بعد يوم فى وقت السحر ورميت ماعليهم وقلت انه مجنون وإذا انه قد أتى إلى فقيدت بقيد القدرة فـلك أذنى ورمانى فى الأرض فما أفقت إلا وقت الضحى فتبت بعد ذلك إلى الله تعالى ثم ان الاستاذ غاب فى السياحة سبع سنين حتى ان أهله لا يدرون أين توجه ثم إنه اتى وأقام مدة بمدينة دمنهور البحيرة قال الشيخ سليمان بن صالح وهو من خواص أتباع الاستاذ سألت أستاذى الشيخ أحمد عرب عند إجتماعى به بمدينة دمنهور البحيرة فقلت له ياسيدى أتاذن لى فى سؤال ورد على فقال ياسليمان تسالنى إلى أين انتهت بنا السياحة فقلت له نعم قال ياولدى إلى المغرب الأقصى وجبال الزيتون وساحل البحر المحيط قال فقلت فى نفسى إن الاستاذ لم يخبرنا عن جبل قاف فتبسم الاستاذ وقال يا مبارك هاهو قاف قال فنظرت الجبل وما حوله ورأيت الأولياء والعباد يتعبدون هناك فغشى على من ذلك اه فانظر يا أخى إلى هذه الكرامة . من هذا الاستاذ الذى بلغه الله مرامه :

وإذا لم تر الهلال فسلم ... لأناس رأوه بالأبصار

وأقام رضى الله عنه بمصر مدة بالدرب الأحمر فى زاويته المشهورة وله بين العلماء الاعلام الكرامات المأثورة كما قال سيدى إبراهيم اللقانى صاحب الجوهرة قد شاهدت من سيدى أحمد عرب الشرنوبى الكرامات الخارقة عند إجتماعى به حال بدايتى فى مصر المحروسة بزاويته التى بالدرب الاحمر ورأيته متمسكا بالكتاب والسنة ورايت جميع أتباعه مشتغلين فى الزاوية بالقرآن وطلب العلم وسمعت منه علوما لم أسمعها من غيره وسالنى جماعة من أهل الأزهر فى الإجتماع عليه وقالوا يا إبراهيم لابد أن تجمعنا على شيخك فقلت حبا وكرامة فلما توجهنا إلى الزاوية قال أحدهم فى خاطرى ملوخية وقال الآخرة وتكور بلوز وقال الثالث وأنا أريد عسلا نحلا وجبنا وقال الرابع وأنا أساله عن علم الذات والصفات فقلت حيث انكم اتيتم ممتحنين فلا أتوجه معكم فقالوا تبنا فلما دخلوا على الشيخ قال لهم مرحبا بمن تابوا قبل وقوع الذنب ثم قال يا نقيب هل بقى عندك شىء من الطعام فقال نعم فاحضر زبدية فيها ملوخية فضرب الذى كان طالبا الاوز أصبعه فلم يجد مقصوده فقال له الشيخ يامبارك من فاته اللحم فليقنع بالمرق ثم ان الشيخ فتت فيها بعضا من الخبز وجعل يعطى هذا وركا وهذا كتفا وهذا جناحا ثم قال يا نقيب هات ماتحت القصعة فاذا هو عسل نحل وجبن قديم ثم قال والله يا أولادى من أطلعه الله على علم الذات والصفات وسكت عنه كان أولى له فاندهش الجماعة واخذوا عن الشيخ العهد فقال الشيخ يا ابراهيم الفقراء مثل النحل والمجاورون مثل الزنابير ثم قال يا ابراهيم طريقتنا مبنية على الكتاب والسنة ليس فيها دغل ولا غش ولا تلون من أحدث فيها ما ليس منها أفقره الله وكشف حاله اه (وقال العلامة الصاوى) فى حاشية الجوهرة كان الشيخ إبراهيم اللقانى من أرباب الاحوال والكشف وأنشا هذه المنظومة ليلا باشارة شيخ التربية فى التصوف سيدى أحمد عرب الشرنوبى وعلمه أنه إذا

قرأ فى أذن المولود سورة القدر عند ولادته لم يقدر الله عليه زنا مدة حياته اه باختصار . وللاستاذ مع العارف الشعرانى كرامات سنية وأحوال بهية أقر له فيها بالفضل والتقديم وقال ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم . وقد أقام الاستاذ سبع سنين بمكة والمدينة وظهرت له ولاتباعه الكرامات العجيبة . قال الشيخ سليمان بن صالح كنت أنا والشيخ نور الدين والشيخ محمد نور الدين القانى من جملة من صحب الاستاذ فى السفر إلى مكة فاتفق أننا تأخرنا عنه فنظرت اليهم فاذا هم صافون أقدامهم والارض تطوى من تحتهم فكتمت أمرى حتى لحقنا الأستاذ وعرفته الخبر فقال ياولدى الآن عندنا من الفقراء نحو أربعة عشر تطوى لهم الارض ثم بعد ذلك توجه الأستاذ إلى شرنوب ثم توجه إلى البلاد الرومية حيث رأى النبي ﷺ فى المنام وهو يقول له يا أحمد امض إلى الشيخ نور الدين زاده بالقسطنطينية وخذ عنه الطريق لانه الآن رأس العارفين فتوجه اليه ومعه جملة من أصحابه الأكابر فلما وصل إلى الشيخ نور الدين خرج اليه من الخلوة وقال مرحبا بمن أتانا بأمر النبي ﷺ ومرحبا بأولاد الفقراء ثم دخل هو والاستاذ الخلوة وأخذ عنه الطريق وأقام معه مدة بجامع السليمانية وكساه جبة من الصوف الأخضر وأعطاه سبحة نحو الالف حبه فلما عزم السلطان سليم على فتح قبرص أتى إلى سيدى نور الدين يسأله الدعاء فدعا له وأمر سيدى أحمد عرب بالتوجه معه ففتح الله قبرص فى تلك المرة ورجع الأستاذ إلى القسطنطينية وأخرج مرسوما تأمر السلطان بابطال العوائد والمظالم عن أهل شرنوب فلما رجع الأستـــاد إلى شرنوب واعلمهم بذلك ذهبوا إلى حاكم الولية وقالوا لاتزيد حماية عليك وليس لنا رغبة فى أقامة هذا الرجل وأتباعه فى بلدنا بل رغبتنا نفيهم من الديار فانهم لصوص بالليل وفقرا. بالنهار وشهدوا هذه الشهادة الزور ، وأظهروا ما كانوا عليه

من الفجور ، وقد انقرض الآن نسل جميع المنكرين ، وتلى عليهم فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ، فتأمل يا أخى ماجرى للأكابر العارفين ، وكن على ما ابتليت به من أهل بلدك من الصابرين ، فان هوى الوطن . لايحرك من قلبك ماسكن .

ومن العجائب أن مقتول الهوى أبدا يحن إلى لقاء القاتل

(وكانت) طريقة الاستاذ شاذلية وقد نقل عنه أنه قال مشايخنا الذين أخذنا عنهم هم الشيخ عبدالرحمن التاجورى والشيخ عبدالسلام بن عبدالرحمن المغربى وسيدى على السكرى وسيدى على المتقى الهندى بمكة المشرفة وسيدى عبد الرحيم البيروتى وسيدى أبو الحسن البكرى وسيدى سليمان الخضيرى وسيدى إبراهيم الذاكر وسيدى بدر الدين العالى وسيدى محمد الشهاوى وسيدى زين ابن بنت المرصفى وسيدى نور الدين زاده القاطن بالقسطنطينية اه (وقد) اشتهر رضى الله عنه بأنه وزير سيدى إبراهيم الدسوقى لأنه كان على قدمه وشرب من مشربه فهو وزيره حقيقة من حيث ائتلاف الأرواح وإن لم يجتمع معه فى عالم الأشباح ، فان الأستاذ أخذ الطريق أولا عن سيدى محمد الشهاوى وثانيا عن سيدى سبط المرصفى وهو أخذ عن سيدى أبى القاسم البناء وهو وسيدى جلال الدين السيوطى أخذا عن سيدى محمد بن عبد السلام الشاذلى وهو وسيدى محمد العتريس أخذا عن سيدى محمد بن موسى أبى العمران وهو وأبوه وسيدى مرزوق الكفافى أخذوا عن القطب الحقيق ، سيدى إبراهيم الدسوقى (وقد أخذ) عن الأستاذ جملة من الخواص الذين ظهر سرهم بين الآنام ببركة مالهم من الإخلاص . منهم سيدى سليمان ابن صالح الدمنهورى وسيدى إبراهيم اللقانى صاحب الجوهرة كما تقدم وسيدى داود اللقانى وسيدى على المنير اللقانى وسيدى شهاب الدين الدمياطى والشيخ أبو البركات الحصاوى والشيخ إبراهيم الشبرخيتى والشيخ حجازى

السكندرى والشيخ شمس الدين التلبانى والشيخ على العلقمى والشيخ عامر النقيب والشيخ أحمد خاطر المدفون بجوار مقام سيدى ياقوت العرشى والشيخ عبدربه الابشيطى الحال ضريحه بالمحلة الكبرى والشيخ محمد البلقيق الحال ضريحه ببلقين والشيخ عبيد التمامى الحال ضريحه بالعكريشة والشيخ أبو النصر الدسوقى الحال ضريحه بدسوق والشيخ سليمان البرهامى الحال ضريحه بسنديون والشيخ شرف الدين المرشدى والشيخ البولينى والشيخ سليمان العلقمى والشيخ حميده الخويلدى المعروف بأبى عمران الحال ضريحه بالبهى والشيخ محمد بن سكران الخوانكى والشيخ عامر البقلى والشيخ إبراهيم ابن الشيخ عبد الجليل الشرنوبى والشيخ إبراهيم السمديسى والشيخ حسن المنزلاوى والشيخ حسن النواصرى والشيخ سليمان العشماوى والشيخ عبدالله المغربى والشيخ سالم بن نعامة الدمنهوى والشيخ زين المحلاوى والشيخ محمد الدسوقى إلى غير ذلك من أكابر الرجال ، أرباب المقامات والأحوال ، الذين بذكرهم تنزل الرحمات ، نفعنا الله بهم وجعلنا من المحبين لنشر مناقب السادات (وكانت) أوراد الأستاذ بعد صلاة العشاء سورة يس والصلاة على النبى ﷺ ومجلس التوحيد وبعد صلاة الصبح سورة الواقعة والدخان وهل أتى على الإنسان والبروج وألم نشرح وأسماء الله الحسنى وبعد العصر سورة عم يتساءلون وتبارك الملك والفتح وحزب البحر ومجلس التوحيد وكان يأمر أصحابه بقرأة القرآن وطلب العلم وكان كثير الجود والكرم حتى قال بعض أتباعه صحبت الأستاذ نحو أربعين سنة فما سمعته يوما يقول أدخروا هذا للغد بل كان يجود بجميع ما عنده على حد ما قيل :

من ظن بالله خيراً جاء مبتدئاً   والبخل من سوء ظن العبد بالله

وقد كان رضى الله عنه يترنم بهذه الأبيات

أوسع رحلى على من نزل   وزادى مباح لمن قد أكل

نقدم ما عندنا حاضر ولو لم يكن غير خبز وخل
فأما الكريم فيرضى به وأما اللئيم فمن قد أقل

(ومن كلامه رضى الله عنه)

وليس أخى من ودنى بلسانه ولكن أخى من ودنى فى المصائب

(وكان يقول) يا أولادى إن الشيخ يحفظ المريد الصادق فى قربه وبعده (وقد اتفق) أن الشيخ سليمان بن صالح تلميذ الأستاذ كان مقيما بالزاوية التى بالدرب الأحمر فى مصر والأستاذ فى شرنوب وكان الشيخ سليمان المذكور دخل الخلوة بالزاوية المذكورة وأقام بها أربعة عشر يوما فأرسل له الأستاذ مكتوبا يقول فيه إذا قرأت كتابى فاخرج من الخلوة عاجلا فلما قرأه امتثل أمر الأستاذ وقال هذا جزاء من يدخل الخلوة بغير إذن أستاذه فما استتم الخروج من الخلوة حتى سقط سقفها فعلم أن الأستاذ ملاحظ المحافظة عليه (وقال) بعض أتباع الأستاذ سافرت مرة إلى الحج فحصل لى مرض برجلى فطلبت الركوب فقال لى رجل معه ناقة أعطنى عشرة أنصاف وأنا أعطيك ناقتى تركبها فركبتها وقلت هذا من بركة أستاذى فقال ومن أستاذك قلت سيدى أحمد عرب الشرنوبى فرمانى من فوق الناقة فنزلت على رجلى الأخرى وقال لو تعطينى عشرة دنانير ماركبتها فقلت لاحول ولاقوة إلا بالله لو علمت أن هذا يكره أستاذى ماذكرته له وإذا أنا بالأستاذ قادم وبيده ناقة بيضاء فمسح على رجلى حتى برئت ثم قال لى إن الرجل الذى حملك على ناقته ثم رماك من أهل شرنوب من بيت الإنكار علينا واحمد الله حيث لم يقتلك فقلت له ياسيدى أنا أعلم أنك فى الحج فقال أكتم أمرك واركب هذه الناقة فركبتها فلما رجعت أتيت لزيارة الشيخ بشرنوب وإذا بالرجل الذى رمانى دخل على الأستاذ وسلم عليه وصار يقول ياسيدى حملت رجلا فى الحج على ناقتى من أجلك فقلت له لأى شىء رميتنى من فوق ظهرها كسرت رجلى فلما

عرفنى خجل وولى (ثم إن الأستاذ) توجه ثانى مرة إلى الديار الرومية سنة أربع وتسعين وتسعمائة فى شفاعة لبعض أتباعه عند السلطان وكان معه جملة من خواصه فلما مر على أهل الشأم أهدى له بعض الناس قماشا ففصل منه متزارا طوله سبعة أذرع وعرضه ثلاثة أذرع وقميصا واسعا وأمر النقيب بحفظ ذلك إلى وقت الحاجة فلما وصل إلى بلدة من بلاد الروم يقال لها أورجلى مرض بها ثلاثة عشر يوما ومات رضى الله عنه فأمر الوزير إبراهيم باشا بان يبنى للأستاذ مقام وزاوية فبنى له ذلك ورتب فيها ترتيبا عجيبا ووقف أهل الناحية أيضا من العقار مايقوم بالزاوية والمترددين عليها لما شاهدوه من الكرامات الظاهرة ، والأنوار الباهرة ، فان مقامه عليه من الأنوار، مايبهر الزوار ، وقد كان عمر الاستاذ إذذاك ثلاثا وستين سنة فيكون مولده سنة تسعمائة واحد وثلاثين (وكان) رضى الله عنه يقول من باب التحدث بالنعمة عرفت العلم اللدنى وأنا ابن ثمان سنين واطلعت على اللوح المحفوظ وأنا ابن عشرين سنة وأقمت قطبا خمس وعشرين سنة .

(وقد ألف) سيدى على نجل الأستاذ كتابا فى مناقب والده وكراماته فانظره إن شئت وكان عمر سيدى على حين مات الأستاذ تسع سنين وأما سيدى محمد وسيدى يوسف فقد مات الأستاذ وهما صغيران وقد حصلت لهم بركة والدهم حتى بلغوا أعلى الدرجات ، وظهرت على أيديهم الكرامات ولكل من هؤلاء الثلاثة مقام بشرنوب ، تلوح عليه الانوار وتنفس به الكروب ، وقد مات للأستاذ جملة أولاد فى حياته (ومنهم) سيدى يوسف المدفون بدمنهور البحيرة المشهور بسيدى حجاج (ومنهم) سيدى عثمان ودفن بمصر بالدرب الاحمر (ومنهم) سيدى محمد الاول وسيدى أحمد الاول والثانى وقد دفنوا بزاوية سيدى على أبو الوفاء بشرنوب وكذلك جملة بنات دفنوا بالزاوية المذكورة (وأما والد الاستاذ) فهو مدفون بثغر سكندرية وعلى مقامه مايبهر الزوار من الانوار البهية ، رضى الله عنهم ونفعنا بهم

أجمعين ، وجعلنا فى سلكهم من المنتظمين ، انتهى ملخصا من الطبقات الشرنوبية ، المسماة بالانوار القدسية ، مع زيادة قليلة ، أتيت بها لنشر محاسن المآثر الجميلة ، ثم قال المنصف رضى الله عنه

وَأَرْجُوا مِنَ اللهِ الكَرِيمِ قَبُولَهُ
وَسَتْرُ عُيُوبٍ فِيهِ طَمَّتْ وَعَمَّتِ

لما فرغ رضى الله عنه مما كان بصدده من بيان أصول الطريق ، شرع يرجوا قبوله وستر عيوبه من ولى التوفيق ، فان الكريم لايخيب من ارتجى ولامن اليه التجا ، وقوله طمت بفتح المهملة وتشديد الميم أى غلبت وعمت بتشديد الميم أى شملت ولبعضهم

كرم المهيمن منتهى أملى	لانيتى أرجو ولا عملى
يا مفضلا جلت فواضله	عن بغيتى حتى انقضى أملى
كم قد أفضت على من نعم	كم قد سترت على من زللى
إن لم يكن لى ما ألوذ به	يوم الحساب فان عفوك لى

(ثم قال المصنف رضى الله عنه)

وَيَنْفَعَنَا بِالعِلْمِ ثُمَّ يُعِينُنَا بِتَوْفِيقِهِ فِى كُلِّ وَقْتٍ وَلَحْظَةِ

أى وأرجو من الله بمعنى أطلب منه أن ينفعنا بالعلم وإنما بدأ بنفسه لما ورد أنه ﷺ كان إذا دعا بدأ بنفسه ومن ذلك قوله تعالى واستغفر لذنبك و"مؤمنين والمؤمنات وذنبه ﷺ من باب حسنات الأبرار سيآت المقربين وإلا فهو ﷺ معصوم من وقوع ذنب وإنما أتى المصنف بنون العظمة فى قوله وينفعنا إشارة إلى جواز التعاظم بالعلم أى إظهار عظمته لما فى الحديث ليس منا من لم يتعاظم بالعلم أى يعده عظيما ولأن العلم أشبه شىء بالجماعة وقوله ثم يعيننا أى على القيام بحقه بتوفيقه أى خلق القدرة

على الطاعة فينا فى كل وقت من الاوقات ، ولحظة من اللحظات ، وهى الزمان اليسير بقدر ما تلحظ العين أى تنظر بلحظها ثم قال المصنف

وَيَجْعَلَ إِخْلَاصِى إِلَيْـــهِ مُحَقَّقاً
وَيَرْحَمُ شَيْبِى فِى شَتَاتِى وَغُرْبَتِى

أى وأسأله سبحانه أن يجعل إخلاصى إليه فى الاعمال محققا غير مشوب بشىء من الرياء والسمعة وأن يرحم شيبى الحاصل فى وقت شتاتى أى فرقتى عن أوطانى وغربتى أى بعدى عنها (وفى الحديث القدسى) الشيب نورى وأنا أستحى أن أحرق نورى بنارى .

ومما قيل فى مزية التغرب عن الاوطان : ـ

ارحل عن الاهل والاوطان قاطبة ... واحذر تكون عن الاهلين فى حرق
فالكحل نوع من الاحجار مطرح ... بين الحجارة مرمى على الطرق
لما تغرب حاز الفضـــل أجمعه ... وصار يحمل بين الجفن والحدق

وقال آخر : ـ

ارحل عن الاهل والاوطان قاطبة ... واحذر تكون على الاوطان ندمانا
أما ترى يوسف الصديق حين أتى ... لمصر فى غربة قد صار سلطانا

ولبعضهم وأجاد : ـ

سافر تجد عوضا عمن تفارقه ... وأنصب فان لذيذ العيش فى النصب
فالاسد لولا فراق الغاب ما اقتنصت ... والقوس لولا فراق السهم لم يصب
والتبر كالترب ملقى فى أماكنه ... والعود فى أرضه نوع من الحطب
فان تغرب هـذا عز مطلبه ... وإن تباعد هذا بيع بالذهب

وقال الطغرائى : ـ

ان العلا حدثتنى وهى صادقة ... فيما تحدث أن العز فى النقل

لوكان فى شرف المأوى بلوغ منى ... لم تبرح الشمس يوما دارة الحمل

وقال بعضهم : -

وليس بقاء المرء فى دار غربة ... مضرا إذا ما كان فى طلب المجد

(فائدة) نقل عن سيدى أحمد زروق أنه قال من كان مسافرا ودخل بلدة لا يعرف بها أحدا فانه يبادر إلى المسجد قبل أن يكلم أحدا فيصلى ركعتين ثم يقول يافتاح مائة مرة يارزاق مائة مرة يامغيث مائة مرة ياأرحم الراحمين مائة مرة ثم يصلى على النبى ﷺ مائة مرة ثم يخرج فانه يجد قبولا عظيما عند أهل هذه البلدة (وفى الحديث الشريف) لاغربة على المؤمن ما مات مؤمن بارض غربة غابت عنه فيها بواكية إلا بكت عليه فيها السماء والأرض (وروى) أن الميت فى الغربة يقاس له من مولده إلى منقطع أثره فى الجنة ثم إن بعضهم نظم الأمور التى تعجل الشيب فقال :

الشيب من سبعة يأتى الرجال ومن ... يأتى له السبع لم يأمن من الخطر

هم ودين وركوب البحر رابعها ... موت اليقين عيال عند مفتقر

قهر الرجال وقطاع الطريق حكوا ... وقيل من بلغهم يأتى بلا نكر

شاب الخليفة قالوا شبت قال لهم ... من المنابر خوف اللحن فاعتبر

وقيل للمصطفى قد شبت قال لهم ... هود وأخواتها قد صح فى الخبر

يعنى أنه ﷺ قال شيبتنى هود وأخواتها عند ما نزل قوله تعالى فيها فاستقم كما أمرت فان قوله كما أمرت يدل على أن الاستقامة تكون بحسب المعرفة فمن كملت معرفته بربه عظم عنده أمره ونهيه فاذا سمع كما أمرت علم أنه طولب باستقامة تليق بمعرفته بكما الآمر له ويحق لمن فهم ذلك يشيب اذلا يطيق أحد أن يأتى بعبادة على حسب ما يعرف من عظمة ربه بل لابد أن يستصغر جميع ما يأتى به بالنسبة إلى عظمة ربه ولذلك لما نزل قوله تعالى اتقوا الله حق تقاته قلقت الصحابة خوفا من كونهم لا يقدرون على القيام

بذلك فأنزل الله رحمة بهم فاتقوا الله ما استطعتم ثم إن أخوات هود هى السور التى ذكرت فيها أهوال القيامة كالواقعة والحاقة وسأل سائل والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت والقارعة وقد كان شيبه ﷺ قليلا لا تزيد عن عشرين شعرة وأكثره فى عنفقته وما أحكم قول الإمام الشافعى

أأنعم عيشا بعد ما حل عارضى طلائع شيب ليس يغنى خضابها
أيا بومة قد عششت فوق هامتى على الرغم منى حين طار غرابها
رأيت خراب العمر منى فزرتنى وما واك من كل الديار خرابها
إذا اصفر لون المرء وابيض رأسه تبغض من أيامه مستطابها
فدع عنك فضلات الامور فانها حرام على نفس التقى ارتكابها
وما هى إلا جيفة مستحيلة عليها كلاب همهن اجتذابها
فان تجتنبها كنت سلما لاهلها وإن تجتذبها نازعتك كلابها
فطوبى لنفس أوطنت قعر دارها مغلقة الأبواب مرخى حجابها

وما ألطف قول بعضهم :

أنذرك الشيب فخذ نصحه فانما الشيب نذير نصيح
وعلة الشيب إذا ما أعترت أعيت ولو كان المداوى المسيح

وقال آخر :

إلام تجر أذيال التصابى وشيبك قد نضى برد الشباب
لسان الشيب فى فوديك نادى با على الصوت حى على الذهاب

وأجاد القائل :

وما أقبح التفريط فى زمن الصبا فكيف به والشيب فى الرأس نازل
ترحل عن الدنيا بزاد من التقى فعمرك أيام تعد قلائل

(وقال بعضهم)

لم أقل للشباب فى دعة الله ولا حفظه غداة استقلا
زائر زارنا أقام قليلا سود الصحف بالذنوب وولى

(وقال آخر)

لقد نزل المشيب على شبابى وقال له ارتحل ها قد نزلنا
فقلت له أترحل ياشبابى وتتركنى فقال نعم عزلنا

(ثم قال المصنف رضى الله عنه)

وَيُدْرِجُنَا فِى سِلْكِ قَوْمٍ أحِبَّهُمْ
رَضُوهُ وَأرْضَاهُمْ بِحُسْنِ مَزِيَّةِ

أى وأسأله سبحانه أن يدرجنا فى سلك قوم أحبهم لكونهم من خواصه المقربين: فهو تعالى يحبهم ويحبونه أولاهم من المقام الامين قد رضوه ربا ومالكا ومتصرفا فى جميع الأحوال . فلا يعتريهم من تصرفاته فى أبدانهم ضجر ولا فيما لهم من الاموال ، ولذا قربهم لديه وأرضاهم بحسن مزية خصوا عمن سواهم ، ثم قال المصنف :

وَيَعْفُوَ عَنِّى وَالَّذِينَ أُحِبُّهُمْ وَيَدْفَعُ عَنَّا كُلَّ سُوءٍ وَفِتْنَةِ

أى وأسأله سبحانه أن يعفو عنى أن يمحو ذنوبى من ديوان الحفظة وكذلك يعفو عن الذين أحبهم وأسأله أن يدفع أى يصرف عنا كل سوء أى مكروه يسيء الانسان أى يحزنه وفتنة أى بلية وامتحان واختبار من ذلك فتنة القبر أى امتحان الميت فيه بالسؤال هل كان مطيعا أم لا

(وما ألطف قول الصفى الحلى)

تب وادع ذا الجلال بالصدق تجد الله للدعاء سميعا

لا تخف مع رجاء ربك ذنبا   إنه يغفر الذنوب جميعا

(ثم قال المصنف رضى الله عنه)

وَيَرْزُقَنَا وَالْمُسْلِمِينَ بِأَسْرِهِمْ
يَقِينًا يَقِينَا كُلَّ شَكٍّ وَرِيبَةٍ

أى وأسأله سبحانه أن يرزقنا والمسلمين بأجمعهم يقينا أى جزما مطابقا للواقع فهو عبارة عن قوة الايمان ورسوخه حتى يصير كأنه الطود الشامخ لا تزلزله الشكوك ولذا وصفه بقوله يقينا من الوقاية أى يمنع عنا كل شك وريبه والعطف مرادف فان الريبة هى الشك (قال سهل بن عبد الله التسترى) يتفاضل الناس يوم القيامة بقدر يقينهم وأدنى مراتب اليقين الثقة بالله ثم ان المصنف رضوان الله عليه ، توسل إلى الله فى إجابة دعائه أعظم الوسائل اليه ، فقال ،

بِجَاهِ نَبِيٍّ مِنْ سُلَالَةِ آدَمٍ
عَنْ خَلْفِهِ الأَمْلَاكُ وَالرُّسْلُ صَلَّتِ

أى أتوسل اليك يا الله بجاه نبى عظيم من سلالة أى نسل آدم أبى البشر وقد قال صلى الله عليه وسلم توسلوا بجاهى فان جاهى عند الله عظيم ويجوز التوسل أيضا بغير الأنبياء كالشهداء والأولياء والعلماء الصالحين ويشهد لذلك مارواه البخارى عن أنس أن عمر ابن الخطاب رضى الله عنه كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب ويقول اللهم إنا كنا نتوسل اليك بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم فتسقينا وإنا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا قال فيسقون (ومن كلام) بعض آل الصديق المجرب لدفع كل هم وضيق :

نبى الهدى ضاقت بى الحال فى الورى   وأنت بما أملت منك جدير
فسل خالق تفريج كربى فانه   على فرجى دون الأنام قدير

(ومما جرب) لدفع كل شدة . هذان البيتان فاتخذهما لك عدة .

إليك رسول الله أشكو نوائبا من الدهر لا يقوى لها المتحمل
وإنى لأرجو أنها بك تنجلى فإنك لى جاه وحصن ومعقل

(ومما جرب) لدفع الكروب قراءة هذه الأبيات . المختومة بالتوسل بسيد السادات . وقد قال السيوطى نقلا عن النووى ما قرأها أحد ثم دعا الله عقبها بشىء إلا استجيب له .

يا من يرى ما فى الضمير ويسمع أنت المعد لكل ما يتوقع
يا من يرجى للشدائد كلها يا من إليه المشتكى والمفزع
يا من خزائن رزقه فى قول كن أمنن فإن الخير عندك أجمع
مالى سوى فقرى إليك وسيلة فبالافتقار إليك فقرى أدفع
مالى سوى قرعى لبابك حيلة فلئن رددت فأى باب أقرع
ومن الذى أدعو وأهتف باسمه إن كان فضلك عن فقيرك يمنع
حاشا لجودك أن تقنط عاصيا الفضل أجزل والمواهب أوسع
بالذل قد وافيت بابك عالما أن التذلل عند بابك ينفع
وجعلت معتمدى عليك توكلا وبسطت كفى سائلا أتضرع
فبحق من أحببته وبعثته وأجبت دعوة من به يتشفع
أجعل لنا من كل ضيق مخرجا والطف بنا يا من إليك المرجع

ومن الفوائد الشريفة . قول بعضهم فى فضل الصلاة على صاحب الدرجة المنيفة .

إذا كنت فى هم وضقت بحمله وأصبحت محزونا وقلبك فى حرج
فصل على المختار من آل هاشم كثيرا فإن الله يأتيك بالفرج

(ومن الأدعية) المجابة أن تقول ، بعد أن تصلى على طه الرسول ،

يا الله ياواحد ياأحد ياواجد ياجواد نفحنا منك بنفحة خير انك على كل شيء قدير ، وقد زاد المصنف فى الاستعطاف بذكر الاوصاف التى من الله بها على حبيبه حيث قال بمن خلفه أى وراءه الاملاك جمع ملك بفتح اللام وهم أجسام نورانية لهم قدرة على التشكل لا يوصفون بذكورة ولا أنوثه ولا يأكلون ولا يشربون ، لا يعصون الله ماأمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، والرسل باسكان السين جمع رسول وهو انسان ذكر حرمن بنى آدم أوحى اليه بشرع وأمر بتبليغه كان له كتاب أولا ولذا كثرت الرسل وقلت الكتب وأما النبي فهو إنسان ذكر حرمن بنى آدم أوحى اليه بشرع أمر بتبليغه أم لا فهو أعم من الرسول على الأصح والمراد من الرسل مايعم الأنبياء وعدد الأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا الرسل منهم ثلاثمائة وثلاثه عشر وقيل وخمسة عشر يجب الإيمان بهم اجمالا وأما تفصيلا فلا الابخمسة وعشرين مجموعين فى قول بعضهم :

حتم على كل ذى التكليف معرفة ... بانبياء على التفصيل قد علموا
فى تلك حجتنا منهم ثمانية ... من بعد عشر ويبقى سبعة وهموا
إدريس هود شعيب صالح وكذا ... ذو الكفل آدم بالمختار قدختموا

وقوله صلت إلى بيت المقدس ليلة أسرى به ﷺ فان الأنبياء اجتمعت هناك لملاقاته فلما وصله وكان صحبته جبريل وميكائيل أثنى كل من الأنبياء على مولاه ، تحدثا بما أنعم به عليه وأولاه ، فقال ابراهيم الخليل الحمد لله الذى اتخذنى خليلا وقال موسى الحمد لله الذى اتخذنى كليما إلى ان قال سيد الأولين والآخرين ، الحمد لله الذى بعثنى رحمة للعالمين ، فقال له الخليل بهذا فضلتنا تقدم فأنت الأمام فصلى بهم ركعتين من النوافل لأن الصلوات الخمس لم تفرض الا ليلة الإسراء وهل حضور الأنبياء فى بيت المقدس وفى السموات بعد ذلك كان بأرواحهم وإنما تشكلت بصور أجسامهم أوكان

بالاجساد حقيقة فى ذلك خلاف فذهبت طائفة إلى الاول واستدلوا برواية أبى هريرة فلق أرواح الأنبياء وذهبت طائفة إلى الثانى واستدلوا برؤية النبى ﷺ لموسى عليه السلام قائما يصلى فى قبره وقالوا ان البرزخ ينسحب عليه بحكم الدنيا فى الاستكثار من الأعمال وزيادة الاجور لان الذى ينقطع بالموت إنما هو التكليف وأما أعمال الآخرة فهى على سبيل التلذذ بها ثم قال المصنف رضى الله عنه :

وَلَوْلَاهُ مَا كَانَتْ لِآدَمَ صُورَةٌ
وَلَا تَابَ عَنْهُ اللهُ مِنْ بَعْدِ أَكْلَةِ

أى ولولا الحبيب المحبوب الذى خلقت لاجله الأرض والسموات ما كانت لآدم صورة فى الوجود ولا لشىء من الموجودات ولذا قيل على لسانه الحضرة النبوية :

وانى وان كنت ابن آدم صورة فلى فيه معنى شاهد بأبوتى

وذلك لان آدم خلق من نوره ﷺ فان الحقيقة المحمدية هى الذات المتعينة بالتعين الأول كما يشير إلى ذلك حديث جابر حيث قال ﷺ له أول ما خلق الله نور نبيك من نوره ويلزم أن تقول ان الحقيقة المحمدية لاتحتاج إلى محل تقوم به لأنها خلقت من النور فهى من قبيل المجردات التى لاتحتاج إلى محل حتى يصح أنها أول ماخلق الله وأما أن قلنا انها تحتاج إلى محل فلا بد من سبق المحل الذى تقوم به فلا تتحقق لها الاولية كما أفاده أستاذنا السقا نقلا عن العلامة الأمير وقوله ولا تاب عنه الله أى من الذنب الصورى الذى اقترفه هو وزوجته حواء بالاكل من شجرة الحنطة بعد أن نهاهما الله عنها بقوله ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين وتسميتها شجرة مجاز لأنه الشجر ماله ساق وقيل هى شجرة العنب وإنما قلنا من الذنب الصورى لأ

لم يتعمد الأكل منها وإنما أكل ناسيا لقوله تعالى فنسى ولم نجد له عزما وفى الحقيقة أن آدم لما أطلع على اللوح المحفوظ ورأى أنه سبق فى علم الله أكله من الشجرة وعلم ما يترتب على نزوله إلى الأرض من تناسل الأنبياء والمرسلين وظهور سيد الأولين والآخرين . بادر بتنفيذ القضاء فتسمية ما فعله ذنبا بحسب الظاهر فقط لأنه وان كان منهيا ظاهراً مأمور باطنا ولذا قال بعض العارفين لوكنت بدل آدم لأكلت الشجرة بتمامها بمعنى حيث ترتب على ذلك النفع العام بظهور البدر التمام (وقد ورد) أن آدم لما اقترف الخطيئة قال يارب أسألك بحرمة محمد إلا غفرت لى فقال له يا آدم وكيف عرفت محمدا ولم أخلقه فقال يارب لما خلقتنى ونفخت فى من روحك رفعت رأسى فرأيت على قوائم العرش لا إله إلا الله محمد رسول الله فعرفت أنك لم تضف إلى إسمك إلا أحب الخلق اليك فقال الله تعالى صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق إلى وحيث سألتنى بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك ثم قال المصنف رضى الله عنه .

فَفِى فَضْلِهِ الْقُرْآنُ جَاءَ مُبَيِّناً

وَنَاهِيكَ قَوْلُ اللهِ مِنْ غَيْرِ خِلْقَةِ

أى فى فضل رسول الله ﷺ وبيان عظيم قدره جاء القرآن الكريم حال كونه مبينا أى موضح الدلالة على ذلك قال تعالى يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا . وداعيا إلى الله باذنه وسراجا منيرا . إلى غير ذلك من الآيات المشعرة بما لجنابه المنيف من على الدرجات فهو سيد الأولين والآخرين . وأفضل الخلائق أجمعين . كما قال اللقانى فى جوهرته :

وأفضل الخلق على الاطلاق   نبينا فمل عن الشقاق
والانبيا يلونه فى الفضل   وبعدهم ملائكة ذو فضل

(وما ألطف قول الإمام البوصيرى)

دع ما ادعته النصارى فى نبيهم ... واحكم بماشئت مدحا فية واحتكم
وانسب إلى ذاته ماشئت من شرف ... وانسب إلى قدره ماشئت من عظم
فان فضـــل رسول الله ليس له ... حد فيعرب عنه ناطق بفم

(وحكى) أنه رؤى ابن الفارض فى المنام فقيل له لم لم تمدح النبى صلى الله عليه وسلم فقال :

أرى كل مدح فى النبى مقصرا ... وان بالغ المثنى عليه وأكثرا
اذ الله أثنى بالذى هو أهله ... عليه فما مقدار ما تمدح الورى

ولذا قال المصنف وناهيك أى كافيك عن طلب غيره دليلا على فضله قول الله العلى العظيم . الذى أنزل عليه من غير خلقة بل هو كلام القديم . ثم قال رضى الله عنه :

وَمَنْ قَالَ مَخْلُوقٌ كَلَامُ . إلهنَا
سَيَصْلَى سَعِيراً لِلْعُصَاةِ أعِدَّتِ

أى ومن قال ان القرآن الذى هو كلام الله تعالى مخلوق فانه سيصلى أى يدخل يوم القيامة سعيراً وهى طبقة من طبقات النار أعدت أى هيئت للعصاة بل هو قال :

كَلَامٌ قَدِيمٌ مُنَزَّلٌ غَيْرُ مُحْدَثٍ
بِهِ جَاءَ جِبْرِيل عَلَى خَيْرِ أُمَّةِ

أى بل هو كلام الله القديم . المنزل على نبيه العظيم . به جاء أى نزل جبريل على أى لأجل خير أمة وهى أمة محمد ﷺ حبيب الرحمن ومجتباه . المنزل فى شأنها كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون

عن المنكر وتؤمنون بالله . وقد أنزل القرآن من اللوح المحفوظ جملة واحدة إلى السماء الدنيا فى ليلة القدر كما قال تعالى إنا أنزلناه فى ليلة القدر ثم نزل به جبريل مفرقا على حسب الوقائع فى ثلاث وعشرين سنة (وقدروى) فى كيفية نزول القرآن أن الله تعالى إذا أراد انزال سورة أو آية نظر بصفة العلم فى قلب جبريل عليه السلام فحصل فيه علم ضرورى ثم نظر بصفة الكلام ففتق لسانه عليه السلام على ألفاظ القرآن مع النظم فانزله على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فالنظم له فى الحقيقة هو الله تعالى حيث فتق بلسان جبريل (قال الإمام الشعرانى) فى كتابه القواعد الكشفية واعلم ياأخى أن مسئلة كيفية كلام الله تعالى والكلام على حدوثه وقدمه من عضال المسائل وقد حصل بسببها ضرب وقتل لبعض الائمة فلنذكر لك أحسن ما رأيناه من كلام المتكلمين ثم مارأيناه من كلام العارفين فنقول وبالله التوفيق اعلم إن القرآن يطلق بالاشتراك على معنيين كما قال الكمال ابن أبى شريف أحدهما الكلام القائم بالذات الأقدس الثانى اللفظ المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ثم ان القرآن بالمعنى الاول محل نظر علماء أصول الدين وبالمعنى الثانى محل نظر علماء العربية والفقة ووجه الإضافة فى تسمية كلام الله تعالى بالمعنى الأول أنه صفة الله تعالى وبالمعنى الثانى أنه أنشاه برقومه فى اللوح المحفوظ لقوله تعالى بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ أو بحروفه فى لسان الملك لقوله تعالى إنه لقول رسول كريم ثم قال وقد منع السلف الصالح القول بكون القرآن مخلوقا بالمعنى الثانى أدبا واحترازا عن ذهاب الوهم إلى القرآن بالمعنى الأول الذى هو كلام الله النفسى القائم بذاته تعالى وقال الإمام ابن العربى فى الباب التاسع والستين وثلاثمائة المراد بقوله تعالى ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث أنه محدث الاتيان لهم لا الوجود فهو قديم فى العين حادث فى الاتيان ثم قال ومما يدلك على أن الكلام لله والترجمة للمتكلم قوله تعالى مقسما إنه يعنى القرآن لقول رسول كريم فاضاف الكلام إلى

الواسطة والمترجم كما أضافه تعالى إلى نفسه بقوله فأجره حتى يسمع كلام الله فاذا تلى علينا القرآن فقد سمعنا كلام الله وموسى عليه السلام لما كلمه ربه سمع كلام الله ولكن بين السماعين . أبعد من المشرقين . لان الذى يدركه من سمع كلام الله بلا واسطه لا يساويه من يسمعه بالواسطة وقال فى باب الأسرار ذكر القرآن أمان ، وبه يجب الإيمان انه كلام الرحمن ، مع تقطع حروفه فى اللسان ، ونظم حروفه فيما رقم باليراع والبنان ، لحديث الألواح والاقلام ، وما حدث الكلام ، وحكم على العقول والاوهام ، بما عجزت عن إدراكه الأفهام ، وقال فيه أيضا الذكر القديم ذكر الحق ، وإن حكى ما نطق به الخلق ، كما أن ذكر الحادث ما نطق به الخلق وإن كان كلام الحق إذا كان الحق تعالى يتكلم على لسان عبده فالذكر قديم ؟ ومزاجه بالعبد من تسنيم ، لا يعرف الحق فى هذه المسئلة الا من كان الحق قواه ، ولا يدرى قواه إلا ان أيده وقواه ، ثم قال فان قال قائل فهل كان يجوز لرسول الله ﷺ أن يتصرف فيما أنزل عليه بعبارة أخرى نظير جواز رواية الحديث بالمعنى للعارف فالجواب لا يجوز لاحد أن يعتقد أن رسول الله ﷺ تصرف فى اللفظ المنزل عليه أو أنه رواه بالمعنى لأنه لوصح فى حقه ذلك لكان مبينا لنا صورة فهمه ﷺ لا صورة ما نزل عليه وقد قال تعالى لتبين للناس ما نزل اليهم وقال تعالى ياأيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك اه باختصار (واعلم) أن كلام الله تعالى لا يكيف كسائر صفاته من علم وارادة وقدرة حتى لو سئل موسى عليه السلام كيف سمعت كلام ربك لا يقدر على إيصال علم كيفية ذلك الينا بعبارة لانه من جملة علوم الأذواق كما لو قلت لمن ذاق طعم العسل دونك صف لى طعمه فانه لا يقدر على ايصال صورة ذوقه لك فى عبارة فافهم ذلك والله يتولى هداك ،

(ثم اعلم) أن القرآن إنما نزل مفرقا ولم ينزل جملة كغيره من الكتب

لأن إنزاله كذلك فيه تثبيت لقلب من أنزل عليه وعناية لاستلزامه كثرة نزول الملك اليه وجميع الكتب التى أنزلت من السماء مائة وأربعة منها خمسون صحيفة على شيث وثلاثون على إدريس وعشرة على إبراهيم وعشرة على موسى قبل التوراة وتوراة موسى وانجيل عيسى وزبور داود وفرقان سيدنا محمد ﷺ وعليهم أجمعين وإنما سمى فرقانا لكونه فارقا بين الحق والباطل كما أنه سمى قرآنا من القرء بفتح القاف وهو الجمع لجمعه معانى الكتب السماوية جميعها وقد جمعه أبو بكر رضى الله عنه باشارة عمر ثم جمعه ثانيا عثمان رضى الله عنه باجماع الصحابة والفرق بين جمع أبى بكر وجمع عثمان أن جمع أبى بكر كان لخشية أن يذهب من القرآن شىء بذهاب حملته لانه لم يكن مجموعا فى موضع واحد فى زمنه ﷺ لتردد الوحى بالناسخ والمنسوخ وإنما كان بعض الصحابة يحفظ سورة والبعض سورا والبعض آيات ويكتبون ذلك فى أوراق أو على عسيب النخل أو نحو ذلك فجمعه أبو بكر فى صحائف مرتبا لآياته وسوره على ما وقفهم عليه النبى ﷺ فلا تتوهم من قول بعضهم ،

مخلف طه سبحتان ومصحف

أن القرآن كان مجموعا فى مصحف واحد على عهده ﷺ وإنما المراد بعض آيات كانت مكتوبة أطلق عليها اسم المصحف مجازا وأما جمع عثمان فكان لما كثر الاختلاف فى وجوه القرآن من أهل العراق والشام حين قرؤه بلغاتهم على اتساع اللغات فأدى ذلك بعضهم إلى تخطئة بعض فخشى من تفاقم الأمر واختلافهم فيه كما أختلفت اليهودى والنصارى فى كتبهم فنسخ تلك الصحف فى مصحف واقتصر من سائر اللغات على لغة قريش نظرا لكونه نزل بلغتهم وكان قد وسع فى قراءته بلغة غيرهم دفعا للحرج والمشقة فى ابتداء الامر فرأى أن الحاجة إلى ذلك قد انتهت واقتصر على لغة واحدة فكان التأليف للآيات والسور بالتوقيف فى الزمن النبوى والجمع فى الصحف فى زمن الصديق

والنسخ فى المصاحف فى زمن عثمان والمشهور أن عدة المصاحف التى أرسلها إلى الآفاق خمسة وقيل سبعة وأمر بحرق ما عداها من الصحف فأرسل مصحفا إلى مكة ومصحفا إلى الشام ومصحفا إلى اليمن ومصحفا إلى البحرين ومصحفا إلى الكوفة وأمسك مصحفا بالمدينة وحفظ الله من الاختلاف كتابه المكنون كما قال تعالى إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون وقد كانت الكتابة فى المصاحف العثمانية وغيرها وكتب الحديث بالخط المسمى بالكوفى واستمرت على ذلك مدة تقرب من ثلاثة قرون إلى أن جاء ابن مقلة فى أواخر القرن الثالث وحولها الى هذه الطريقة المعروفة وحاز بذلك فضيلة السبق ثم جاء بعده على ابن هلال الكاتب البغدادى وهذبها وكانت المصاحف بدون شكل لان العرب لا تلحن بطبعها فلا يلتبس عليها المرفوع مثلا بالمنصوب والمجرور حتى تحتاج للشكل الذى يميزه ولكن لما كثرت الفتوح واختلطت العرب بالعجم وتغيرت ألسنتهم وسمع أبو الأسود الدؤلى من يقرأ أن الله برىء من المشركين ورسوله بكسر اللام بادر بوضع قواعد من علم العربية كان أخذها عن الإمام على كرم الله وجهه وشكل الكتاب العزيز بالحركات الثلاث والتنوين وأما بقية الشكل كالشدة والمدة والقطعة فمن عمل الحجاج (ثم اعلم) أنه قد ورد فى فضل القرآن أحاديث كثيرة (منها) قوله ﷺ ما من شفيع أفضل منزلة عند الله تعالى من القرآن لا نبى ولا ملك (ومنها) قوله ﷺ خيركم من تعلم القرآن وعلمه (ومنها) قوله ﷺ أفضل عبادة أمتى تلاوة القرآن (ومنها) قوله ﷺ من قرأ القرآن ثم رأى أن أحدا أوتى أفضل مما أوتى فقد استصغر ما عظمه الله تعالى (ومنها) قوله ﷺ إن القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد قيل وما جلاؤها يارسول الله قال تلاوة القرآن وذكر الموت (فائدة) قال الدميرى من كتب هذه الآيات ووضعها فى متاع أو غيره حفظ باذن الله تعالى ومن حملها معه حفظ باذن الله ولم يرفى نفسه ولا عياله مكروها

وإذا علقت على صبي حفظ من القرائن والتوابع وأم الصبيان ونشأ منشأ صالحا قال وحيث وصلت اليك هذه الذخيرة فعض عليها بالنواجذ فنافعها كثيرة وهى ذلك تقدير العزيز العليم وعلى الله فليتوكل المؤمنون ولاتحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون وإن تعدوا نعمة الله لاتحصوها وقضى ربك أن لاتعبدوا إلا إياه تنزيلا ممن خلق الأرض والسموات العلى الرحمن على العرش استوى يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين وفى السماء رزقكم وما توعدون (وقال أيضا) ومما جرب لاذهاب الخوف والهم والغم أن يكتب هاتين الآيتين ويحملهما فان الله تعالى يبارك له فى جميع أحواله وينصره على أعدائه وهما قوله تعالى ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا إلى قوله عليم بذات الصدور وقوله تعالى محمد رسول الله إلى آخر سورة الفتح قال وهما ينفعان أيضا الأمراض الباطنة والظاهرة التى تحدث فى البدن كالدمامل والقروح والنفخ والحرارة ونحو ذلك فيكتب الآيتين فى إناء نظيف ويمحو بدهن ورد أو زيت طيب أو شيرج ويطلى بهذلك فانه يبرأ قال وهمامن الاسرار المخزونه

(ومن اللطائف) ان بعض الأكابر كان يلتزم التكلم بالقرآن ، خوفا من الوقوع فيما يغضب الرحمن فمن ذلك ماحكى ان عبد الله بن المبارك قال خرجت حاجا إلى بيت الله الحرام ، وزيارة النبي عليه الصلاة والسلام ، فبينما أنا فى فى بعض الطريق وإذا بسواد على الطريق فتميزته فاذا عجوز عليها درع من صوف وخمار من صوف فقلت السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقالت سلام قولا من رب رحيم فقلت لها يرحمك الله ما تصنعين فى هذا المكان فقالت من يضلل الله فلا هادى له فعلمت انها ضالة عن الطريق فقلت لها أين تريدين فقالت سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى فعلمت أنها قد قضت حجها وهى تريد بيت المقدس فقلت

لها كم لك فى هذا الموضوع فقالت ثلاث ليال سويا فقلت لها ما أرى معك
طعاما تأكلين منه فقالت هو يطعمنى ويسقين فقلت فبأى شىء تتوضئين
فقالت فان لم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فقلت لها ان معى طعاما فهل
لك فى الاكل فقالت ثم أتموا الصيام إلى الليل فقلت ليس هذا أشهر
صيام رمضان فقالت ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم فقلت قد أبيح
لنا الإفطار فى السفر فقالت وأن تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون فقلت
لم لا تكلمينى مثل ما أكلمك فقالت ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد
فقلت فمن أى الناس أنت فقالت ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع
والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا فقلت قد أخطأت فاجعلينى فى
حل فقالت لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم فقلت فهل لك أن أحملك
على ناقتى هذه فتدركى القـــافلة فقالت وما تفعلوا من خير يعلمه الله قال
فانختها فقالت قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم فغضضت بصرى عنها وقلت
لها أركبى فلما أرادت أن تركب نفرت الناقة فمزقت ثيابها فقالت وما أصابكم من
مصيبة فبما كسبت أيديكم قالت لها اصبرى حتى أعقلها فقالـ ففهمناها سليمان
فعقلت الناقة وقلت لها أركبى فلما ركبت قالت سبحان الذى سخر لنا هذا
وما كناله مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون قال فأخذت بزمام الناقة وجعلت
أسعى وأصيح فقالت واقصد فى مشيك واغضض من صوتك فجعلت أمشى
رويدا رويدا وأترنم بالشعر فقالت فاقرؤا ما تيسر من القرآن فقلت لها
ألك زوج فقالت يا أيها الذين آمنوا لا تسئلوا عن أشياء إن تبدلكم
تسؤكم فسكت ولم اكلمها حتى أدركت بها القافلة فقلت لها هذه القافلة فمن لك فيها
فقالت المـال والبنون زينة الحيوة الدنيا فعلمت أن لها أولادا فقلت وما
شأنهم فى الحج فقالت وعلامات وبالنجم هم يهتدون فعلمت أنهم أدلاء
الركب فقصدت بهـا الخيام وقلت هذه الخيام فمن لك فيها فقالت واتخذ

الله ابراهيم خليلا وكلم الله موسى تكليما يايحيى خذ الكتاب بقوة فناديت يا إبرهيم ياموسى يايحى فاذا أنا بشبان كانهم الأقمار قد أقبلوا فلما استقر بهم الجلوس قالت فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاما فليأتكم برزق منه فمضى أحدهم فاشترى طعاما فقدموه بين يدى فقالت كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم فى الأيام الخالية فقلت الآن طعامكم على حرام حتى تخبرونى بامرها فقالوا هذه أمنالها منذ أربعين سنة لم تتكلم إلا بالقرآن ، مخافة أن تزل فيسخط عليها الرحمن ، فقلت ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم غير أنه لا ينبغى التكلم بالقرآن إذا خرج عن حده كما يحصل من بعض أفراد طلبة العلم وفقهاء الأرياف ثم أن المصنف رضى الله عنه صرح باسم من به توسل ونعته الذى فاق به غيره من الرسل الكمل فقال

مُحَمَّدٌ المَبْعُوثِ لِلْخَلْقِ رَحْمَةً

ودَعْوَتُهُ فِيمَا سِوَى اللهِ عَمَّتِ

أى أن الذى توسلت بجاهه هو سيدنا محمد الذى حمده أهل السماء والارض ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانه بن خزيمة بن مدركه بن الياس بن مضر بن نزار بن معدن بن عدنان واتفق النسابون على صحة النسب إلى عدنان وأما فوقه ففيه نزاع وأمه ﷺ آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة الخ وقوله المبعوث أى المرسل للخلق كافة لا فرق بين العرب والعجم ولا بين الانس والجن قال تعالى قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا وإذا قيل ان لفظ الناس لا يشتمل الجن على بعض الأقوال فنقول دليل ارساله للجن قوله تعالى قل اوحى إلى انه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدى إلى الرشيد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا وهم مكلفلون من حين الخلقة وأما ارساله ﷺ

للملائكة فأرسال تشريف لا تكليف لانهم معصومون من المخالفة كما قال تعالى فى حقهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وفى الحقيقة هو الرسول الأعظم لجميع الناس والانبيـــاء السابقون نواب عنه كما قال الإمام البوصيرى :

كأنه شمس فضل هم كواكبها يظهرون أنوارها للناس فى الظلم

فشرعه ﷺ قد نسخ جميع الشرائع السابقة عليه كما قال اللقانى

ونسخه لشرع غيره وقع حتما أذل الله من له منع

(وفى الحديث الشريف) لو جئت فى زمن موسى ما وسعه إلا إتباعى وكانت بعثته ﷺ رحمة للخلق كلهم مؤمنهم وكافرهم بالهداية للمؤمن تأخير العذاب عن الكافر قال تعالى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم (وفى الحديث الشريف) إنما أنا رحمة مهداة (وورد) أنه ﷺ قال لجبريل هل أصابك من هذه الرحمة شىء فقال كنت أخشى العاقبة فآمنت وقد أكد المصنف تعمم بعثته للخلق بقوله ودعوته فيما سوى الله عمت أى ودعوته الناس للاسلام عمت وفشت فيما سوى الله تعالى ومعلوم أن ماسوى الله اسم لجميع العوالم من أنس وجن وملك بل قيل أن بعثته عمت الحيوانات ، [illegible] بدليل شهادة الضب له ﷺ بالرسالة وإجابة الشجر دعوته وتسبيح الحصى فى يده وقد توفى ﷺ عن مائة ألف وأربعة وعشرين ألفا من الصحابة رضوان الله علهم أجمعين وجعلنا من التابعين لهم باحسان إلى يوم الدين ولما كان نبينا ﷺ هو الواسطة العظمى فى نعمة كل إنسان وجب علينا مدحه والثناء عليه لقوله تعالى هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ولكن لعلمى بقصور باعى عن مدح هذا الجناب المنيف وعجز يراعى عن رقم ما يليق بمنصبة الشريف استحسنت أن أزين كتابى بما نمقه سلطان العاشقين للحضرة المحمدية سيدى محمد البوصيرى فى قصيدته اللامية حبا فى نشر محاسن الحبيب المحبوب ورجاء

أن أنال بذلك منه كل مطلوب ومرغوب فانها اشتملت على غرر الخصائص الشريفة التى تزرى بقلائد العقيان واحتوت على المعجزات المنيفة التى يشنف بها سمع المحبين لإنسان عين كل إنسان وقد ابتدأها بجملة من التصوف ترشد المريد إلى سلوك سبيل الرشاد . فقال رضى الله عنه موفيا بالمراد .

إلى متى أنت باللذات مشغول ... وأنت عن كل ما قدمت مسئول
فى كل يوم ترجى أن تتوب غدا ... وعقد عزمك بالتسويف محلول
أما يرى لك فيما سر من عمل ... يوما نشاط وعما ساء تكسيل
فجرد العزم إن الموت صارمه ... مجرد بيد الآمال مسلول
واقطع حبال أمانيك التى اتصلت ... فانما حبلها بالزور موصول
أنفقت عمرك فى مال تحصله ... وما على غير اثم منه محصول
ورحت تعمر دارا لابقاء لها ... وأنت عنها وإن عمرت منقول
جاء النذير فشمر للمسير بلا ... مهل فليس مع الإنذار تمهيل
وصن مشيبك عن فعل تشان به ... فكل ذى صبوة بالشيب معذول
لاتنكرنه وفى الفودين قد طلعت ... منه الثريا وفوق الرأس اكليل
فان أرواحنا مثل النجوم لها ... من المنية تسيير وترحيل
وإن طالعها منا وغاربها ... جيل يمر ويأتى بعده جيل
حتى إذا بعث الله العباد إلى ... يوم به الحكم بين الخلق مفصول
تبين الربح والخسران فى أمم ... تخالفت بيننا منها الأقاويل
فأخسر الناس من كانت عقيدته ... فى طيها لنشور الخلق تعطيل
وأمة تعبد الأوثان قد نصبت ... لها التصاوير يوما والتماثيل
وأمة ذهبت للعجل عابدة ... فنالها من عذاب الله تعجيل
وأمة زعمت أن المسيح لها ... رب غدا وهو مصلوب ومقتول
فثلثت واحدا فردا نوحده ... وللبصائر كالأبصار تخييل

تبارك الله عما قال جاحده ... وجاحد الحق عند النصر مخذول
والفوز فى أمة ضوء الوضوء لها ... قد زانها غرر منه وتحجيل
تظل تتلو كتاب الله ليس به ... كسائر الكتب تحريف وتبديل
فالكتب والرسل من عند الإله أتت ... ومنهمو فاضل حقا ومفضول
والمصطفى خير خلق الله كلهم ... له على الرسل ترجيح وتفضيل
محمـــد حجة الله التى ظهرت ... بسنة مالها فى الخلق تحويل
نجل الاكارم والقوم الذين لهم ... على جميع الانام الطول والطول
من كمل الله معناه وصورته ... فلم يفته مدى الحالين تكميل
وخصه بوقار منـــه قر له ... فى أنفس الخلق تعظيم وتبجيل
بادى السكينة فى سخط له ورضا ... فلم يزل وهو مرهوب ومأمول
يقابل البشر منه بالندى خلق ... زاك على العدل والاحسان مجهول
من آدم ولحين الوضع جوهره الـــمكنون فى أنفس الأصداف محمول
فللنبوة إتمـــام ومبتدأ ... به وللفخر تعجيل وتأجيل
أتت إلى الناس من آياته جمل ... أعيت على الناس منهن التفاصيل
أنبا سطيح وشق وابن ذى يزن ... عنه وقس وأحبار مقاويل
وعنه أنبأ موسى والمسيح وقد ... أصغت حواريه الغر البهاليل
بأنه خاتم الرسل المباح له ... من الغنائم تقسيم وتنفيل
وليس أعدل منه الشاهدون له ... ولا بأعلم منه إن همو سيلوا
وإن سألتهمو عنه فلا حرج ... إن المحك عن الدنيار مسئول
كم آية ظهرت فى حين مولده ... به البشائر منها والتهاويل
علوم غيب فلا الارصاد حاكمة ... ولا التقاويم فيها والتحاويل
إذ الهواتف والانوار شاهدها ... لدى المسامع والأبصار مقبول
ونار فارس أضحت وهى خامدة ... ونهرهم جامد والصرح مثلول

ومذ هدانا إلى الإسلام مبعثه   دهى الشياطين والاصنام تجديل
وانظر سماء غدت مملوءة حرسا   كأنها البيت لما جاءه الفيل
فردت الجن عن سمع ملائكة   إذ ردت البشر الطير الأبابيل
كل غدا وله من جنسه رصد   للجن شهب وللإنسان سجيل
لولا نبي الهدى ما كان في فلك   على الشياطين للاملاك توكيل
لما تولت تولى كل مسترق   عن مقعد السمع منها وهو معزول
إن رمت أكبر آيات وأكملها   كفاك من محكم القرآن تنزيل
وانظر فليس كمثل الله من أحد   ولا كقول أتى من عنده قيل
لو يستطاع له مثل لجيء به   والمستطاع من الأعمال مفعول
لله كم ألجمت أفهامنا حكم   منه وكم أعجز الالباب تاويل
يهدى إلى كل رشد حين يبعثه   إلى المسامع ترتيب وترتيل
تزداد منه على ترداده مقة   وكل قول على الترداد مملول
وربما مجه قلب به ريب   كما يمج دواء الداء معلول
ما بعـــد آياته حق لمتبع   والحق ما بعده إلا الأباطيل
وما محمد إلا رحمة بعثت   للعالمين وفضل الله مبذول
هو الشفيع إذا كان المعاد غدا   واشتد للحشر تخويف وتهويل
فما على غيره للناس معتمد   ولا على غيره للناس تعويل
ان امرأ شملته من شفاعته   عناية لامرىء بالفوز مشمول
نال المقام الذى ما ناله أحد   وطالما ميز المقدار تنويل
وأدرك السؤل لما قام مجتهدا   وما بكل اجتهاد يدرك السول
لو أن كل علا بالسعي مكتسب   ما جاز حين نزول الوحي تزميل
أعلى المراتب عند الله رتبته   فاعلم فما موضع المحبوب مجهول
من قاب قوسين أو أدنى له نزل   وحق منه له مثوى وتحليل

سرى إلى المسجد الأقصى وعاد به ليلا براق يبارى البرق هذلول
يا حبذا حين قرب لا أكيفه وحبذا حال وصل عنه مغفول
وكم مواهب لم تدر العباد بها أتت اليه وستر الليل مسدول
هذا هو الفضل لا الدنيا وما رجحت به الموازين منها والمكاييل
وكم أتت عن رسول الله بينة فى فضلها وافق المنقول معقول
* نور فليس له فىء يرى وله من الغمامة أنى سار تظليل
ولا يرى فى الثرى أثر لا خمصه إذا مشى وله فى الصخر توحيل
دنا اليه حنين الجذع من شغف إذ نال له منه بعد القرب تزييل
فليت من وجهه حظى مقابلة وليت حظى من كفيه تقبيل
بيض ميامين يستسقى الغمام بها للشمس منها والانواء تخجيل
ما إن يزال بها فى كل نازلة القل كثر وللتصعيب تسهيل
فاعجب لأعمالها إن كنت مدركها واطرب إذا ذكرت تلك الأقاويل
كم عاود البرء من أعلاله جسداً بلمسه واستبان العقل مخبول
ورد ألفين فى رى وفى شبع اذ ضاق باثنين مشروب ومأكول
ورد ماء ونورا بعد ما ذهبا ريق له بكلا العينين متفول
ومنبع الماء عذبا من أصابعه وذاك صنع به فينا جرى النيل
وكم دعا وحبا الأرض مكتئب ثم انثنى وله بشر وتهليل
فأصبح المحل فيها لا محل له وعال ذكر الفلا من خصبها غول
فبالظراب ضرب للغمام كما عن البناء عزالها معازيل
وآض من روضها جيد الوجود به من لؤلؤ النور ترصيع وتكليل
وعسكر لجب قد لج فى طلب لغزوه غره بأس وترعيل
دعا نزال فولى والبوار به من الصبا والحصى والرعب منزول
واغيرنا حين أضحى الغار وهو به كمثل قلبى معمور ومأهول

كأنما المصطفى فيه وصاحبه الصديق ... ليثان قد آواهما غيل
وجلل الغار نسج العنكبوت على ... وهن فيا حبذا نسج وتجليل
عناية ضل كيد المشركين بها ... وما مكايدهم الا الأضاليل
اذ ينظرون وهم لا يبصرونهما ... كأن أبصارهم من زيغها حول
أن يقطع الله عنه أمة سفهت ... نفوسها فلها بالكفر تعليل
فانما الرسل والأملاك شافعها ... لوصلة منه تسآل وتطفيل
ما عذر من منع التصديق منطقه ... وقد نبا عنه محسوس ومعقول
والذئب والعير والمولود صدقه ... والظبي أفصح نطقا وهو محبول
والبدر بادر منشقا بدعوته ... له كما شق جيب وهو مبتول
والنخل أثمر فى عام وصربه ... سلمان اذ بسقت منه العثاكيل
أن أنكرته النصارى واليهود على ... ما بينت منه توراة وانجيل
فقد تكرر منهم فى جحودهم ... للكفر كفر وللتجهيل تجهيل
قل للنصارى الأولى ساءت مقالتها ... فما لها غير محض الجهل تعليل
من اليهود استفدتم ذا الجحود كما ... من الغراب استفاد الدفن قابيل
فان عند كو توراتهم صدقت ... ولم تصدق لكم منهم أناجيل
ظلمتمونا فأضحوا ظالمين لكم ... وذاك مثل قصاص فيه تعديل
منكم لنا ولكم من بعضكم شغل ... والناس بالناس فى الدنيا مشاغيل
لقد علمتم ولكن صدكم حسد ... أنا بما جاءنا قوم مقابيل
أما عرفتم نبي الله معرفة الأبناء ... لكنكم قوم مناكيل
هذا الذى كنتمو تستفتحون به ... لولا اهتدى منكمو للرشد ضليل
فلا ترجوا جزيل الأجر من عمل ... ان الرجاء من الكفار مخذول
تؤذنون بزق من جهالتكم ... به انتفاخ وجسم فيه ترهيل
موتوا بغيظ كما قد مات قبلكمو ... قابيل اذ قرب القربان هابيل
يا خير من رويت للناس مكرمة ... عنه وفصل تحريم وتحليل

كم قد أتت عنك أخبار مخبرة ... فى حسنها أشبه التفريع تأصيل
تسرى إلى النفس منها كلما وردت ... أنفاس ورد سرت والورد مطلول
من كل لفظ بليغ راق جوهره ... كأنه السيف ماض وهو مصقول
لم تبق ذكرا لذى نطق فصاحته ... وهل تضىء مع الشمس القناديل
جاهدت فى الله أبطال الضلال إلى ... أن ظل للشرك بالتوحيد تظليل
شكا حسامك ما تشكو جموعهم ... ففيه منها وفيها منه تفليل
لله يوم حنين حين كان به ... كساعة البعث تهويل وتطويل
ويوم أقبلت الأحزاب وانهزمت ... وكم خبا لهب بالشرك مشعول
جاؤا بأسلحة لم تحم حاملها ... إن الكماة إذا لم ينصر واميل
من بعد مازلزلت بالشرك أبنية ... وأنبت حبل بأيدى الريب مفتول
وظن كل امرىء فى قلبه مرض ... بان موعده بالنصر مطول
فأنزل الله أملاكا مسومة ... لبوسها من سكينات سرابيل
شاكى السلاح فما تشكو الكلال ومن ... صنع الإله لها نسج وتأثيل
من كل موضونة خضراء سابغة ... ترد حد المنايا وهو مفلول
وكل أبتر للحق المبين به ... وللضلالة تعديل وتمييل
لم تبق للشرك من قلب ولا سبب ... إلا غدا وهو متبول ومبتول
ويوم بدر إذ الإسلام قد طلعت ... به بدور لها بالنصر تكميل
سيئت بما سرنا الكفار منه وقد ... أفنى سراتهم أسر وتقتيل
كأنما هو عرس فيه قد جليت ... على الظبا والقنا روس مفاصيل
والخيل ترقص زهوا بالكماة وما ... غير السيوف بأيديها مناديل
ولا مهور سوى الأرواح تقبلها ... بيض البهاتير والسمر العطابيل
ولو ترى كل وصل من كماتهم ... مفصلا وهو مكفوف ومشلول
كأحرف أشكلت خطا فأكثرها ... بالطعن والضرب منقوط ومشكول
وكل بيت حكى بيت العروض له ... بالبيض والسمر تقطيع وتفصيل

وداخلت بالردى أجزاءهم علل ... غدا المرقل منها وهو مجزول
وكل ذى ترة تغلى مراجله ... غدا يقاد ذليلا وهو مغلول
وكل جرح بجسم يستهل دما ... كأنه مبدم بالراح معلول
وعاطل من سلاح قد غدا وله ... أساور من حديد أو خلاخيل
والأرض من جثث القتلى مجللة ... وللترب من أدمع الأحياء مبلول
غصت قلوب كما غص القليب بهم ... فللاسى فيهمو والنار تأكيل
وأصبح البئر إذ أهل البوار به ... مثل الوطيس به خرر رعابيل
وأصبحت أيمات محصنا تهمو ... وأمها تهمو وهى المثاكيل
لا تمسك الدمع من حزن عيونهمو ... إلا كما يمسك الماء الغرابيل
وصار فقرهمو للمسلمين غنى ... وفى المصائب تفويت وتحصيل
ورد أوجههم سودا وأعينهم ... بيضا من الله تنكيل وتشكيل
سالت وسالت عيون منهموا مثلا ... كأنما كلها بالشوك مسمول
أبغض بها مقلا قد أشبهت لبنا ... طافا الذباب عليه وهو مقول
ويوم عم قلوب المسلمين أسا ... بفقد عمك والمفقود مجذول
ونال أحدى الثنايا الكسر فى أحد ... وجاء يجبر منها الكسر جبريل
وفى مواطن شتى كم أتاك بها ... نصر من الله مضمون ومأمول
وملكت يدك اليمنى ملائكة ... غر كرام وأبطال بها ليل
يسارعون إذا ناديتهم لوغى ... إن الكرام إذا نودوا هذا ليل
من كل نضو نحول ما يزال به ... إلى المكارم جد وهو مهزول
بنانه بدم الأقران مختضب ... وطرفه بسنا الإيمان مكحول
آل النبي بمن أو ما أشبهكم ... لقد تعذر تشبيه وتمثيل
وهل سبيل إلى مدح يكون به ... لأهل بيت رسول الله تأهيل
ياقوم بايعتكم أن لا شبيه لهم ... من الورى فاستقيلوا البيع أو قولوا
جاءت على تلو آيات النبي لهم ... دلائل هى للتاريخ تذييل

معاشر مارضوا انى لمبتهج   بهم وما سخطوا إنى لمشكول
وإن من باع فى الدنيا محبتهم   ببغضة الله فى الآخرى لمرذول
وحسب من نكلت عنهم خواطره   إن مات أو عاش تنكيل وتشكيل
إن المودة فى قربى النبى غنى   لا يستميل فؤادى عنه تمويل
وكم لاصحابه الغر الكرام يد   عند الإله لما فى الفضل تخويل
قوم لهم فى الوغى من خوف ربهم   حسن ابتلاء وفى الطاعات تبتيل
كأنهم فى محاريب ملائكة   وفى حروب أعاديهم رآبيل
حكى العباءة قلبى حين كان بها   الآل تغطية والصحب تخليل
ولى فؤاد ونطق بالوداد لهم   وبالمدائح مشغوف ومشغول
فان ظننت بهم ختلا لبعضهم   انى إذا بغرور النفس مخبول
أئمة الدين كل فى محاولة   إلى صواب اجتهاد منه موكول
ليقضى الله أمرا كان قدره   وكل ما قدر الرحمن مفعول
حتى إذا ما منحت المصطفى مدحى   فى الحشر تزكية منه وتعديل
مدح به ثقلت ميزان قائله   وخف عنه من الاوزار تثقيل
وكيف تأبى جنى اوصافه همم   يروقها من قطوف العز تذليل
وليس يدرك أدنى وصفه بشر   أيقطع الأرض ساع وهو مكبول
كل البلاغة عى فى مناقبه   إذا تفكرت والتكثير تقليل
لو أجمع الخلق أن يحصوا مناقبه   أعيتهمو جملة منها وتفصيل
عذرا اليك رسول الله من كلمى   ان الكريم لديه العذر مقبول
ان لم يكن منطق فى طيه عسل   فانه بمديح منك معسول
هاحلة بخلال منك قد رقت   مافى محاسنها للعيب تخليل
جاءت بحى وتصديق اليك وما   حى مشوب ولا التصديق مدخول
ألبستها منك حسنا فازدهت شرفا   بها الخواطر حقا والمناويل

لم أنتحلها ولم أغصب معانيها وغير مدحك مغصوب ومنحول
وما على قول كعب أن توازيه وربما وازن الدر المثاقيل
وهل توازنه حسنا ومنطقها عن منطق العرب العرباء معدول
وحيث كنا معا نرمى إلى غرض لحيزا ناضل منا ومنضول
ان أقف آثاره انى الفدلة بها على طريق نجاح منك مدلول
لما غفرت له ذنبا وصنت دما لولا ذمامك أضحى وهو مطلول
رجوت غفران ذنب موجب تلفا له من النفس املاء وتسويل
وليس غيرك لى مولى أؤمله عند الإله وحسبى منك تأميل
ولى فؤاد محب ليس يقنعه غير اللقاء ولا يشفيه تعليل
يميل بى لك شوقا أو يخيل لى كأنما بيننا من شقة ميل
يهم بالسعى والاقدار تمسكه وكيف يعدو جواد وهو مشكول
متى تجوب رسول الله نحوك بى تلك الجبال نجيبات مراسيل
وأنثنى ويدى بالفوز ظافرة وثوب دينى من الآثام مغسول
فى معشر أخلصوا لله دينهمو وفرضوا انهمو نالوا وان نيلوا
شعث لهم من ثرى البيت الذى شرفت به النبيون تطييب وتكحيل
محلق أرؤسا زيدت وجوههمو حسنا به فكأن الحلق ترجيل
قد رحب البيت شوقا والمقام بهم والحجر والحجر الملثوم والميل
نذرت ان جمعت شملى ببابك أو شفت فؤادى به قوداء شمليل
أبل من طيبة بالدمع طيب ثرى لغلتى وغليلى منه تبليل
دامت عليك صلاة الله يكفلها من المهيمن ابلاغ وتوصيل
مالاح ضوء صباح فاستضر به من الكواكب قنديل فقنديل

(ثم قال المصنف رضى الله عنه)

-عَلَيْهِ صَلَاةُ اللهِ مَا هَبَّتِ الصَّبَا
وَمَا نَاحَ طَيْرٌ فَوْقَ غُصْنِ أَرِيكَةِ

أي أطلب أن تتوارد عليه صلاة الملك الرحيم . وهى رحمته المقرونة بالتعظيم ، وتدوم مادام هبوب الصبا بفتح الصاد المهملة وهى الريح التى تأتى من جهة المشرق ويقال لها القبول بفتح القاف وهى القائل فيها صلى الله عليه وسلم لما نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور وإنما أتى بالصلاة عليه ﷺ فى الحديث من صلى على فى كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام اسمى فى ذلك الكتاب وقوله وما ناح أى صاح طير كحمام وقرى أى ومدة صياح الطيور فوق غصن أى فرع أريكة بفتح الهمزة وكسر الراء أى شجرة أراك ونحوها والغرض من ذلك طول المدة التى تتوارد فيها الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فالمقصود التأبيد (وفى الحديث) إن أولى الناس بى يوم القيامة أكثرهم على صلاة (وقال صلى الله عليه وسلم) أتانى جبريل ببشارة لم يأتنى بمثلها قط فقال من صلى عليك مرة واحده صلى الله عليه بها عشرا ومن صلى عليك عشرا صلى الله عليه بها مائة ومن صلى عليك مائة صلى الله عليه بها ألفا ومن صلى عليك ألفا حرم الله جسده على النار ولله در من قال :

إن شئت من بعد الضلالة تهتدى   صلى على الهادى البشير محمد
يافوز من صلى عليه فانه   يحوى الامانى بالنعيم السرمدى
يا قومنا صلوا عليه انظفروا   بالبشر والعيش الهنى الارغد
ويخصكم رب الأنام بفضله   والفوز بالجنات يوم الموعد
صلى عليه الله جل جلاله   ما لاح فى الآفاق نجم الفرقد

ثم أتى المصنف بالسلام لقوله تعالى ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما فقال :

وَتَسْلِيمُهُ الأزكى عَلَيْهِ يَحُفُّهُ
وَرِضْوَانُهُ عَنْ آلِهِ وَالصَّحَابَةِ

والتسليم من الله على نبيه الكريم ، معناه التحية اللائقة بجنابه العظيم ، والأزكى معناه الأطيب وقوله يحفه أي يحيط به من كل جانب ولما كان الترضى عن الآل والصحب مطلوبا طلبا أكيدا قال المصنف ورضوانه عن آله والصحابة ، وكما يستحب الترضى عن الآل والصحب يستحب الترضى عن العلماء العاملين ، وعباد الله الصالحين ، خلافا لقول بعضهم يقال فى حق العالم مثلا رحمه الله ولا يقال رضى الله عنه فانه تحجير على فضل الله ، ثم انه يختلف تفسير آله صلى الله عليه وسلم باختلاف المقامات ففى مقام الزكاة هم الذين تحرم عليهم الزكاة كبنى هاشم وفى مقام المدح أهل بيته الكرام ، الذين بحبهم وبزيارتهم يبلغ العبد المراد (وفى الحديث) ومن مات على حب آل محمد مات مغفورا له ، ولله در القائل :

أرى حب آل البيت عندى فريضة على رغم أهل البعد يورثنى القربا
فما اختار خير الخلق منا جزاءه على هديه الا المودة فى القربى

وهم أهل العباء الذين جمعهم النبي صلى الله عليه وسلم تحت الكساء وقال اللهم هؤلاء أهل بيتى وخاصتى فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا فانزل الله عز وجل إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا وهم الحسن والحسين وأمهما وأبوهم كما قال بعض الأفاضل

إن النبي محمدا ووصيه وابنيه وابنته البتول الطاهرة
أهل العباء وانى بولائهم أرجوا السلامة والنجا فى الآخرة

(وقال بهاء الدين العاملى)

وثقت بعفو الله عنى فى غد وإن كنت أدرى أننى المذنب العاصى

وأخلصت حبي في النبي وآله كنى في خلاصي يوم حشري اخلاصي

وأما في مقام الدعاء كما هنا فكل مؤمن به صلى الله عليه وسلم والصحابة جمع صحابي وهو من اجتمع به صلى الله عليه وسلم اجتماعا متعارفا فيدخل في ذلك عيسى عليه السلام فانه اجتمع به صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء في بيت المقدس اجتماعا متعارفا وهو حي لان الله تعالى رفعه إلى السماء حيا ونزل إلى بيت المقدس ليلة الإسراء لمقابلته صلى الله عليه وسلم فهو أفضل الصحابة وآخر من يموت منهم وفيه ألغز التاج السبكي بقوله :

من باتفاق جميع الناس أفضل من خير الصحاب أبي بكر ومن عمر
ومن علي ومن عثمان وهو فتى من أمة المصطفى المختار من مضر

وعنْ مَالِكٍ وَالشَّافعيِّ وَأَحْمَدٍ
وَنُعْمَانَ وَالثَّوْرِي وَبَاقِي الأَئمةِ

أي ورضوان الله تعالى عن الإمام مالك بن انس أمام دار الهجرة ونجم السنة الذي كان مكتوبا على فخذه بقلم القدرة مالك حجة الله في أرضه (وفي الحديث) يوشك أن يضرب الناس أكباد الإبل في طلب العلم فلا يجدون أعلم من عالم المدينة . وناهيك قول الإمام الشافعي إذا ذكر العلماء فما لك النجم الثاقب وما أحد أمن على من مالكٌ وقال كنت أتصفح الورقة بين يدي مالك تصفحا رفيقا هيبة له لئلا يسمع وقعها كما قيل فيه :

يأبى الجواب فلا يراجع هيبه والسائلون نواكس الأذقان
أدب الوقار وعز سلطان التقى فهو المطاع وليس ذا سلطان

وقد ثبت أن الامام أبا حنيفة مع كونه أسن منه تلقى عنه بعض احاديث ولد رضى الله عنه سنه ثلاث وتسعين من الهجرة على الاصح وقيل سنة تسعين ومكث في بطن أمه ثلاث سنين وقيل سنتين ومات سنة تسع وسبعين

ومائة عن سبع وثمانين سنة وأقام مفتيا بالمدينة ستين سنة ودفن بالبقيع الشريف وعلى مقامه من الأنوار ما يليق بمقامه المنيف وفى الليلة التى مات فيها رأى عمر بن يحيى بن سعيد الأنصارى قائلا يقول .

لقد أصبح الإسلام زعزع ركنه غداة ثوى الهادى إلى ملحد القبر
أمام هدى مازال للعلم صائنا عليه سلام الله فى آخر الدهر

قال فانتبهت وكتبت البيتين على السراج وإذا الصارخة على مالك كان رضى عنه عابدا زاهدا مبالغا فى تعظيم علم الدين حتى كان إذا أراد أن يقرأ الحديث توضأ وسرح لحيته واستعمل الطيب ومنع الناس أن يرفعوا أصواتهم ثم جلس فى صدر المجلس على وقار وهيبة فقيل له فى ذلك فقال أحب أن أعظم حديث رسول الله ﷺ وبلغ من تعظيمه للحديث أنه لدغته عقرب وهو يحدث ست عشرة مرة فصار يصفر ويتلوى حتى تم المجلس ولم يقطع كلامه وكتب بيده مائة ألف حديث وجلس للتدريس وهو ابن تسع عشرة سنة وكان الناس يزدحمون على بابه لأخذ الحديث والفقه كازدحامهم على باب السلطان وكان له حاجب يأذن أولا للخاصة فاذا فرغوا أذن للعامة وكان إذا أكثروا السؤال قال حسبكم من أكثر فقد أخطأ ومن أحب أن يجيب عن كل مسئلة فليعرض نفسه على الجنة والنار ثم يجيب وقد أدركناهم إذا سئل أحدهم فكأن الموت أشرف عليه وكان يقول ينبغى للعالم أن يورث جلساءه لا أدرى ليكون أصلا لهم يفزعون اليه وقد سئل عن ثمانية وأربعين مسئلة فقال فى ثنتين وثلاثين منها لا أدرى وكان لا يدخل الخلاء إلا كل ثلاثة أيام مرة ويقول والله قد استحييت من كثرة ترددى للخلاء وقيل له كيف أصبحت فقال فى عمر ينقص وذنوب تزيد ولما ألف الموطأ اتهم نفسه فى الإخلاص فيه فألقاه فى الماء وقال ان ابتل فلا حاجة لى به فلم يبتل منه شىء وقال له هرون الرشيد يوما يا أبا عبد الله ينبغى أن تتردد علينا حتى

تسمع صبيانتنا منك الموطأ فقال له أعز الله مولانا الأمير ان هذا العلم منكم خرج فان أنتم أعززتموه عز وإن أنتم أذللتموه ذل العلم يؤتى ولا يأتى فقال صدقت يا أبا عبد الله ثم قال لأولاده أخرجوا إلى المسجد حتى تسمعوا مع الناس وكان إذا دخل بيته يكون شغله تلاوة القرآن فى المصحف وكان يقول بلغنى أن العلماء يسئلون يوم القيامة عما يسئل عنه الأنبياء عليهم الصلاة السلام وكان يقول مثل المنافقين فى المسجد كمثل العصافير فى القفص إذا فتح باب القفص طارت العصافير وقد أخذ رضى الله عنه العلم عن تسعمائة شيخ منهم ثلاثمائة من التابعين ثم ان بعض مشايخه أخذ عنه فسبحان ذى الفضل العظيم وكان رضى الله عنه يقول ليس العلم بكثرة الرواية وإنما هو نور يضعه الله تعالى فى القلب وكان يقول حق على من طلب العلم أن يكون له وقار وسكينة وخشية وكان يقول لاينبغى للعالم أن يتكلم بالعلم عند من لا يطيعه فانه ذل واهانة للعلم ولما منعه جعفر بن سليمان من رواية الحديث فى طلاق المكره وحمله على بعير وقال له ناد على نفسك لم يمتنع رضى الله عنه من روايته بل قال وهو على تلك الحالة إلا من عرفنى فقد عرفنى ومن لم يعرفنى فأنا مالك بن أنس أقول طلاق المكره ليس بشىء فبلغ ذلك جعفر فقال أدركوه وأنزلوه واتفق ان امرأة غسلت امرأة فالتصقت يدها بفرجها فتحير الناس فى قطعها أو قطع فرج الميتة فاستفتوه فى ذلك فقال سلوها ما قالت حين وضعت يدها عليها فسألوها فقالت قلت طالما عصى هذا الفرج ربه فقال أجلدوها حد القذف فجلدوها ثمانين جلدة فخلصت يدها فمن ثم قيل لا يفتى ومالك بالمدينة ثم قال المصنف والشافعى أى ورضوان الله تعالى عن الإمام أبى عبد الله محمد بن أدريس الشافعى الوارد فيه عالم قريش يملأ طباق الأرض علما ولد بغزة سنة خمسين ومائة يوم وفاة أبى حنيفة ثم حمل إلى مكة وهو ابن سنتين ونشأ يتيما فى حجر أمه وحفظ القرآن وهو ابن

تسع سنين وحفظ موطأ الإمام مالك فى تسع ليالى وهو ابن عشر سنين وتفقه على مسلم بن خالد مفتى مكة وأذن له فى الفتوى وهو ابن خمس عشرة سنة وكان يكثر التردد على الإمام مالك بالمدينة ويأخذ عنه العلم وكان يجالس العلماء ويكتب ما يستفيده على العظام ونحوها لأنه كان فى قلة من العيش وقد قسم الإمام مالك عليه ماله ثلاث مرات ولكثرة كرمه وانفاقه ما كان يدخر شيأ ثم رحل إلى بغداد وصنف فيها كتابه القديم ثم عاد إلى مكة فأقام بها مدة ثم رجع إلى بغداد ثم خرج منها إلى مصر وأقام بها أربع سنين وصنف كتبه الجديدة ولم يزل ناشرا لواء العلم بجامعها العتيق إلى أن مات سنة أربع ومائتين ودفن بالقرافة فى دار ابن عبد الحكم وعلى مقامه من الأنوار ما يبهر الزوار ومما جرب لقضاء الحوائج أن يقول الزائر هذه الأبيات التى قالها سيدى أحمد البدوى عند زيارته .

يا أماما يرجى لكل ملم ... وهماما يرد بأس القوى
ياحسيبا أناعليك حسبنا ... ودخلنا فى كهفك المحمى
وبظل الجناب منك احتمينا ... من عدو وحاسد وبغى

وله دعاء مشهور بالاجابة وهو اللهم باللطيف أسألك اللطف فيما جرت به المقادير فمن واظب عليه كل يوم مائة واحدى وأربعين مرة كان محفوظا من شر الحوادث (وكان) رضى الله عنه يقول لا شىء أزين للعلماء من الفقر والقناعة والرضا بهما وكان يقول جمال العلماء هو كرم النفس وزينة العلم الورع والحلم وكان يقول لا عيب بالعلماء أقبح من رغبتهم فيما زهدهم الله فيه وكان يقول من طلب العلم بعز النفس لم يفلح ومن طلبه بذل النفس وخدمة العلماء أفلح وكان يقول أظلم الظالمين لنفسه من تواضع لمن لا يكرمه ورغب فى مودة من لا ينفعه وقبل مدح من لا يعرفه وكان يقول طلب فضول الدنيا عقوبة عاقب الله بها أهل التوحيد وكان يمشى على العصا فقيل له فى ذلك

فقال لا ذكر أنى مسافر من الدنيا وكان يقول من غلبته شدة الشهود الدنيا لزمته العبودية لاهاها وكان يقول من أحب أن يفتح الله تعالى عليه بنور القلب فعليه بالخلوة وقلة الأكل وترك مخالطة السفهاء وبعض أهل العلم الذين لا يريدون بعلمهم إلا الدنيا وكان يقول ماشبعت منذ ست عشرة سنة لان الشبع يثقل البدن ويقسى القلب ويزيل الفطنة ويجلب النوم ويضعف صاحبه عن العبادة فانظر إلى حكمته فى ذكر آفات الشبع وسئل عن مسئلة فسكت فقيل له الا تجيب رحمك الله فقال حتى أرى الفضل في سكوتى أو فى جوابى فانظر إلى مراقبته للسانه وكان رضى الله عنه شديد الخوف والوجل حكى أنه سمع القارىء يقرأ هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون فتغير لونه واقشعر جلده وخر مغشيا عليه فلما أفاق قال أعوذ بك من مقام الكاذبين وأعراض الغافلين اللهم لك خضعت قلوب العارفين وذلت لك رقاب المشتاقين الهى هب لى جودك وجللنى بسترك واعف عن تقصيرى بكرم وجهك وقال له بعض أصحابه علمنى مما علمك الله فقال له أعلم أن من صدق الله نجا . ومن أشفق على دينه سلم من الردى ، ومن زهد فى الدنيا قرت عيناه بما يراه من ثواب الله غدا ثم قال أفلا أزيدك قال نعم قال من كان فيه ثلاث خصال فقد استكمل الإيمان من أمر بالمعروف وائتمر ونهى عن المنكر وانتهى وحافظ على حدود الله تعالى ثم قال ألا أزيدك قال بلى قال كن فى الدنيا زاهدا وفى الآخرة راغبا واصدق الله تعالى فى جميع أمورك تنج مع الناجين وكان يقول ما كلمت أحدا قط إلا أحببت أن يوفق ويسدد ويعان ويكون عليه رعاية من الله تعالى ولا أبالى ظهر الحق على لسانى أو على لسانه وكان يقول لو اجتهدت كل الجهد على أن ترضى كل الناس فلا سبيل إلى ذلك فأخلص عملك ونيتك لله ولما حضرته الوفاة أنشأ يقول .

ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي جعلت رجائى نحو عفوك سلما

تعاظمني ذنبي فلما قرنته بعفوك ربي كان عفوك أعظما

(وقال رضي الله عنه)

بموقف ذلي دون عزتك العظمى بمخفي سر لا أحيط به علما
باطراق رأسي باعترافي بذلتي بمد يدي أستمطر الجود والرحما
بأسمائك الحسنى التي بعض وصفها لعزتها يستغرق النثر والنظما
بعهد قديم من ألست بربكم بمن كان مجهولا فعلمته الأسما
أذقنا شراب الانس يامن إذا سقى محبا شرابا لايضام ولا يظما

ثم قال المصنف وأحمد أي رضوان الله تعالى عن الإمام أحمد بن حنبل ناصر السنة . والصابر على المحنة . وقد بالغ أئمة السلف في مدح الظاهر والباطن من حاله . وأطبقوا على تحسين ماصدر عنه من أقواله وأفعاله . وناهيك قول شيخه الإمام الشافعي خرجت من بغداد وما خلفت فيها أورع ولا أتقى ولا أفقه ولا أعلم من أحمد ولد سنة أربع وستين ومائة ومات سنة أحدى وأربعين ومائتين ولما مات ارتجت الدنيا وهرع أهل بغداد للصلاة عليه بالصحراء فكان يوما مشهودا اجتمع فيها للصلاة عليه ما ينوف عن تسعمائة ألف نفس ما بين رجال ونساء وأسلم يوم موته من اليهود والنصارى والمجوس نحو عشرين ألفا وبالجملة ففضائله كثيرة . ومناقبة شهيره . نقل عنه أنه قال رأيت رب العزة في المنام فقلت يارب ما أفضل ما تقرب به المتقربون اليك فقال بكلامي يا أحمد فقلت بفهم أو بغير فهم فقال بفهم وبغير فهم وكان إذا جاع أخذ الكسرة اليابسة فنفضها من الغبار ثم صب عليها الماء في قصعة حتى تبتل ثم يأكلها بالملح وكانوا في بعض الأوقات يطبخون له في فخاره عدسا وشحما وكان إذا مشى في الطريق لا يمكن احدا يمشي معه وكان يحيي الليل كله من منذ كان غلاما وكان له في كل يوم وليلة ختمة وكان ورده كل يوم وليلة ثلاثمائه ركعة فلما ضرب بالسياط أيام

المحنة وهى القول بخلق القرآن ضعف بدنه فكان يصلى مائة وخمسين ركعة
(قال الفضيل بن عياض) حبس الإمام أحمد رضى الله عنه ثمانية وعشرين
شهرا وكان فيها يضرب كل قليل بالسياط إلى أن يغمى عليه وينخس
بالسيف ثم يرمى على الأرض يداس عليه ثم خلى عنه وأول هذه المحنة
كان فى زمن المامون سنة ثمان عشرة ومائتين لكنه مات قبل أن يتمكن من
قتل الامام أحمد وكان الذى أغراه على ذلك أحمد بن أبى دؤاد ولما مات
المامون أوصى المعتصم بحمل الناس على القول بذلك ولما مات المعتصم
وولى بعده الواثق أتى بشيخ مقيد فامتحنه ابن أبى دؤاد فقال له الشيخ
هذا هو الذى تقوله شيء علمه رسول صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه أو
جهلوه قال بل علموه فقال هل دعوا اليه الناس كما دعوتهم أنت أو سكتوا
قال بل سكتوا قال فهل وسعك ما وسعهم من السكوت فسكت ابن أبى داود
وأعجب الواثق كلام الشيخ وخلى سبيله وقام الواثق من مجلسه وهو يقول فهل
وسعك ما وسعهم وجعل يكررها ولما مات الواثق وولى بعده المتوكل رفع
المحنة وأظهر السنة وكتب إلى الآفاق بان القرآن كلام الله غير مخلوق
وخمدت المعتزلة وأمر السنة باحضار الإمام أحمد وإكرامه . ثم قال
المصنف ونعمان أى رضوان الله تعالى عن الإمام أبى حنيفة النعمان الذى
قال فيه الإمام مالك حين قيل له هل رأيت أبا حنيفة فقال رأيت رجلا
لو كلمك فى هذه السارية أن يجعلها ذهبا لقام بحجته ولد بالانبار سنة ثمانين
وتوفى بالسجن لتمنعه من القضاء بعد أن ضرب مائة سوط وقيل مات
خارجه ببغداد سنة خمسين ومائة وكان كثير العبادة قيل انه صلى الفجر
بوضوء العشاء اربعين سنة ومع ذلك كان يكثر البكاء فى آخر الليل بعد
التهجد ويقول :

فواحزنا أن لا حياة هنيئة ولا عمل يرضى به الله صالح

ومن ورعه أنه كان لايجلس فى ظل جدار غريمه ويقول كل قرض جر نفعا فهو ربا وكان يقول إذا ارتشى القاضى فهو معزول وإن لم يعزله الإمام وسئل رضى الله عنه أيما أفضل علقمة أو الأسود فقال والله مانحن بأهل أن نذكرهم فكيف نفاضل بينهم وكان يقول جالست الناس منذ خمسين سنة فما وجدت رجلا غفر لى ذنبا ولا وصلنى حين قطعته ولا ستر على عورة ولا ائتمنته على نفسى إذا غضب فالاشتغال بهؤلاء حمق كبير وكان يقول بلغنى أن ليس فى الدنيا أعز من فقيه ورع وقال له رجل أنى أحبك فقال وما يمنعك من محبتى ولست جارى ولا ابن عمى وكان يقول لاينبغى للقاضى أن يترك على القضاء أكثر من سنه لأنه إذا مكث فيه أكثر من سنة ذهب فقهه . ثم قال المصنف والثورى أى ورضوان الله تعالى عن الإمام أبى عبد الله سفيان الثورى بفتح المثلثة وإسكان الواو ولد سنة سبع وتسعين ومات بالبصرة سنة إحدى وستين ومائة وكان له مذهب وأتباع مقلدون له لكنهم انقرضوا بعد الخمسمائة كان رضى الله عنه عالم الأمة وعابدها وزاهدها وكان يقول قد ظهر من الناس الآن أمور يشتهى الرجل أن يموت قبلها وكان يقول الهى ان البهائم يزجرها الراعى فتنزجر عن هواها وأرانى لا يزجرنى كتابك عما اهواه فيا سوأتاه وكان يقول أحب لطالب العلم أن يكون فى كفاية فان الآفات وألسن الناس تسرع اليه إذا احتاج وذل وكان يقول ان الرجل ليكون عنده المال وهو زاهد فى الدنيا وان الرجل ليكون فقيرا وهو راغب فيها وكان قد جعل على نفسه ثلاثة أشياء أن لايخدمه أحد ولا يطوى له ثوب ولا يضع لبنه على لبنه وكان يقول إن الملكان ليجدان ريح الحسنات والسيآت إذا عقد القلب على ذلك فكما لا يؤذونك لا تؤذهم وقيل له ألا تدخل على الولاة فتتحفظ وتعظهم وتنهاهم فقال أتأمرونى أن أسبح فى بحر ولا تبتل قدماى

انى أخاف أن يرحبوا بى فأميل اليهم فيحبط عملى وكان يقول إذا أرضيت ربك أسخطت الناس وإذا أسخطتهم فتهيأ للسهام والتهيؤ للسهام أحب إلى من أن يذهب دين الرجل . ثم قال المصنف وباقى الائمة أى ورضوان الله تعالى عن باقى الائمة كسفيان بن عيينة والامام الليث بن سعد وداود الظاهرى وغيرهم من الائمة الذين انقرضت مذاهبهم وقبر الإمام الليث يزار . وعلى مقامه من الأنوار مايبهر الزوار . ولد رضى الله عنه سنه أربع وتسعين وتوفى سنة خمس وسبعين ومائة قال ابنه شعيب خرجت مع أبى حاجا فلما قدم المدينة بعث اليه الإمام مالك بن أنس بطبق رطب فجعل على الطبق ألف دينار عند رده اليه قيل كان دخله فى كل سنة ثمانين ألف دينار ومع ذلك لم تجب عليه زكاة قط ثم قال المصنف رضى الله عنه :

وَعَنْ مُنْشِىءِ الابيَاتِ مِنْ فِكْرِهِ وَمَنْ
قَرَاها وأقْرَاها بِفَهْمٍ وَفِطْنَةِ

أى ورضوان الله تعالى عن منشىء أى مخترع هذه الأبيات من فكره أى ذهنه مع كونه أميا لا يقرأ ولا يكتب وعدتها احد وتسعون بيتا ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء (ومن كراماته) أنه كان إذا سمع القرآن وغلط القارىء يقول له أمسك فقد غلطت فقيل له فى ذلك فقال لأنى أنظر نورا يخرج من فم القارىء كالعمود يتصاعد إلى السماء فاذا انقطع ذلك النور علمت أنه غلط (ومن مؤلفاته) كتاب فتح المواهب وكتاب فى معنى لا إله الا الله وكتاب فى صفة تلقين الذكر وعقيدتان صغرى وكبرى وله ديوان فيه عقائد وموشحات وله كتاب فى أسئلة وردت عليه وأجابه عنها نثرا ونظما وله قصائد غير هذه التائية ومن كلامه رضى الله عنه

كل من كان ذاد ناءة أصل واعتلى رفعة فهى مستعارة

ود قتل الذى حباه قديما   خيفة أنه سيكشف عارة
حكمة الله لا تردو لكن   رفع قدر الأنذال فقع المرارة

وقوله ومن قراها بالالف بدون همز لاجل الوزن وكذلك ما بعده اى ورضوان الله عمن قرأها لنفسه وأقرأها اى أسمعها لغيره بفهم أى ادراك للمعانى وفطنة أي جودة ذهن :

(ثم قال المصنف رضى الله عنه)

وَمَنْ قدْ رَأى عَيْباً وَأَصْلَحَهْ وَلَوْ
بِخَطِّ حُرُوفٍ أَوْ بِتَغْيِيرِ شَكْلَةِ

أى ورضوان الله عمن قدعان فى هذه الأبيات عيبا وأصلحه بالتنبيه عليه فى الشرح أو على الهامش لا أنه يمحوه ويثبت غيره فى الأصل فانه وعما كان على حد قول بعضهم :

وكم من عائب قولا صحيحا   وآفته من الفهم السقيم

(وقول الآخر)

كالنجم تستصغر الابصار رؤيته   والعيب للعين لا للنجم فى الصغر

فقوله بخط حروف أى بكتابة الكلمات التى يرى أنها الصواب . فى الشرح الذى يكتبه أو على هامش الكتاب . وقوله أو بتغيير شكله مراده أن الناظر ينبه على أن الصواب تغيير الشكله التى وقعت خطأ بشكلة غيرها أن لو كان هناك شكل فانه بذلك يدخل فى دعاء الناظم رضى الله عنه وأرضاه . والله تعالى يوفقنا ويبلغنا ببركة دعائه ما نتمناه . والحمد لله وحده. والصلاة والسلام على من لا نبي بعده . وكان الفراغ من هذا الشرح ليلة القدر المباركة السابعة والعشرين من رمضان . سنة اثنتين وثلاثمائة وألف من هجرة سيد ولد عدنان صلى الله وسلم عليه وعلى آله الكرام ، وأصحابه الاعلام ،

مالاح بدر التمام وفاح مسك الختام صلاة وسلاما دائمين متلازمين إلى يوم الدين وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

(ولما اطلع على هذا الشرح الجميل حضرة استاذ الجهابذة الجليل ذو التآليف التي نورها فى الأكوان سارى أستاذنا العلامة السيد عبــد الهادى نجا الأبيارى قال)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذى به مبدأ كل شىء وإليه منتهاه والصلاة والسلام على من أوضح الطريق الموصلة إلى الله وعلى آله وصحبه وكل من اهتدى بهداه ما كشف الحجاب لسالك فرأى الله فى كل ما يراه (وبعد) فقد اطلعت على هذا الشرح اللطيف والكتاب الكريم . فرأيته شرحا ينشرح به صدر كل ذى قلب سليم جمع من لطائف العوارف وعوارف اللطائف ما به تقتطف النفوس المطمئنة قطوف الأنس فى روض القدس الوارف ورفع منار الطريق لمريدى حسن السلوك ونظم من جواهر الطريقة والحقيقة ما يعز مثله من الفرائد عند الملوك ولعمرى لقد انكشفت به عن عرائس الوصول لعاشقها الاستار وظهرت لأولى الأبصار والبصائر فى طى عباراته البارعة نفائس الاسرار عبارات هى أحلى من التسنيم . وأجلى من البدر الشريق فى الليل البهيم وأرق فى إيراد الرقائق من مر النسيم وأشوق من سمر الغانيات لمن بها يهيم ترد على الأفئدة المظلمة فتنورها وعلى النفوس الساهية اللاهية فتذكرها وعلى القلوب القاسية فتلينها وعلى الاخلاق السيئة فتحسنها لاسيما بسريان سر أخلاص مؤلفه وحسن نيته وجريان ماء بركته من عيون أنهار فضيلته فلقد منح من التوفيق وهو عزيز ما به عز بين الانام ومن التأليف والتأنيق ما إن مفاتحه لتنوء بكثير من ذوى الافهام ولا غرو فهو المفيد المجيد والسيد الوحيد عبد المجيد ه أدام الله تعالى به نفع العباد إلى يوم المعاد ما صلى مصل على

الرسول الاعظم وسلم وجلى بجل فى ميادين الهداية فسلم وسلم آمين آمين والحمد لله رب العالمين كتبه عبد الهادى الأبيارى .

وقال وحيد الدهر الذى ليس له مدانى ، أستاذنا العلامة الشيخ محمد البسيونى البيبانى .

(بسم الله الرحمن الرحيم)

أحمد الله حمدا تتفتق من رياض قبوله كمائم أزهاره ، وأشكره شكر أهل العرفان الذين أينعت فى حظائر قدسهم نضيرات أثماره ، ونصلى ونسلم على أفضل نبى وأكرم رسول مختار سيدنا محمد الآتى فى السلوك إلى ملك الملوك بما لا نبقى معه حيرة محتار وعلى آله وأصحابه وأتباعه واحبابه (أما بعد) فقد وقفت على تائية السلوك إلى ملك الملوك التى نظمها قطب دائرة الوجود وإمام كل موجود الولى الامى الذى يضرب بعلمه اللدنى الامثال والعارف الصمدانى الربانى الذى عز عن المثال من حققت له المقامات ووضحت له الكرامات وأتى فى طريقه وسلوكه بالآيات البينات فهيهات الدهر أن يسمح الدهر بمثله هيهات ألا وهو سيدى وسندى السيد أحمد عرب الشرنوبى فرج الله به كروبى وغفر ذنوبى فوجدتها متالفة من شقيق ومنثور متالقة بنظمها الزاهى على البدور تدير بأيدى المحبين شموس الراح وتذهب ما يغشى القلوب من الهموم والاتراح فهى فى طريق القوم كعبة القصاد والبيت المعمور لكل حاضر وباد فحبذا منهاج الاصول للسائرين إلى حضرة القدس والطريق الاقوم فى الوصول إلى معارج الانس حقق ما فى الطريق غاية التحقيق آخذا بالكتاب والسنة . فعظمت به على أهل كل عصر المنة . والاجماع منعقد على علو شانه فالقياس أن لا يعدل عن رسالة أحمد إلى البعث وزمانه بيد أنها انطوت على أسرار تحتاج إلى كشف استار وتضمنت من الرقائق رموزا وحوت من الدقائق المخبأة كنوزا فاحتاجت إلى شرح

يشرح صدور المطامين عليها وموقف موفق يوقف من ألق زمام الاسترشاد اليها ومازالت تنادى بلسان حالها لحلها . وتخطب هى بنفسها كفوا يسهر الليالى فى طلب اللآلى الجليلة من أجلها . حتى يسر الله لها ما تروم وأنالها وقيض لها خبيرا بها حين دعا الداعى قال له أنالها حضرة القدوة المحقق والفهامة المدقق واسطة العقد الفريد والمراد لكل مريدوالشهاب الثاقب لكل مريد الاستاذ المجيد الشيخ عبد المجيد بلدى الاستاذالمشار اليه الحائز قصب السبق فى مضمار حوز مدده لديه لهمام الكامل الفرد الذى جمع أنواع الفضائل وتقدم على من تقدم من الافاضل وأنى يدرك بعض فضله الفاضل وذاك لغزارة علمه وجودة ذكائه وفهمه كما يشاهد من أدبه وكما يطالع فى كتبه . فلو رآه ابن عيينة لقبله بين عينيه ولو شامه قدامة لتبرك بأثر قدميه فشرحها شرحا زاد محاسن الاصاف عادلا عن التعسف مائلا إلى الانصاف تعجز البلغاء بلاغته وتقحم الفصحاء فصاحته اختلب بها جلب القلوب بملاحته . واستلب العقول بفصاحته وصباحته فالصحاح درر ثغره والقاموس بعض فيض نهره والبيان من سحر كلامه والرياض من بشاشته وابتسامه وعوارف المعارف أشاراته ورسالة القشيرى براعاته والخير من طباعه وطبعه والشمس من ضيائه ونفعه زاد فيه بما أفاء الله عليه وأحسن كما أحسن الله اليه أوضح أصولها التى بها الوصول وأفصح عن أجناس حدود معالمها والفصول حتى بسقت فروعها وعرف منها نسبها محمولها وموضوعها فابدى ذلك الشرح عجابا وأبدع فى كل أصل فصلا خطابا وقال بلسان حاله يصف رب قاله

أصولى له علم وفهم ... يفيد به الطريق إلى الاصول
ويظهر بالاصول لنا فروعا ... فتقتبس الفروع من الاصولى

وبالجملة فما الذى تتنفس كمائم الازهار أو تهب به نسائم الاسحار بالطف مما جادت به هذه الاسفار من معالى رفيعة وأوصاف بديعة ورقائق كريمة

تفوق الدراري اليتيمة مع أعذب منهل لاى وارد وأبهى مربع لكل وافد فجزى الله مؤلفة خيرا ووقاه هما وضيرا ماغردت الحمائم ودرت الغمائم ووصل واصل لربه وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه ، كتبه محمد البسيونى البيبانى .

(وقال الأستاذ الفاضل . والهمام الكامل الشيخ إبراهيم راضىّ أحد)

(خوجات مدرسة المرحوم اسماعيل باشا راتب . بلغنا الله واياه المآرب)

حسن السلوك إلى ذى العرش قد جمعا ... فى أن تكون لنهج الشرع متبعا
فالزم اوامره واترك نواهيه ... ولا تكن عاملا بالرأى مبتدعا
فللشريعة حد قف لديه فمن ... تجاوز الحد فى مهوى الهوى صرعا
وعامل الناس بالحسنى وان أحد ... أساء فارفع إلى مولاك ماوقعا
واقنع بماقسم الله الحكيم تكن ... فى غنية أن أغنى الخلق من قنعا
وان ترد عزة فالزهد منشؤها ... والذل لم يقترن إلا بمن طمعا
واستعمل الصبر ان نابتك نائبة ... لا فاز من قضاء الله قد جزعا
فبينما المرء فى عسر يئن به ... إذا جاءه اليسر من مولاه مندفعا
وأوف بالعهد ان الخلف منقصة ... وكن من الزور والبهتان ممتنعا
واترك هوى النفس إن النفس آمرة ... بكل سوء وخف مولاك مرتدعا
ولا تصاحب من الدنيا سوى رجل ... يهدى إلى طرق التقوى من اتبعا
فالناس أعداء بعض فى المعاد خلا ... أهل التقى فهم الأحباب والشفعا
ولا تواخ أخا جهل فصحبته ... أضر شىء على الإنسان لو سمعا
واحرص على طلب العلم الشريف فمن ... سعى اليه بجد دام مرتفعا
أما ترى المرتضى عبد المجيد علا ... على السماك بفضل العلم وارتفعا
حبر لقد أشرقت أنوار حكمته ... وبرق تحقيقه بين الورى لمعا
بحر ولكن محيط لاقرار له ... لله بحر علوم راق واتسعا

ان قست فسابه ما أنت منصفه ... كم مثل قس به فى عصرنا برعا
أنعم به من مجيد فى عبارته ... مع انسجام حلى لله ما صنعا
يزرى بنظم اللآلى نظم فكرته ... وطالما سلب الالباب ان سجعا
تأليفه منبىء عن فضل حضرته ... تبارك الله ما أوعى وما جمعا
وأى التصوف فنا لا نظير له ... فقام واهتم فى تدوينه وسعى
أتى بشرحين فيه يشهدان له ... بأنه شمس علم نوره سطعا
هما لتائية الشرنوبى مع حكم ... أجادها ابن عطاء الله مخترعا
لحبه فى عموم النفع زانهما ... بحسن طبع لمن رام الهدى نفعا
فاجعلهما قدوة فالمقتدى بهما ... بشرى له فهما للخير قد جمعا
وخذهما عدة فى كل نازلة ... ولا يفوتك فوزان تكن ورعا
واشكر مجيدهما عبد المجيد فقد ... أبدى لنا السر فى شرحين مجتمعا
ياحسن طبعهما أرخهما يزهى ... شرحان من ماجد فى عصرنا طبعا

فهرس كتاب تائية السلوك